



N. MAKHOUL
BINDERY

1 8 MAY 1968

HARISSA TEL. 72

دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة

- ١٢ -

892.7109

F246 KA

خَمْسَةُ شُعْرَاءَ جَاهِلِيَّوْنَ

مَعَ تَهْيِيدٍ مُفَصَّلٍ فِي اخْتِصَائِصِ الشُّعْرَاءِ جَاهِلِيٍّ وَفُنُونِهِ

تأليف

ع. فروخ

دكتور في الفلسفة

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

الطبعة الثانية

بيروت

١٣٧٠ هـ = ١٩٥١

منشورات مكتبة ميمنه - بيروت - المعروض

الطبعة الاولى ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م

الطبعة الثانية

٥١/٩/٢٠٠٠/٢

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

ذو الحجة ١٣٧٠

ايلول ١٩٥١

نطاق هذه الدراسة

كان المقصود - في اول الامر - ان تكون هذه الدراسات كلها في متناول طلاب البكالوريا اللبنانية . ولكن منهاج البكالوريا اللبنانية وضع من اول امره مشوهاً ابتز ناقصاً في ناحية ومزدحماً في ناحية ثانية . وهو لا يزال كذلك على الرغم من انه قد اصلح مرتين وهو اليوم في دور الاصلاح للمرة الثالثة .

من اجل هذا وضعت هذه الدراسات مستقلة عن « ارادة » واضع منهاج البكالوريا الرسمي فجاءت الدراسات شاملة منسقة ، وجاءت مواد منهاج الرسمي في خلاها .

ان منهاج القديم الذي سبطل مطبقاً في الامتحانات الرسمية حتى سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، قوامه في الادب الجاهلي ، ما يلي :

امرو القيس - المعلقة

طرفة - المعلقة

النابعة - مختارات

عنبرة - المعلقة

زهير بن ابي سلمى - المعلقة .

اما منهاج الذي سيبدأ تطبيقه في الامتحانات الرسمية ابتداء من دورة حزيران - تموز سنة ١٩٥٥ فقوامه في الادب الجاهلي ايضاً :

في السنة الخامسة

نظرة تاريخية في تسلسل عصور الادب - الجاهلية - سيرو عنبرة .

الشعر : الرثاء : المهمل - (الحنساء) .

الفخر : عنبرة .

الشعر الحكمي والتعليمي : تحديده - زهير - لبيد - عدي بن زيد .

في السنة السادسة (السنة التي يتقدم فيها الطالب لامتحان البكالوريا)

الشعر الملحمي : تحديده - نشأته - مظاهره في المعلقات (عمرو بن كلثوم -
الحارث بن حلزة - عنبرة) .

الشعر الغنائي : اللهو والحجريات : الاعشى . الوصف : امرؤ القيس .

الشعر السياسي : النابغة .

خواطر في الحياة والموت : طرفة .

شخصية ادبية : النابغة .

فالمناهج كما ترى واسع ، ومع ذلك فهو لا يمثل تطور الادب العربي على الرغم
من أن التلميذ مطالب بنظرة تاريخية في عصور الادب .

* *

فنطاق هذه الدراسة اذن اوسع مما يتطلبه منهاج البكالوريا الرسمي ، ولكنه
نطاق ضروري لتذوق الشعر العربي وللإحاطة بأوجه فنونه في الجاهلية ، مع
التمثيل على كل ذلك من شعر الشعراء المكثرين والمقلين من اشتهر في تاريخ
الادب او لم يشتهر .

ان الادب صورة الحياة فيجب ان تكون هذه الصورة في الكتب واضحة
صحيحة قدر الامكان .

١٨ ذي القعدة ١٣٧٠

٢١ آب ١٩٥١

ع.ف

صححة الشعر الجاهلي

تطرق الشك الى صححة الشعر الجاهلي منذ ايام ائمة الشعر الاولين ، ومن هؤلاء تناول المستشرقون هذا الشك فافاضوا في الكلام عليه ، ومن المستشرقين تناوله كتابنا المحدثون . واذا كان الشك قد تطرق الى جميع ما يستند الى الاخبار المروية - وخصوصاً ما كان قديماً - والى ما كان مدوناً في بعض الاحيان ، فليس من المستغرب ان يتطرق الى الشعر الجاهلي ايضاً . فما خلاصة آراء الائمة من علماء الشعر في هذا البحث ؟

« الشعر الجاهلي » حقيقة تاريخية ، ولكن بما ان العرب لم يدونوا هذا الشعر بل اكتفوا بان يتناقلوه خلفاً عن سلف وفي ازمة متطاولة وفي احوال مؤاتية او غير مؤاتية فقد :

(١) نسي بعضه فضاع .

(٢) نسب الراوون بعض هذا الشعر ، عمداً او سهواً ، الى غير قائله .

(٣) رغب بعض الافراد بالدفاع عن انساجهم او باختلاق احساب لهم ولاسلافهم فعمدوا الى نظم ابيات او مقطعات او قصائد ، او انهم سألوا بعض شعرائهم المعاصرين مثل ذلك ثم نسبوه الى شعراء متقدمين .

(٤) كذلك اراد بعض اللغويين ان يستروا خطأ وقعوا فيه فاخترقوا له شاهداً و « نخلوه » شاعراً قديماً او دسوه في قصيدة قديمة معروفة . وربما فعل بعض رواة التاريخ والحديث واللغة مثل ذلك . ولقد كان للنزاع بين الاحزاب السياسية على الاخص يد غير مشكورة في « نخل الشعر » .

وعلى هذا نشك نحن ايضاً في صححة بعض الشعر الجاهلي ، ولكن لا نشك فيه كله ولا نشك في الشعراء الجاهليين كذلك ، ذلك لان « الناحل » يستطيع ان يقلد البيت والبيتين والقصيدة والقصيدتين ، ولكنه لا يستطيع ان يخلق شاعراً ولا ان يتلبس بشخصية شاعر . واذا استطاع ان يتلبس بشخصية شاعر واحد فهل

يستطيع ان يتلبس بشخصيات مشاهير الشعراء امثال امرئ القيس وطرفة وعنترة
والاعشى معاً؟ اصف الى ذلك ان هنالك « اشارات متقاطعة » نراها في الدواوين
المختلفة ، فنرى عبيد بن الابوص يذكر معاصره امرأ القيس ثم نجد امرأ القيس
يذكر فلاناً وفلاناً ، فكيف يتأتى لمن اختلق هذا الشعر - سواء اكان فرداً ام
كانوا نفرأ - ان يلموا بذلك كله ويوفقوا بينه ؟ ثم هنالك الاشارات المتأخرة في
القرآن الكريم الى الشعر الجاهلي ثم الاشارات في دواوين الشعراء الامويين والعباسيين
الى الشعراء الجاهليين باسمائهم وخصائصهم ، كقول الفرزدق (ت ١١٠هـ ، ٧٢٨م) :

وهب القصائد لي النوابع اذ مضوا وابو يزيد وذو القروح وجرول
والفحل علقمة الذي كانت له حلل الملوك كلامه لا ينحل
واخو بني قيس وهن قتلنه ومهمل الشعراء ذاك الاول
والاعشيان كلاهما ومرقش واخو قضاة قوله يتمل
واخو بني أسد عبيد اذ مضى وابو دؤاد قوله يتخل
وابنا ابي سلمى زهير وابنه وابن الفريعة حين جد المقول
الى آخر ما عدد . حينئذ انتصب له جرير (ت ١١٠هـ) ونقض عليه معانيه
وعيره بترديد اسماء الشعراء الاقدمين :

حسب الفرزدق ان تسب مجاشع ويعد شعر مرقش ومهمل
يعني جرير بذلك ان الفرزدق لا يستطيع ان يدفع السباب عن قبيلة مجاشع
فينحرف الى الافتخار بشعر قدماء الشعراء .

اذا كانت ثمت ابيات مدسوسة على الشعراء الجاهليين واذا كانت هنالك قصائد
قد نسبت سهواً او عمداً الى غير اصحابها او غير زمانها ، فليس في ذلك كله ما
يبرر الشك في الشعراء الجاهليين كلهم ولا في الشعر الجاهلي كله .

ولا تحسبن ان هذا خاص بالادب العربي وحده بل هو عام في الآداب كلها
وحسبك ان تعرف ان الياذة هوميروس عرضة لا كبر من هذا الشك ، فاطلب
ذلك في مظانته .

الجاهلية والشعر الجاهلي

الجاهلية

« الجاهلية » اسم أطلقه القرآن الكريم على العصر الذي سبق الاسلام وامتد نحو مائة وخمسين عاماً (٤٧٥ - ٦٢٢ م) ، وهي الحقبة التي نعرف بعض تاريخها بشيء من التفصيل او الدقة . والجاهلية هنا مشتقة من « الجهل » الذي هو ضد الحلم لا الذي هو ضد العلم ، ذلك لان العرب حازوا في تلك الحقبة علوماً فطرية كثيرة كالطب وعلم النجوم وعلم الرياح واقتفاء الاثر والكهانة والعرافة ، اضاف الى ذلك كله ان آدابهم من شعر ونثر كانت تتكشف عن مقدرة لغوية عظيمة وعن رقي عقلي كبير وعن حكم ونظرات في الحياة والموت والاخلاق والاجتماع مما لم ينحط عن علوم الذين جاورهم في عصرهم ذلك .

على ان حياة العرب قبل الاسلام كانت بعيدة في بعض نواحيها عن الحلم : كان اقوام منهم يعبدون الاصنام التي حملت الى جزيرتهم من بعض البلدان المجاورة ، وكانوا يستقسمون بالازلام ويلعبون القمار ويشربون الخمر ، ويئذ الفقراء منهم اولادهم (بنات وصبياناً) . وربما فعل الاغنياء مثل ذلك . وكان لهم في الزواج عادات مستقبحة : ربما تزوج احدهم بضع مائة امرأة . وكانوا يطلقون نساءهم او يراجعونهن بايسر سبيل . وكان الوالد يزوج ابنته بمن اراد هو ويأخذ مهرها فينفقه في حاجاته هو لا في سبيل زواجها هي . وكان عندهم الظهار (وذلك ان يغضب الرجل من امرأته فيقول لها : « انت علي كظهر امي » ، ثم لا يقربها بعد ذلك مع بقاءها في عصمته) . وكان عندهم زواج المقت (وذلك ان الرجل اذا مات وخلف نسوة جاز لابنائه ان يتزوجوا بهن على شرط الا يتزوج احدهم بامه هو) . وكذلك كان عندهم التبني (وهو ان يتخذ احدهم شخصاً من غير نسله اولاداً له يلهم باهله ويورثهم الخ .)

ومن سيئات العرب قبل الاسلام « الحمية الجاهلية » التي قامت على العصبية وحملت الافراد على ان يأخذوا بثأرهم من غرماهم بأيديهم فوقعت العداوة بين

القبائل واتصلت الحروب في شبه الجزيرة سنين طويلاً . بمثل هذه العادات سمي القرآن الكريم ' العرب ' قبل الاسلام « اهل الجاهلية » .

الا انه من الانصاف ان نذكر الى جانب هذه السيئات حسنات اسلافنا . كان اولى تلك الحسنات « البر » وذلك ان العرب كانوا اهل فطرة ولم يكن لهم دين مُنزل فكانوا يخافون الله ويفعلون الخير الى ذوي القربى والى البعداء والغرباء ويطيعون ذوي قرباهم وذوي الامر فيهم اطاعة يحمل عليها خير القبيلة في رأيهم . وكان لهم صفات شخصية وعادات اجتماعية حميدة كالشجاعة والنجدة والدفاع عن العرض وعن القبيلة والكرم والضيافة والصدق والوفاء بالعهود وحب الخير مما يرافق الحياة الفطرية في الاغلب ، الا انه كان في العرب اشد بروزاً واثبت قواعد . وكل ما مر بك من السيئات والحسنات قد ظهر في الشعر الجاهلي .

الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي هو مجموع ما وصل الينا من شعر العرب الذي قيل قبل الدعوة الاسلامية (٦١٠م) ومجموع ما قاله الشعراء الذين لم يدخلوا في الاسلام الى وفاة الرسول (١١هـ ، ٦٣٢م) كـ بعض شعر الاعشى مثلاً . اما ما نظم بعد ذلك الى سقوط الدولة الاموية (١٣٢هـ ، ٧٥٠م) فهو اسلامي (يعني نظم في الاسلام) سواء اكان اصحابه مسلمين كحسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة ، او غير مسلمين كالربيع بن ابي الحقيق اليهودي او الاخطل النصراني .

١ . نشأته — الشعر العربي قديم النشأة ، واذا كان لم يصل الينا شعره اقدم من شعر عبيد بن الابرص والمهلل بن ربيعة وامرئ القيس بن حُجر وعمر بن قتيبة ، فما ذلك الا لان كل شعر سابق لزمان من عدونا قد ضاع من افواه الرواة ، كشعر عروة بن حزام أو شعر غيره من الذين لم تصل الينا اسماؤهم ايضاً . واذا نحن تأملنا شعر امرئ القيس مثلاً الفينا شعراً قد بلغ من التطور ، في التفكير وفي الالفاظ والتراكيب وفي المعاني والآراء وفي الاوزان والقوافي ، مبلغاً يدل بلا ريب على ان هذا الشعر لم يبلغ الى ما بلغ اليه الا بعد ان مر في ادوار كثر طوال لا نبالغ

إذا قلنا انها الفاسنة على الأقل : ان شعر امرئ القيس ليس بدء الشعر العربي ، ولكنه - من حيث التركيب اللغوي والنحوي - قمة تطوره .

ويبدو ان العرب اتخذوا الشعر وسيلة للتعبير عن خيالهم ووجدانهم قبل ان يجعلوا النثر « اداة فنية » لتبيان آرائهم ووصف اوجه حضارتهم .

٢ . اسواقه ومواسمه - واتسع نطاق الشعر فلم يبق مقتصراً على التعبير عن الخيال والوجدان فيحسب ، بل شمل ذكر المفاخر ووصف المعارك وتعداد بعض الحوادث حتى سمي بحق « ديوان العرب » اي سجل تاريخهم . من اجل ذلك اقتضي ان ينشد في المجتمعات وفي الحقل الغفير فأخذ الشعراء يؤمون الاسواق المحلية الخاصة والاسواق العامة الكبرى لينشر كل واحد منهم محامد قومه او يدل على براعة نفسه ، مع العلم بان هذه الاسواق كانت في الاصل للتجارة ، ثم جعل الناس يتخذونها مواسم قومية او ادبية ، لاجتماع الناس فيها . وربما طلب احدهم في احد هذه المواسم غريباً او عرض فيها سيفاً او فرساً كريماً للبيع ، او امها لبحث عن امرأة يخطبها ، او ليشهد على عتق عبد يملكه .

اما الاسواق الصغرى فكانت كثاراً ، كل حي له سوق اسبوعي او شهري قاصر على اهل الحي ومن جاورهم في الاغلب . اما الاسواق الكبرى فكانت اقل عدداً واطول امداً ، وكان الزمن الذي يفصل بين انعقادها اطول ، هو في الاغلب عام واحد . واما اشهر هذه لاسواق - او المواسم - فثلاث : ذو الحجاز قرب ينبع (وينبع ثغر مدينة الرسول) ، وذو الحجة (بفتح الميم او كسرهما) قرب مكة ، ثم عكاظ وهي سوق في صحراء بين نخلة والطائف شرق مكة ، وكانت تبدأ مع هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيها فيتعاطون اي يتفاخرون ويتناشدون .

٣ . المعلقة - ومع الايام زاد في الحياة الادبية وجه جديد ، ذاك ان الشعراء كانوا يتبارون في سوق عكاظ امام احد فحول الشعر - وقد ذكروا من هؤلاء النابغة - فمن حكم له انداده اختيرت قصيدته و « علقته » : قيل اعتبروها علقاً اي شيئاً نفيساً ، وقيل كتبوها بالذهب وعلقوها على جدران الكعبة ، وقيل

بل علقوها بالذهن اي حفظوها عن ظهر قلب .

واختلف علماء الشعر في عدد المعلقة فمن مقل ومن أكثر ، الا ان جمهور الرواة يجعلها ثنائي ، هي ، حسب ما اختاره ابو زيد القرشي ، لامرؤ القيس (الكندي) وزهير بن ابي سلمى (المزني) والنابعة (الذبياني) والاعشى (القيسي) وليد بن ربيعة (العامري) وعمر بن كثوم (التغلبي) وطرفة بن العبد (البكري) وعنترة (العبسي) . ومنهم من يزيد عليها معلقة الحارث بن حلزة (البكري) وعبيد بن الابرص (الاسدي) .

ويلاحظ ان هذه المعلقة موزعة بين القبائل بشيء من الانصاف . ويبدو لنا ان اختيار المعلقة في سوق عكاظ كان تابعاً لنفوذ القبيلة السياسي - في الزمن الذي اختيرت فيه - اكثر من تعلقه بمقدرة الشاعر الفنية .

٤ - مقام الشاعر الجاهلي - : قال ابن رشيق^١ : « كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأها ، وصنعت الاطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالزاهر^٢ كما يصنعون في الاعراس ، ويتباشرون الرجال والولدان ، لانه (اي الشاعر) حماية لاعراضهم وذبح عن احسابهم واشادة بذكورهم . وكانوا لا يهتأون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج ... »

خصائص الشعر الجاهلي :

كانت البادية بيئة الشعر الجاهلي ، ولذلك كان الشعر مرآة للحياة البدوية ، يدور حول الجمل والطلل . ومع انه قد نبغ في المدن شعراء ، فان فحول الشعر كلهم كانوا من اهل الوَبَر (سكان الحيام = البدو) ، ولم يعترف الجاهليون ولا علماء الشعر المسلمون بتقدم شاعر قروي (مدني) على شعراء البادية .

وعلى هذا ينتظر ان نرى خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها الا قليلا من الوان الحضرة عرضت في شعر شعراء ذهبوا الى بلاطات فارس والعراق والشام كالاعشى والنابعة مثلاً . فمن تلك الخصائص :

(١) - العمدة ١ : ٤٩

(٢) المزهر (بكسر الميم وفتح الهاء) : العود الذي يعزف عليه .

اولا - اخصائص المعنوية :

(أ) الصدق = الصدق في الشعر ان يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقة مما يختلج في نفسه ، والا يتكلف في ايراده ، بصرف النظر عما اذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت او لم تقع او كان مبالغاً فيها . ان الابيات التي تصف « دارة جُلجل » في معلقة امرئ القيس « صادقة » تعبر عن نفس امرئ القيس وعما يتمناه امرؤ القيس في لهوه ، مع ان الحادثة نفسها قد تكون مختلفة او مبالغاً فيها . وهذا التعليل يصدق على الفخر الجاهلي والوصف والهجاء والحكمة . فليس من الضروري مثلاً ان يكون قول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتي ضاق عنا ، وماء البحر نملأه سفينا
صحيحاً (ونحن نعلم انه غير صحيح) . ولكن المهم ان عمرأ كان يشعر هذا الشعور فجاء بيته هذا صادقاً في التعبير عن شعوره هو .

(ب) النزعة الوجدانية - والشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الاولى ، يصف نفس قائله وشعوره . حتى ان الشاعر القديم كان اذا عرض « لبحث موضوعي واقعي » كوصف الصيد والحرب او كالحكمة والثناء ، لونه بشعوره هو فانقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعاً وجدانياً . قال زهير :

ألا أبلغِ الاحلاف « عني » رسالة وذبيان : هل اقسمتُ كل مُقسم ؟
فلا تكتُمَنَّ الله ما في صدوركم ليخفى ، ومهما يُكتم الله يعلم .
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المُرجم !
ولذلك كان الشعر الجاهلي شعر انشاد (غنائيا) يلقيه الشاعر على لحن الرابة . ولا تزال نحن الى اليوم نقول « أنشد الشعر » اي القاه في حفْل من الناس .

(ج) البساطة - ان الحياة الفطرية والبدوية والقدم في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الانسانية ساذجة بسيطة ، كذلك كانت البيئـة الجاهلية ، وكذلك كان اثرها في الشعر الجاهلي .

جری الشاعر الجاهلي على طبعه وسجيته فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به ولا تكلف الاحاطة والشمول ولا التخريج والتعليل ولا التعقيد والمعاصرة في ما شعر به . واذا كنا نرى عند الشاعر الجاهلي شيئاً من المبالغة فلأن حياة الفروسية وضرورة اعتماد الفرد على نفسه تبعثان الزهو في الفرد ، ولم يشذ الجاهلي عن هذه القاعدة . قال عنتره :

اذ يتقون بي الـاسنة لم اخم عنها ، ولكني تصايق مقدمي
فجعل جميع قومه الذين يحاربون في المعركة يحتمون به ويتدارون بظهره .
على ان الطبع والسجية والبساطة والصدق ايضاً تتمثل كلها في قول عنتره
يخاطب عبلة :

ولقد ذكرك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي .
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم
(د) القول الجامع - كانت الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي انه «شعر وجداني» ،
من اجل ذلك كان معرضاً للآراء المفردة اكثر منه معالجةً مستفيضة لشؤون
الحياة . ولقد مال العرب عموماً والجاهليون خصوصاً الى استجماع القول حتى كان
البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامة ، وحتى جعل الاقدمون يفتخرون بذلك .
فاذا راجعت ابيات زهير التي استشهدنا بها على « النزعة الوجدانية » تبين لك انها
تضم سبع معانٍ او سبع جمل تامة المعاني . وحسبك من ذلك انهم أعجبوا بقول
امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومترل بسقط اللوى بين الدخول فحو مل
وقالوا : انه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في
بيت واحد !

وهكذا ترى ان الشاعر القديم لم يكن يحمل معنىً من بيت الى البيت الذي
يليه الا في النادر . اما استمرار التركيب الواحد من بيت الى بيت فقد كان من
عيوب الشعر . وهكذا كان بالامكان ان تتبدل بعض مراكز الابيات في القصيدة

من غير ان يتبدل المعنى الاساسي فيها كما ترى في حكم زهير مثلاً .

(هـ) الاطالة والاستطراد — وكان يُحمد في الشاعر الجاهلي ان يكون « طويل النفس » اي ان يطيل القصائد . فاذا ذكرنا انه كان ميالاً الى ذكر الآراء المفردة والقول الجامع ، لم نستغرب ان يخرج احياناً عن الموضوع الاساسي الى موضوعات تتعلق به من قرب او من بعد ، وهذا يُسمى الاستطراد . وربما استطرد الشاعر الى موضوع ثم عاد الى ما كان في الكلام عليه ، وربما استطرد فلم يعد . وقد أثر عن الجاهلية مقطعات قيل إن أكثرها كان في الاصل قصائد طوالاً ثم نسي بعضها . ومع العلم اليقين ان الشاعر الجاهلي نظم مثل هذه المقطعات ابتداءً فان الغالب على طبع الجاهلي انه كان يميل الى اطالة القصائد .

(و) الخيال — واذا كان اتساع افق الصحراء قد ادى الى اتساع خيال الشاعر الجاهلي ، فان هذا الخيال كان فطرياً بسيطاً كبيئته ، ولعلك لا تستغرب اذا علمت ان الشعراء الذين اتصلوا بالحضر كالاعشى وامرئ القيس والنابغة كانوا في خيالهم اوسع واعمق وادق كما ترى في معلقة امرئ القيس عند الكلام على البرق والمطر والسيل وعلى النبات الذي هاج بعد ذلك المطر .

ولا ريب في ان الخيال في الجاهلية كان لا يزال يعتمد على التشابه والاستعارات اكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة .

وكذلك ذكر بعض المتأربين ان خيال الجاهليين كان خشناً وان بعض معانيهم كانت نابية كبعض غزل امرئ القيس و كوصف الشنفرى لنفسه و كذكر القتال والثأر وبعض المديح والهجاء . ولكن يجب ان نذكر ان هذه الخشونة كانت صورة لبيئتهم ، وان كنا نحن اليوم نراها خشنة بالاضافة الى لين الحضارة الذي ألفناه . ان هذه الخشونة موجودة ولكن لها عذراً من بيئة الشاعر وشطف عيشه احياناً .

ثانياً — الخصائص اللفظية :

(أ) غرابة الالفاظ وجزالتها — اذا قرأنا نحن اليوم بعض الشعر الجاهلي وقعنا في اكثره على « كلمات غريبة » ، اي كلمات غير مألوفة في مخاطباتنا وكتاباتنا في عصرنا هذا . ويجب ان نشير الى ان هذه الكلمات كانت يومذاك « فصيحة » اي

مأنوسة مألوفة ، ذلك لأن ممارسة الجاهلي للحياة بين الخيام وعلى الابل جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام والابل مألوفة عنده . ولكن لما انقطع ما بيننا وبين هذا النوع من الحياة انقطعت الصلة بيننا وبين الكلمات الدالة عليها وعلى اوجهها وادواتها وآلاتها - على ما ترى في وصف طريقة للناقة في معلقته . على ان الكلمة الغريبة قد تكون جميلة في اللفظ نحو رثال (النعام) وقد تكون وحشية او حوشية مستكرهة في اللفظ نحو بُعاق (مطر) .

وكان الشاعر الجاهلي حريصاً على ان يستعمل الكلمة « الجزلة » اي التي تقع في موقعها وتدل على المعنى المقصود بها من غير استعانة بالفاظ اخر نحو « قلت » (بكسر القاف) ومعناها « نمت بعد الظهر » . فكلمة قلت في هذا الموضع جزلة ، اما كلمة نمت في هذا الموضع فليست جزلة لانها لم تؤد المعنى الذي قصدناه الا بعد ان زدنا عليها كلمتين أخريين .

(ب) متانة التركيب وبلاغة الأداء - والتركيب في الشعر الجاهلي متين ، اي صحيح يجري على قواعد اللغة العربية ، لا ضعف فيه من تقديم لفظ في غير محله او تأخير لفظه الى غير مكانها الذي تقتضيه اساليب العرب ، او زيادة حشو لا فائدة فيه او حذف لغير سبب نحوي .

وكذلك تراكيبه بليغة ، اي تؤدي المعاني المقصودة منها في الاحوال المناسبة إما حقيقةً وإما مجازاً بتشابه واستعارات وكنيات تفصح عن المعاني وتكسو الافكار قوة وبروزاً ، من غير تأثر بعجمة او لحن عامي . وقد تجدد في الشعر الجاهلي بضعة الفاظ من الجنس والطباق ولكنها كلها غير مقصودة وانما وقعت هنالك اتفاقاً ، ولعل شاعرها لم يفتن اليها .

(ج) العناية والتنقيح - وبما ان الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته وطبعه ، فانه لم يتكلف عادةً في ما كان ينظمه بل كان يلقيه الى الناس كما يخطر له ويدور في خياله .

الا ان هنالك نفرأ كانوا يأخذون شعرهم بالعناية والتنقيح ، وقد سماهم رواة الادب « عبدة الشعر » لانهم يتكلفون اصلاحه (بعد نظمه) ويشغلون به

حواسهم وخواطرم . وقد عدوا من هؤلاء النابغة وزهيراً والخطبة وطفيلاً
الغنوي ، واشتهر من بينهم زهير بقصائده « الحوليات » أي التي كان يقضى حولاً
(عاماً) كاملاً في نظم كل واحدة منها وتنقيحها وعرضها على النقدة .

اغراض الشعر وفنونه :

الاغراض هي الموضوعات التي يتناولها الشاعر عَرَضاً في قصيدته ، وهي عادة
« امور ممهدة » للفن (الغرض الرئيسي) الذي يرمي اليه الشاعر . ولقد كانت
الوصف والنسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسيين . واغراض الشعر الجاهلي
كثيرة منها :

١ - وصف الاطلال - يأتي الشاعر لزيارة حبيبته فيجد اهلها قد رحلوا بها
عن المكان الذي عهدهم نازلين فيه ، فيقف على طلل الحيمة (المكان الذي كانت
الحيمة منصوبة فيه) فيصفه ويصف ما حوله وينسب بالحبيبة ويتشوق اليها .

٢ - وصف الراحلة - وكذلك يصف الشاعر الراحلة او المطية (الناقة او
الفرس) التي يركبها للوصول الى الحبيبة او الى المدوح ...

٣ - وصف الصيد - وتصيد الجاهلي لسبيين : اما طلبا للمعاش كما كان يفعل
صعاليك العرب ، او طلباً للهو كما كان يفعل امرؤ القيس ، او لانه كان يخرج في
حاشية الملوك الذين يذهبون الى الصيد كالنابغة .

٤ - وصف الطبيعة - ويصف الشاعر عادة ما يراه في اثناء رحلته من صحراء
او اودية او مطر او رياح او نهر او مطر . واشهر الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس .

٥ - الحماسة - وهي وصف المعارك والفخر بالنفس او بالاسلاف .

٦ - الادب والحكمة .

والشاعر الجاهلي يطرق في معلقته عادة جميع هذه الاغراض ويمر بها مرّاً خفيفاً .
الا انه يتكئ على غرض واحد منها في الاكثر او على غرضين يجعل منها الموضوع
الاساسي المقصود من المعلقة كلها كالغزل والفخر عند عنترة ، او كالغزل والوصف
عند امرئ القيس او كالاعتذار عند النابغة .

فنون الجاهلية :

الفن « موضوع » مقصود لذاته يعالجه الشاعر بتوسع ، وقد يَقْصُرُ عليه القصيدة كلها او اكثرها ، وبكلمة اوضح : ان الغرض اذا تطور واتسع اصبح فناً . فالغزل مثلاً « غرض » اذا كان في ابيات قلائل ، وفي مطلع قصيدة في المديح مثلاً ، ولكنه « فن » اذا كان مقصوداً لذاته في قصيدة تامة او شبه تامة ، وقد نسميه ايضاً باباً من ابواب الشعر . اما الفنون الجاهلية او ابواب الشعر الجاهلي فاشعرها وبرزها التي تلي :

١ - باب الادب والحكم والامثال

الادب ويسمى الحكمة ايضاً ، هو ذكر آراء صائبة في الحياة والموت والظلم واللهو والصدقة والاخلاق الحميدة والسعي وما اليها . وقل ان نجد شاعراً لم يرد في شعره شيء من الادب . على ان الادب في الشعر الجاهلي قليل بالاضافة الى ما عرفنا منه في الاسلام ، وخصوصاً في العهد العباسي .

(أ) الحكم المفردة :

اكثر ما ترد الحكم في الجاهلية مفردة : يرد في القصيدة البيت بعد البيت ، وترد ابيات الحكمة متفرقة ، قل ان يجمعها سلك واحد . فمن الاقوال الحكيمة المشهورة في الشعر الجاهلي قول ذي الاصبع العدواني :

كل امرئ راجع يوماً لشيئته وان تخلّق اخلاقاً الى حين
ومثله في الشهرة واصابة القول ابيات الافوه الأودي :

البيت لا يُبْتَنَى الا له عمدٌ ولا عِمَاد اذا لم تُرْسَ اوتاد .
فان تَجَمَّع اوتاد واعمدة يوما فقد بلغوا الامر الذي كادوا .
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهلهم سادوا .
تهدى الامور باهل الرأي ماصلةحت فان تولت فبالاشرار تنقاد .

أ ، ب - طرفة وزهير

ومع ان طرفة بن العبد وزهير بن ابي سلمى اشهر حكماء الجاهلية فان الحكمة ترد في شعرهما ابياتاً مفردة وان كانت متعاقبة (اي يلي بعضها بعضاً) ، وذلك لان كل بيت منها - وخصوصاً عند زهير - يتضمن معنى قائماً بنفسه ، ضعيف الصلة بما قبله وبما بعده في الاغلب . على ان الذي نلاحظه ان حكم زهير مجموعة من طريق الحياة الطويلة - لان زهيراً عاش دهراً طويلاً - فهي تمثل اختبار الشعوب وتنكشف عن نضج اكتشاف زهير من عمره الطويل ، كقوله مثلاً :

سُئِمَتْ تكاليف الحياة، ومن يعيش ثمانين حَولاً — لا أبالك — يسأم.
 رأيت المنايا خبط عشواء، من تُصَبُّ نَمَتُهُ، ومن تُنْطَى يَمَرُّ فِيهِمْ .
 أما حكم طرفه فهي حكم شخصية عرفها طرفه من ظلم أهله له فهي اختبار
 شخصي كقوله :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً على النفس من وقع الحسام المهند.
 وآراء طرفه ألصق بالحكمة من آراء زهير وأعظم قيمة ، وسيرد الكلام على
 ذلك عند الكلام على طرفه وزهير .

ج - لبيد بن ربيعة العامري

ولد لبيد بن ربيعة العامري نحو عام ٥٦٠ م ، وقال الشعر في صباه ودخل في
 المهاجرة بين شعراء قومه . وقد أوفده عمه على الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة
 ليدرس موقف الرسول ومقامه فعرف الاسلام وشيئاً من القرآن فأثر ذلك في
 نفسه كثيراً .

ولما مات عمه وفد في نفر من قومه على الرسول واسلم هو ومن معه . وفي
 أيام عمر بن الخطاب سكن لبيد الكوفة .

ولبید من اصحاب المعلقات، له معلقة مطلعها :

عَفَّت الدِّيارَ مَحَلُّها فَمُقَامُها بِمَنى تَأْبُدُ غَوْلُها فَرِجامُها .

وشعر لبيد متين التركيب فخم تكثر فيه الحكمة . ومن خصائص لبيد انه
 يجيد الرثاء .

وتوفي لبيد نحو سنة ٤١ للهجرة (٦٦٢م) في أيام معاوية بن ابي سفيان، وهو القائل :

الحمد لله اذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الاسلام سربالاً

فمن حكم لبيد في معلقته :

فأقطعُ لِبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلَهُ ،
وَأَحْبُ الْمَجَامِلَ بِالْجَزِيلِ وَصُرْمِهِ
وَأَقْنَعُ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ فَإِنَّمَا
وَمِنْ قَصَائِدِهِ الْمَشْهُورَةِ فِي الْحُكْمِ قَوْلُهُ :

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يَحَاوِلُ :
أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ ،
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ
وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ غَيْبُهُ
إِذَا الْمَرْءُ أَسْرَى لَيْلَةً خَالَ أَنَّهُ
فَقُولَا لَهُ إِنْ كَانَ يَقْسِمُ أَمْرَهُ :
فَتَعْلَمُ إِنْ لَا أَنْتَ مَدْرَكَ مَا مَضَى
أَنْخَبُ فَيَقْضِي أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ (٤) ؟
بَلَى ، كُلُّ ذِي لَبٍ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ (٥) .
وَكُلُّ نَعِيمٍ (٦) لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ .
دَوِيهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْإِنَامِلُ (٧)
إِذَا شَفِيتَ عِنْدَ الْإِلَهِ الْخَوَاصِلُ (٨)
قَضَى عَامِلًا ، وَالْمَرْءُ مَا دَامَ عَامِلٌ (٩)
أَلَمْ يَعْظُكَ الدَّهْرُ ؟ أَمْ كَ هَابِلٌ (١٠) ؟
وَلَا أَنْتَ مِمَّا تَحْذَرُ النَّفْسُ وَأَنْتَ (١١)

(١) أقطع صلتك بمن . تعلم ان صداقته ستتغير اذا قال حاجته منك . ان اسوأ الاصدقاء هم الذين يفعلون ذلك - الصرم : القطع . (٢) واحسن الى الذي يجاملك ويصانك ولا يقطع مودتك وان كنت تعلم انه لا يحبك كثيراً . ظلع : درج . زاع : مال . (٣) المليك والعلام من اسماء الله الحسنى . الخلائق : الطباع . (٤) ماذا يحاول الانسان ان يفعل في حياته : يجب ان له غاية يسعى الى تحقيقها ام ان الحياة امر باطل لا غايه له ؟ (٥) اكثر الناس لا يعرفون ماذا يراد بهم ، ولكن يخوي الابواب يقصدون الله بأعمالهم ويعلمون انهم واصلون اليه . (٦) كل نعيم دنيوي . (٧) دويهيّة تصغير داهية للتعظيم اي مصيبة عظيمة . اصفرت الانامل : يبست الاصابع دلالة على الموت . الموت سيأتي على جميع الناس . « ٨ » اذا كشفت السرائر يوم القيامة . (٩) اذا سافر الانسان ليلة ظن نفسه قد تعب كثيراً وعليه الآن ان يرتاح ، مع ان حياة الانسان عمل متواصل . (١٠ و ١١) قولاً لله ان كان يفكر لم تعتبر بجوادر الدهر ؟ ثمكنت امك ! لا انت قادر على ان تعود الى شبابك ولا ان تنجو مما تحذره نفسك « من الموت » .

فان انت لم ينفعك علمك فانتسب لعلمك تهديك القرون الاوائل^(١) .
وان لم تجد من دون عدنان والدأ ودون معد فلترعك العواذل^(٢) .

د - عدي بن زيد

ولد عدي بن زيد في الحيرة بالعراق ، وفيها نشأ وتعلم اللغة العربية واللغة الفارسية . وكانت اسرة عدي مقربة في البلاط الفارسي لخدماتها التي كانت تؤديها للفرس في بلاط المناذرة في الحيرة . وكان زيد والد عدي يلي بعض اقسام البريد لكسرى انوشروان . وكذلك كان عدي نفسه كاتباً في ديوان كسرى .

وارسل كسرى انوشروان نحو عام ٥٧٩م عدي بن زيد رسولا الى طيباريوس الثاني ملك الروم البيزنطي . (٥٧٨ - ٥٨٢) ويبدو ان عدي بن زيد زار في اثناء وجوعه من القسطنطينية مدينة دمشق .

وادرك النعمان الثالث ابو قابوس (٥٨٥ - ٦٠٧ م) ان اعمال عدي بن زيد هي في مصلحة الفرس اكثر مما هي في مصلحة العرب انفسهم ، بل اكثر مما هي في مصلحة المناذرة ، فحبسه ثم قتله في السجن نحو عام ٦٠٤م^(٣) . وكان مقتل عدي سببا من اسباب النفور بين الفرس والمناذرة ، بل كان سببا في سقوط دولة المناذرة على يد الفرس .

ولم يكن عدي بن زيد من فحول الشعراء ، لانه كان قرويا (مدنيا) ، والتقدم في الشعر كان دائما لاهل البادية . اما شعره فهو سهل المعاني غير متين التركيب ، واكثره يدور حول الزهد في امر الدنيا والتزهيد فيها . وله شيء في الحمير احسن اسلوباً وارق ديباجة من شعره في الزهد . اما شعره في الزهد فمنه :

(١) اذا انت لم تستطع من تلقاء نفسك ان تعتبر بالدهر (تعلم ان جميع الناس يموتون) فانتسب (حاول ان تعد آباءك واجدادك) ثم انظر هل بقي احد من اسلافك حياً . (٢) فان لم تجد بينك وبين معد وعدنان احداً حياً فارعو عن غيبك وايقن ان جميع الاحياء سيموتون كما ان جميع الاموات كانوا احياء . (٣) جميع التواريخ المتعلقة بالمأذرة مضطربة ولذلك تذكر هذه التواريخ من باب التخمين فقط .

اين اهل الديار من قوم نوح
 ثم عاد من بعدهم وثود ؟
 بينما هم على الاسرة والاناط
 افضت الى التراب الجلود .
 والاطباء بعدهم لحقوهم
 ضل عنهم سعوطهم والدود (١) .
 وصحيح اضحى يعود مريضاً
 وهو ادنى للموت ممن يعود .
 ولعدي بن زيد قصيدة طويلة في الحكم
 اختارها ابو زيد القرشي في جمهرة اشعار
 العرب في باب المجهرات ، مطلعها :

أتعرف رسم الدار من ام مَعْبِد ؟
 نعم ، ورمالك الشوق قبل التجلد .
 جاء فيها :

أعاذل ، ان الجهل من لذة الفتي
 وان المنايا للرجال بمرصد .
 أعاذل ، ما ادنى الرشاد من الفتي
 وابعد منه اذا لم يُسَدِّد !
 أعاذل ، من تكتب له النار يلقها
 كفاحاً ومن يكتب له الفوز يسعد .
 أعاذل ، ما يدريك ان منيتي
 الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد ؟
 كفى زاجراً للمرء ايام دهره
 تروح له بالواعظات وتغتدي !
 وله من قصيدة :

ليس شيء على المنون بباقي غير وجه المسبح الخلاق .
 اذ نكن آمنين فاجأنا شر مصيب ذاك الود والاشفاق .
 ومر عدي بن زيد مع النعمان على بعض المقابر ، فقال له : اتدري ما تقول هذه
 القبور ؟ فقال النعمان : لا . قال عدي انها تقول :

(١) ان العلاج الذي يصفه الاطباء للمرضى ، السعوط للتنشق بالانف والدود للفم ، لا ينبغي
 الاطباء انفسهم من الموت .

من رآنا فليحدث نفسه انه اوفى على قرن^(١) زوال .
 وصروف الدهر لا يبقى لها - ولما تأتي به - ضم الجبال^(٢) .
 رب قوم قد اناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
 ثم اضحوا عصف الدهر بهم؟ وكذلك الدهر يودي^(٣) بالرجال .
 ومن قصائد عدي بن زيد المشهورة قوله :

ايها الشامت المعير بالدهر ر ، أنت المبرأ الموفور^(٤) ؟
 ام لديك العهد الوثيق من الـ ايام ؟ بل انت جاهل مغرور .
 من رأيت المنون خلدن ام من ذا عليه من ان يضام خفير^(٥) ؟
 اين كسرى كسرى الملوك انوشر وان ، ام اين قبله سابور ؟
 وبنو الاصفر^(٦) الكرام ملوك الـ روم ، لم يبق منهم مذكور .
 واخو الحضرة اذ بناه واذا دجى لمة^(٧) تجبى اليه والخابور ،
 شاده مرمرأ وجلله كـ ساء فلطير في ذراه و كور^(٨) ،
 لم يهبه ريب المنون فباد الـ حملك عنه فبابه مهجور .
 وتذكر رب الخورنق^(٩) اذاش ر ف يوماً وللهدى تفكير .
 سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير^(١٠) .

١ - قرن زوال : طرف حياته - انه سيموت : ٢ - حتى الجبال لا تغد : ٣ - يهلك .
 ٤ - المبرأ : الذي لا يصيبه المرض او الموت . الموفور : المحفوظ « لا يموت » . ٥ - المنون .
 الموت . خلدن . تركن حيا . من ان يضام خفير : من يحمله من الضيم والذل وتقلب الايام . ٦ - ملوك
 الروم . ٧ - الحضرة : قصر . دجلة والخابور : يجبى اليه خراج نهري الخابور ودجلة . ٨ - عال حداء
 ٩ - الخورنق قصر . ١٠ - البحر معرضاً . يظهر النهر امامه واسماً . السدير قصر .

فأرعى قلبه فقال : وما غب طة حي الى المات يصير^(١) ؟
ثم بعد الفلاح والمملك والإامة^(٢) وارتهم هناك القبور ،
ثم صاروا كأنهم ورق ج ف فألوت به الصبا والدبور^(٣) !

ب - الامثال :

الامثال قصص تنطوي على مغزى اخلاقي ، وهي نادرة في الشعر الجاهلي . وقد
ورد في شعر النابغة قصة « الرجل والحية » ، وهي مذكورة في مكانها عند النابغة
من هذه الدراسة .

(١) ومع ذلك فقد اعتبر وعلم ان الحياة لا قيمة لها ما دام مصير الانسان الى الموت .

(٢) النعمة . (٣) الصبا والدبور . ربح الشرق وربح الجنوب . الوى به : اهلكه .

٢ - المديح والاعتذار

المديح قليل جداً في الشعر الجاهلي وخصوصاً في شعر الشعراء البدو، وهو مفقود عند عنترة مثلاً ونادر عند طرفة ، ذلك لان نفس البدوي تأبى التكسب لان في التكسب من الآخرين تذلل لا يرضاه البدوي نفسه .

اما المديح الذي نجده عند امرئ القيس مثلاً فهو في الحقيقة شكر لان امرأ القيس لم يقله تكسباً ، وانما قاله لان قوما نصروه واعانوه فاراد ان يكافئهم على صنيعهم نحوه فشكرهم في شعر قاله فيهم . وكذلك مدائح زهير بن ابي سلمى في الحارث بن عوف وهرم بن سنان خاصة فانها من هذا الباب . ان الحارث وهرماً سعيًا في الصلح بين عبس وذبيان ثم دفعا ديات القتلى من مالهما الخاص ، فوقفت حرب داحس والغبراء بعد ان دامت اربعين سنة . وهكذا قال زهير مدائحه في هذين « السيدين العظيمين » اعجاباً بعملهما وكرمهما . ثم انه كان يرفض ان يتناول منهما نوالاً على هذه المدائح .

على ان الاعشى والنابعة ثم الخطيئة وحسان بن ثابت كانوا من الشعراء المتكسبين بالشعر . ولقد اخترع النابغة في الشعر العربي باب الاعتذار وهو شدة التذلل في المديح حباً بالتكسب . والكلام على مديح امرئ القيس والنابعة وزهير مبسوط في مكانه من هذه الدراسة .

٣ - الفخر والحماسة (والملاحم)

الفخر هو التمدح بالخصال (الحميدة) ، او ان يمدح الشاعر نفسه واسلافه بالاعمال الحميدة . والحماسة في الاصل هي الشجاعة . اما في الشعر فالحماسة هي الابيات التي يرد فيها ذكر القتال .

غير اننا اذا رجعنا الى ديوان الحماسة لابي تمام ودرسنا « باب الحماسة » ، وهو اول فصول هذه المجموعة الشعرية والذي به سمي الكتاب كله « ديوان الحماسة » ، رأينا انه اوسع مدى ، وانه غير قاصر فقط على المقطعات التي فيها ذكر القتال . ان فيه ابياتا في القتال وفي الموت وفي الغزل وفي الحكمة وفي الهجاء . ولكن اذا أنعمنا النظر في الابيات التي ادخلها ابو تمام في « باب الحماسة » ادر كنا انها تتضمن المعاني التي تدل على « الصبر على الحوادث والتجملد للايام » . من ذلك مثلاً ان اعرابياً اصاب ابن اخ له خطأ فقتله ، فوقف والد المقتول بين امرين : اما ان يصبر على فقد ابنه ، او ان يأخذ بثأره من اخيه ، وكلاهما شديد عليه . حينئذ تجملد وقال (١ : ٧٣) :

اقول للنفس تأساءً وتعزية : احدى يدي اصابتني ولم تُرد .

كلاهما خلف من فتد صاحبه ، هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي .

ومثل ذلك قول شاعر يدعو الى التجملد والصبر على مفارقة الاهل والاطوان في سبيل العيش في نعمة ورغد ، قال (١ : ١٠٤-١٠٥) :

لا يمنعنك خفض الباش في دعة نزوع نفس الى اهل وأوطان .

تلقى بكل بلاد ان حالت بها اهلاً باهلاً وجيراناً يحيران !

وعلق التبريزي - شارح ديوان الحماسة على ذلك بقوله : « وضع ابو تمام هذين البيتين في باب الحماسة لانها صادران عن قسوة شديدة وعدم مبالاة بما ينشأ عن التحول عن الالف وترك الصديق والعشير ، لان ترك الوطن والاخلال بالعشيرة ربما ادى الى التخاذل والتقاتل ، فالصبر عليه كالصبر على القتال » .

وإذا نحن تأملنا الابيات التي ادخلها ابو تمام في باب الحماسة ، سواء أ كانت في الحرب ام في الغزل ام في الهجاء ام في الادب ام في الفخر ، رأينا انها تنطوي ايضاً على تجلد وصبر وشدة وصلابة نفس . ولعل ابيات ابراهيم بن كُنيف النبّهاني تمثل ذلك احسن تمثيل (١ : ٩٥-٩٦) .

تعزّ فان الصبر بالحر اجمل ، وليس على ريب الزمان مَؤول^(١) .
فلو كان يُغني ان يُرى المرء جازعاً ، حادثه او كان يغني التذلل
لكان التعزي عند كل مصيبة ، ونازلة بالحر اولى واجمل^(٢) .
فكيف وكلّ ليس يعدو حمامه^(٣) ، وما لامرئ عما قضى الله مزحل .
فان كانت الايام فينا تبدلت ، بنعمى وُبوّسى^(٤) والحوادث تفعل
فما ليّنت منا قنّاة صليبة^(٥) ، ولا ذللتنا للتي ليس تجمل^(٦) .
ولكن رحلناها نفوساً كريمة ، تُحمّل ما لا يُستطاع فتَحمّل^(٦) .
وقيّنا بحسن الصبر منا نفوسنا فصحت لنا الاعراض والناس هزل^(٧) .
فالحماسة اذن هي الشعر الذي فيه تجلد وصبر وصلابة نفس ، في اي
فن من فنون الشعر كان . ولكن بما ان التجلد والصبر وصلابة النفوس
تكون عادة في الحرب والمصائب فالحماسة تتناول الفخر والقتال في الاكثر
كقول عنترة :

(١) لا يمكن ان نعتمد على الزمان ونركن اليه [تأمن غدره] . (٢) لو كان الحزن يفيد عند المصائب لكان خليفاً بالانسان ان يحزن . (٣) موته . (٤) تعاقبت بالخير والشر ، مرة بعد مرة . (٥) المصائب لم تضعف نفوسنا ولم تذللنا فنفعل اشياء لا تليق بنا [من الحزن والخوف من الآخرين مثلاً] . (٦) يشبه النفوس هنا بالمطايا [بالنياق] فيقول : سقناها سوفا شريفاً وحملناها اشياء كثيرة ثقيلة فحملتها . (٧) وفيها : حافظنا بصبرنا على عزة نفوسنا فسلمت اعراضنا من العار بيننا سائر الناس نأحلون مهزولون لم يستطيعوا تحمل المصائب مثلنا .

بكرت تخوفني الختوف كأنني أصبحت عن غرض الختوف بمعزل^(١).

فأجبتها : ان المنية منهل لا بد ان أسقى بكأس المنهل.

فأقني حياك^(٢) - لا اباك - واعلمي

اني امرؤ سأموت ان لم أقتل.

إني امرؤ من خير عبس منصباً شطري ، واحمي سائري بالمصل.

واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت أفيت خيراً من معم مخول^(٤).

والخيل تعلم والفوارس أني فرقّت جمعهم بضربة فيصل^(٥)،

والخيل ساهمة الوجوه كأنما تسقى فوارسها نقيع الخنظل^(٦).

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى انال به كريم المأكل^(٧).

☆ ☆

الملاحم خاصة :

الملحمة هي المعركة العظيمة التي يكثر فيها القتل ، وجمعها ملاحم . والملاحم

(١) جاءت الي باكرأ تحذرنى بان لا اذهب الى القتال حتى لا القى حتفي [موتي] ، كأنني اذا اطعت امرها فلم اذهب الى الحرب لا يصل الى الموت - الغرض : الهدف ، معزل : منجى .
(٢) احتفظي بوقارك . (٣) منصباً : مقاماً . شطري : نصفي [نسي من ابي] من بني عبس ، وهو جزء شريف يحترمني الناس بسببه . واما نصفي الآخر ، الذي هو من امي والذي يعيرني الناس به . لان امه كانت جارية حبشية سوداء . فانا ادافع عنه بالسيف ، بشجاعتي ، فيصبح شريفاً كنسي من ابي . - شطري : مبتدأ . (٤) الكتيبة : جماعة المحاربين . احجم : تأخر ، خوفاً وجبناً او لكثرة عدد العدو . تلاحظت : جعل بعض المحاربين يلاحظ بعضهم الآخر ويستحث كل انسان غيره على القتال . - في هذه الحال احجم انا واكون ، وانا الذي امي عبدة حبشية سوداء ، خيراً من الذين ينتمون الى الانساب الكريمة من جهة امهم وابيهم معا . (٥) الفصل : السيف . (٦) ساهم : عابس . الخنظل : نبات مر . (٧) ابيت على الطوى : اضي الليل جائعاً . اظله : استمر طول النهار جائعاً ايضاً .

ايضاً « تاريخ الدول » نظماً او نثراً ، قال ابن خلدون (١) : « ثم كتب الناس من بعد ذلك في حدّثان الدول منظوماً ومنثوراً ورجزاً ... وبايدي الناس كثير منها وتسمى الملاحم ، وبعضها في حدّثان الملة على العموم ، وبعضها في دولة دولة على الخصوص ... فمن الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مُرّانة ... وذكر فيها استيلاء دولة لمتونة على سبّعة من يد موالي بني حمود وملكهم لعدوة الاندلس . ومن الملاحم بيد اهل المغرب ايضاً قصيدة تُسمى التَّبَّعية ... قريباً من خمسمائة بيت او الف . وعلى هذا يمكن ان نعد كثيراً من ادب العرب في الملاحم كالمعلقات وقصة عنتره وسواها كقصة رأس الغول وسيف بن ذي يزن . على ان بعض المعلقة اقرب الى ان تسمى ملاحم من بعضها الآخر . فمعلقة عنتره ومعلقة عمرو ابن كلثوم على الاخص اجدر بهذا الاسم من معلقة امرئ القيس مثلاً .

ويحسن ان نوازن هنا بين الملاحم عند العرب والملاحم عند الافرنج . تعرف الملحمة في اللغة اليونانية باسم « ابوس » ، ومعنى الكلمة لغوياً « قصة » ، الا ان لفظة « أبوس » كانت تطلق على الشعر القصصي اذا كان شريف المعاني متين التركيب ، وكثيراً ما كان في هذا النوع من الشعر مغامرات وقتال . والملاحم عند اليونان كانت تدور حول بطولة الافراد كما كانت تدور حول الحروب العامة وحول الحُرّافات الدينية ايضاً ، وقد كان لها فوق ذلك مغزى تهذيبي . واشهر الملاحم اليونانية إلياذة هوميروس بلاريب . ومع ان إلياذة هوميروس هي اقدم ما وصل الينا من الادب اليوناني فانها ليست اقدم الادب اليوناني . ان قضية الالياذة ، من هذه الناحية ، كقضية المعلقة في الادب العربي .

فلنأخذ اذن من الملاحم العربية معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلّزة وشيناً من شعر عنتره ، ثم قصة عنتره .

سبب المعلقتين :

كانت معلقة الحارث بن حلّزة رداً على معلقة عمرو بن كلثوم في حضرة ملك

الحيرة عمرو بن هند فيما قيل ، وذلك بعد ان اراد عمرو بن هند ان يصلح بين بكر وتغلب - قبيلتي الحارث بن حازة وعمرو بن كلثوم - بعد ان طالبت العداوة بينهما من اثر حرب البسوس .

حرب البسوس :

كان وائل بن ربيعة المعروف باسم كليب وائل ، ملكاً على قومه ، وقد بلغ من السلطة والقوة حداً خرج به الى الاستبداد والظلم حتى كان يحمي مواقع المطر ، وذلك اذا نزل المطر بارض فسال عيناً او انبت عشباً جاء وائل فألقى كليباً (جرو كلب) حيث نزل المطر فيعوي ذلك الكليب ، فلا يستطيع احد ان يستقي من مكان يُسمع فيه عواء الكليب او يوعى غنمه فيه إلا باذن من وائل . وكان لوائل (او لكليب وائل) زوجة لها اخوة اقدم اسمهم جساس بن مرة الشيباني ترعى ابله وابل كليب معاً . فاتفق ان نزل يوماً بجساس هذا قوم من اقاربه ومعهم ناقة اسمها البسوس - وقيل بل البسوس اسم خالة جساس (١) - فرعت مع ابل جساس وابل كليب في مكان واحد . ورأى كليب الناقة فعرف انها غريبة ولم يدر لمن هي فاطلق عليها سهماً فقتلها . فغضب اصحاب الناقة وعرضوا بجساس واتهموه بانه « لا يحمى جيرانه وضيوفه » (وكان ذلك عاراً عظيماً في الجاهلية) ، فثار جساس الى كليب فقتله . فنشبت من جراء ذلك حرب عرفت باسم حرب البسوس دامت العداوة فيها (لا المعارك) نحو اربعين سنة . وكان آخر من قتل فيها جساس نفسه ، نحو عام ٥٣٤ م .

الصلح بين بكر وتغلب :

ويظهر ان ملوك الحيرة ارادوا ان يصلحوا بين بكر وتغلب ، وقد حاول ذلك المنذر الثالث (٥٠٥ - ٥٥٤ م) المعروف بابن ماء السماء ، ثم حاول ذلك ايضاً ابنه عمرو بن هند (نحو ٥٥٤ - ٥٦٩ م) . وتحاجز الفريقان عن القتال ولكن لم تمت العداوة التي بينهما .

(١) راجع تاج العروس ٤ : ١٠٨ - ١٠٩

التحكيم والحكم لبكر على تغلب :

واراد البكريون والتغلبيون ان يضعوا حداً للنزاع بينها فاحتكموا في خلاف لهم جديد الى عمرو بن هند، فواعدهم عمرو بن هند يوماً يجتكمون فيه اليه . وفي اليوم الموعد حضر اشراف القبيلتين وفرسانهم . ونهض عمرو بن كلثوم سيد بني تغلب وساعرهم فالقى معلقته ، او قسماً من معلقته ، بين يدي عمرو بن هند . ثم نهض الحارث بن حازة شاعر بني بكر والقى معلقته - قيل مرتجلاً . فيقال ان عمرو بن هند كان اكثر تأثراً بمعلقة الحارث فحكم لبني بكر على بني تغلب . والحق ان الحارث كان اكثر ليناً و « سياسة » في مخاطبة عمرو بن هند ، بينما كان عمرو ابن كلثوم اكثر فجراً بقومه ، شديد التعريض بعمر بن هند نفسه .

مقتل عمرو بن هند

ولم يرض بنو تغلب بحكم عمرو بن هند فانصرفوا غاضبين . وانفق مرة ان طلب عمرو بن هند من عمرو بن كلثوم ان يزوره ، في حديث طويل . فجاء عمرو بن كلثوم تصحبه امه ليلى ، فنزل هو على الملك عمرو بن هند ونزلت امه ليلى على هند ام الملك . فيقال ان هند ارادت ان تستخدم ليلى لإدلالا عليها (لانها هي ام ملك) ، وإذلالاً ليلي (لان ليلى كانت معتزة بنفسها وبابنها عمرو بن كلثوم كثيراً) فقالت لها : « ناوليني هذا الطبق » . فردت ليلى عليها قائلة : « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » . ولكن هند اعادت القول على ليلى ، فغضبت ليلى وصرخت : « واذلاه ، يا لتغلب ! » فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم فثار غضبه ، وعلم ان امه قد اهينت فهجم على عمرو بن هند وقتله .

عمرو بن كلثوم ومعلقته

عمرو بن كلثوم من الشعراء المقلين ، وليس من الطبقة الاولى من الشعراء الجاهليين ، فان ابن سلام عده في الطبقة السادسة مع الحارث بن حازة وعنترة وسويد بن ابي كاهل .

موجز ترجمته وخصائصه :

عمرو بن كلثوم من بني تغلب، وكانت تغلب تسكن في الجزيرة (شمالي سورية والعراق). وكان عمرو فارساً شجاعاً أبي النفس ساد قومه صغيراً، زعموا ابن خمس عشرة سنة. وعمرو بن كلثوم هو الذي قتل ملك الحيرة عمرو بن هند على ما مر بنا. وعاش عمرو بن كلثوم دهنراً طويلاً زعمه بعضهم مائة وخمسين سنة!

عمرو بن كلثوم شاعر مقل وصلنا من شعره معلقته وبضعة مقطعات في الحماسة. ويقال ان معلقته كانت طويلة جداً تبلغ نحو الف ومائة بيت؛ ولكن لم يصلنا الا عشرها. ويبدو ان معلقة عمرو بن كلثوم ترجع الى زمنين منفصلين: نُظم بعضها قبل مقتل عمرو بن هند ونظم بعضها بعد مقتله.

والمعلقة هذه تدور على الحماسة: يفتخر فيها الشاعر بقومه ويكثر فيها من مخاطبة عمرو بن هند بالوعيد والتهديد، ثم يذكر يوم خزازي^(١) وهو معركة. وفي المعلقة شيء من وصف الجمر والغزل ومن الحكمة.

المختار من المعلقة :

ألا هـي بصحنك فاصبحينا - ولا تبقي خور الاندرينا^(٢)،
مُشَمَّعةً كأن الحَصَّ فيها ، اذا ما الماء خالطها سخينا^(٣).
تري اللِحْزَ الشَّحِيجَ اذا أُمِرْتَ عليه ، لماله فيها ، مُهِينا^(٤).
صَبَّئَتِ الكَأْسَ عَنَّا ، أمْ عمرو ، وكان الكأس مجراها اليمينا^(٥).
وما شر الثلاثة ، أمْ عمرو ، بصاحبك الذي لا تصبحينا^(٦).

(١) يوم خزازي معركة عظيمة بين نزار ، عرب الشمال ، وبين اليمن، عرب الجنوب ، كانت الغلبة فيها لنزار . (٢) هي : استيقظي ؛ او انهضي مطلقاً . الصحن : القدح العظيم . اصبحنا : اسقنا الجمر صباحاً . الاندرون من قرى الشام - لاندخري عناخر الاندريين ، الجمر الجيدة . (٣) مشععة : ممزوجة بالماء . الحص : نبات له زهر اصفر او احمر . سخينا . حاراً . اصبحنا اسخياء ، كرماء . (٤) اللِحْز : الضيق الصدر . الشَّحِيج : البخيل . اذا شربها البخيل الضيق الصدر اصبح سمياً كريماً . (٥) صبن : صرف - لما جاء دوري في الشرب لم تسقني . (٦) انا ، الذي لم تسقني لست شراً من الشخصين اللذين سقيتهما .

وكأسٍ قد شربت بيملبكٍ واخرى في دمشق وقاصرينا .
 وإننا سوف تدركنا المنايا مُقدَّرةً لنا ومقدرينا (١) .
 وإن غداً وإن اليوم رهنٌ وبعد غدٍ بما لا تعلمينا (٢) .
 قفي قبل التفرق ، يا طعينا ، نخبرك اليقين وتخبرينا (٣) ،
 بيوم كريمة ضرباً وطعنا اقر به مواليك العيونا (٤) .

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقيننا (٥)
 بأننا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد رويننا (٦) .
 وإيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان نديننا (٧) .
 ورثنا المجد قد علمت معدُّ نطاعن دونه حتى يديننا (٨) .
 بسمر من قنا الخطي لذن ذوابل او ببيض يعتليننا (٩) ،
 نشقُّ بها رؤوس النوم شقاً ونخليها الرقاب فتختليننا (١٠) .
 كأن جماجم الإبطال فيها وسوق بالاماعز يرتقيننا (١١) .

(١) الموت مكتوب علينا يأتي في وقته . (٢) سيأتيك اليوم وغد وبعد غد بحوادث لا تعلمينها
 (٣) الظالمين : المرأة في اليهودج : هنا . المحبوبة . (٤) الكريمة : الحرب ، يكون الضرب بالسيف
 والطمع بالرمح . مواليك : اعمامك ظفرنا في هذا الحرب فسر قومك . (٥) ابا هند : ياعمر بن
 هند . (٦) نأخذ راياتنا الى الحرب بيضاً ثم نرجع بها حمراً من دم الاعداء . (٧) ايام : معارك .
 غر : بيض نصرنا فيها ، طوال : مشهورة - حاربنا الملوك حتى لا نخضع لهم (٨) بين : يظهر
 حقنا في المجد (٩) برماح سرلينة جافة نضجت في منابتها . يعتليننا ، يرتفعن فوق رؤوس الاعداء .
 (١٠) اختلى قطع بسهولة . (١١) وسق : حمل . اما عز ، جمع اممز : مكان فيه حجارة . بعد
 المعركة كانت رؤوس الاعداء كأنها احمال حجارة ، او بطيخ ، ملقاة على الارض .

نَجَزَ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ
 كَأَن سَيُوفُنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ
 كَأَن ثِيَابُنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ
 إِذَا مَا عِي بِالْأَسْنَفِ حَيٌّ
 نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتَ حَدٍّ
 بِشَبَانِ يَرَوْنَ الْقَتْلَ مَجْدًا
 بِأَيِّ مَشِيئَةٍ ، عَمْرَوُ بْنُ هَنْدٍ ،
 بِأَيِّ مَشِيئَةٍ ، عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ ،
 تَهْدِدُنَا وَتَوَعِدُنَا ، رَوِيدًا ،
 فَانْقَاتَنَا ، يَا عَمْرُو ، أَعَيْتَ
 وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَازِي
 وَكُنَّا الْإِيمَانِينَ إِذِ التَّقِينَا
 فَصَالُوا صَوْلَةً فِي مَنْ يَلِيهِمْ (١١)

فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَقُونَا (١)
 مَخَارِيقُ بَايْدِي لَاعِبِينَا (٢)
 خُضْبُنَ بَارْجُوانٍ أَوْ طَلِينَا (٣)
 مِنْ الْهَوْلِ الْمَشْبَهِ إِنْ يَكُونَا (٤)
 مُحَافِظَةً ، وَكُنَا السَّابِقِينَ (٥)
 وَشَيْبَ فِي الْحُرُوبِ مَجْرُبِينَ
 نَكُونُ لَقِيلِهِمْ فِيهَا قَطِينَا (٦)
 تَطِيعَ بَنَى الْوَشَاةِ وَتَرْدَرِينَا (٧)
 مَتَى كُنَّا لَأَمِّكَ مُقْتَوِينَا (٨)
 عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ إِنْ تَلِينَا (٩)
 رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّاغِدِينَ (١٠)
 وَكَانَ الْإِسْرِينَ بَنُو أَبِينَا
 وَصَلْنَا صَوْلَةً فِي مَنْ يَلِينَا

(١) بر : شفقة . كثر ضربنا لرؤوس الأعداء حتى ما كانوا يعلمون كيف يهربون من سيوفنا
 (٢) المخاريق (جمع مخراق « مرقعه ») : قطع من نسيج يجمل في رؤوسها عقد ثم يتضارب
 اللاعبون بها . - كنا لا نخفل بالضرب بالسيوف كما لو كنا نلعب بالمخاريق . (٣) أرجوان : صباغ
 أحمر . خضب : صبغ . طلى : دهن . (٤) عي : عجز . بالأسناف : بالاقوام . - إذا عجز
 الحاربون الأحياء أن يتقدموا [مشياً بأقدامهم إلى الأمام] خوفاً من الخطر [لكثرة الأعداء مثلاً] .
 الرهوة : المكان المرتفع . - إذا تعذر علينا في الحرب أن نتقدم إلى قتال الأعداء رفعنا حاجزاً لنحمي
 أنفسنا ونحن دائماً سابقون . (٥) القيل : الملك أو الرئيس . القطعين : الخادم . (٦) ازدري : احتقر
 (٨) مقتوون : متخذون للخدمة (٩) نفوسنا لم تذلل للملوك قبلك حتي تذلل لك الآن (١٠) خزازي
 اسم جبل ومعركة من معارك العرب . غداة أوقد في خزازي : في اليوم التالي لمعركة خزازي -
 وكان العرب يوقدون على جبل خزازي نارا غداة الغارة . رقد : ساعد - ساعدنا (نزاراً على
 اليمن) أكثر مما يستطيع أحد غيرنا أن يساعد (في الحرب) (١١) صال : هجم . يلي : يقرب من .

فآبوا بالنهب وبالسبايا وأبنا بالملوك مُصَفِّدِينَ (١)
 اليكم يا بني بكر اليكم ، ألمأ تعلموا منأ اليقينأ (٢)؟
 ألمأ تعلموا منأ ومنكم كتائب يرأعن ويرقمينأ (٣)؟
 وتحملنأ غداة الرّوع جرد عرّفن لنا نقائذ وأفتلأ (٤)
 ورثنأهن عن آبأ صدق ونورثأ اذا متأ بنينأ
 وقد علم القبائل ، غير فخر ، إذا قبب بابطحها بُينأ (٥)
 بأنأ العاصمون إذا أطعنا وإنأ العارمون إذا عصينأ (٦)
 وأنا المطمعون إذا قدّرنا وأنا المهلكون إذا أبتلينأ (٧)
 وأنا المانعون لما اردنا وأنا النازلون بحيث شينأ
 ونشرب ان وردنا الماء صفوأ ويشرب غيرنا كدراً وطينأ
 على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تُقسّم او تهونا (٨) :
 ظعن من جشم بن بكر خلأن يمسح حسبأ ودينأ (٩)

(١) مصفدون : مقيدون بالاصفاد (٢) اليكم .. : ابتعدوا عنا ، اتركوا منافستنا ، الم تعرفوا بعد قوتنا في الحرب ؟ (٣) الم تعلمواكم من الكتائب طعنت افرادها في حربنا ثم ارتموا قتلى او جرحى (٤) جرد جمع اجرد : حصان قليل الشعر ، اصيل . غداة الرّوع : صباح اليوم الذي نذهب فيه الى الحرب . نقائذ جمع نقيذة : منقذة . - اذا سقط احد منا في المعركة حملته فرسه وانقذته كيلا يقع اسيراً في يد اعدائه . افتلى : قطع ، قطع عن الرضاع (هذه الخيل ولدت عندنا وتربت عندنا) . (٥) القبة : الخيمة من جلد ، وتكون للوك والرؤساء . الابطح : الارض المستوية . (٦) من اطاعنا عصمناه (دافعنا عنه وحميناه) ، ومن عصانا عرمنأ عليه (قوينأ عليهم ، ظلمناه ، قتلناه) . (٧) قدرنا : طبخنا (في القدر) . ابتلى : جرب - من جرب حربنا هلك . (٨) بيض : نساء . نحاذر ان تقسم : نخاف ان بأسرهن الاعداء فيقسمن بين المتحاربين . تهون : تذلل ، يعتدى على اعراضهن (٩) الظمينه : المرأة . ميسم : علامة (جمال ، حسن) - اضفن الى جمالهن شرف النسب والحسب .

أَخَذَنَ عَلَى فَوَارِسِهِنَّ عَهْدًا إِذَا لَاقُوا فَوَارِسَ مُعَلِّمِينَا (١)
 لَيْسَتَيْنِ أَفْرَاسًا وَبَيْضًا وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنَيْنَا (٢)
 يَمُتْنَ جِيءَ ادْنَا وَيَقْلَنَ : لَسْتُمْ إِذَا لَمْ تَمُتْنَا لَمْ تَمُتْنَا (٣)
 إِذَا لَمْ نَحْمِهِنَّ فَلَا بَقِيَّةَ لَشَيْءٍ بَعْدَهُنَّ وَلَا حَيَّةَ إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسَفًا أَيْتْنَا إِنْ نُقِرَ الذَّلُّ فِينَا (٤)
 أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا (٥)
 أَلَا لَا يَحْسَبُ الْأَعْدَاءُ إِنْ تَضَضَعْنَا وَإِنَّا قَدْ وَنِينَا (٦)
 كَانَا ، وَالسِّيُوفُ مَسَلَّلَاتٌ ، وَلَدْنَا النَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِينَا (٧)
 إِذَا بَلَغَ الْفَطَامُ لَنَا صَبِي تَحَرَّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا
 مَلَأْنَا الْبِرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَظَهَرَ الْبَحْرُ نَمْلَاءَ سَفِينَا
 لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

ب - الْحَارِثُ بْنُ حَزَازَةَ وَمَعْلَقَتُهُ

الحارث بن حازة شاعر مقل كعمرو بن كلثوم ، وقد عده ابن سلام أيضاً في الطبقة السادسة مع عمرو . ولالحارث أيضاً معلقة وبضع مقطعات .

(١) فوارسهن : رجاھن . مطين : كاشفين عن وجوههم في الحرب ، ابطال . كان الفرسان يتقنمون كيلا يعرفون فيأخذ الناس بثأرهم منهم . ولكن البطل العظيم كان لا يبالي بغيره فيكشف وجهه . (٢) ليستان : ليغتموا خيل الاعداء وسبوفهم ثم بأسروا الاعداء انفسهم ويصفدوهم في الحديد . (٣) يمتن جيادنا : يملقن (يطعمن) خيولنا . تمعنونا تحافظون علينا ، تموتنا . (٤) اذا الملك ظلم كل الناس فنحن وحدنا لا نقبل بظلمه . (٥) الجهل هنا ضد الحلم - اذا سفه احد علينا زدنا عليه في السفاهة (٦) وني بني : ضعف (٧) اذا سلطنا سيوفنا في الحرب شعرنا كأنتنا ولدنا جميع الناس ، اي كأنهم كلهم اولادنا يجب علينا ان نحبيهم ، ونحن نستطيع ذلك .

موجز ترجمته وخصائص شعره :

كان الحارث بن حازة شاعر بني بكر وسيداً فيهم ، وكانت مساكن بني بكر في العراق . وشهد الحارث عمرو بن كلثوم وهو ينشد معلقته عند عمرو بن هند ، فرد عليه واستمال عمرو بن هند فحكم عمرو بن هند لبني بكر على تغلب . وقيل ان سبب ميل عمرو بن هند الى بني بكر ان الحارث تقرب بمعلقته الى الملك عمرو بن هند ومدحه ، بينما عمرو بن كلثوم نفره بما ساق في قصيدته من الفخر بقومه وبما حشاها من التعريض بالملوك والابطال والظالمين .

وشعر الحارث بن حازة سهل رائق حتى قيل ان معلقته منحولة لحسن ديباجتها وسهولة لفظها وتراكيبها ، فهي عندهم اشبه بالشعر العباسي ، وخصوصاً لانهم امن البحر الخفيف (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) وهو بحر كان نادراً في الجاهلية ولكنه ذاع في العصر العباسي .

المختار من معلقته :

- | | | |
|---|---------------------------|--|
| أَذْنَتْنَا بِيَدَيْهَا | اسماء | وَبِثَّوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ (١) |
| بَعْدَ عَهْدٍ أَنْ يَبْرُقَ شِمَا | شما | تَنَادَى دِيَارَهَا الْخِصَاءُ (٢) |
| لَا أَرَى مِنْ عَهْدَتِ فِيهَا فَاكِسِي | لا ارى من عهدت فيها فاكسي | يَوْمَ دَلَّهَا وَمَا يُجِيرُ الْبِكَاءُ (٣) |
| وَبَعْدَيْكَ أَوْقَدْتُ هَنْدُ النَّا | وبعديك اوقدت هند الننا | رَ أَخيراً تُلَوِي بِهِ الْمِلْيَاءُ (٤) |
| فَتَنُورَتْ نَارُهَا مِنْ بَعِيدٍ | فتنورت نارها من بعيد | بِخَزَازِي هَيْهَاتَ مِنْهُ الصَّلَاءُ (٥) |
| أَوْقَدْتُهَا بَيْنَ الْمُقَيِّقِ فَشَخْصِي | اوقدتها بين المقيق فشخصي | نَ بَعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءُ (٦) |

(١) اخبرتنا اسماء انها سترحل عنا ، ورب مقيم (غيرها) يل من المكان الذي يقيم فيه (٢) بعد ان التقينا في برقة شماء والخصاء التي هي اقرب ديارها لنا . (٣) دلها : جزعاً ، من ذهاب العقل . ما يجير البكاء : ما يفيد ؟ (٤) ظهرت اسماء وهي راحلة عنك مبتعدة كأنها في عينيك نار مشتعلة ، ولكنها اخيراً غابت عن بصرك (او لعلمها اوقدت ناراً حقيقية) . وأبت نرها من بعيد ، ولكن رؤبة النار من بعيد لا تدفى ، وكذلك رؤبة اسماء من بعيد لا تفيد . (٥) خزازي : اسم جبل . (٦) ظهرت نارها ضئيفة لبعدها ؟

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْبَا ۖ خُطِبُ نَعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ ۖ
 أَنْ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قِيْلِهِمْ إِحْفَاءُ : (١)
 يَخْلِطُونَ الْبَرِيَّ مَنَا بِذِي الَّذِ ب ۖ وَمَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ : (٢)
 زَعَمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ خَرِبَ الْعِي رُ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ : (٣)
 أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بَلِيلٍ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ : (٤)
 مِنْ مَنَادٍ وَمَنْ مَجِيبٍ وَمَنْ تَصَ هَالِ خَيْلٍ خِلَالِ ذَاكَ رُغَاءُ : (٥)

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرْقِشُ عَنَا عِنْدَ عَمْرٍ وَوَهْلٍ لَذَاكَ بَقَاءُ : (٦) ؟
 لَا تَخْلُنَا عَلَى غَرَاثِكَ إِنَّا قَبْلَ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ : (٧)
 فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءَةِ تُنْمِي نَا حَصُونٍ وَعِزَّةٌ قَعَسَاءُ : (٨)
 مَلِكٍ مَقْسُطٍ وَأَفْضَلٍ مِنْ يَ شَيْءٍ وَمَنْ دُونَ مَا لَدَيْهِ الثَّنَاءُ : (٩)

(١) الأرقام : قسم من بني تغلب . يغلون علينا : يبالغون في اتهامنا . القيل : القول ، إحقاء : إلحاح ، تحامل . (٢) الخلي : البريء . يعدوننا كلنا مذنبين ، حتى البريء لا تنفعه براءته . (٣) في الأصل : العير بفتح العين : الحمار ، ولا معنى له على الرغم مما تحمل له الزوزني في « شرح المعلقة السبع » من الوجوه . ولعل الصواب العير بكسر العين : القافلة وحينئذ يستقيم المعنى لأن الخلاف بين بكر وتغلب عند عمرو بن هند كان يدور حول هلاك الرهائن من بني تغلب . وكان عمرو بن هند قد وجههم مع الرهائن من بني بكر في شأن له فهلك التغليون . راجع أيضاً سورة يوسف « ١٢ : ٨٢ » : « وأسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها » . موال لنا : قريب لنا . نحن من حزبه . لنا الولاء : أننا أصحاب ولائهم والمسؤولون عن أعمالهم الضامنون لجرائمهم . (٤) هم دبروا هذا الأمر في إحقاء واختلقوا علينا هذه التهمة ، ولما أصبح الصباح أخذوا يلوحون بها . (٥) اختلعت أصوات الناس بأصوات الخيل والابل . (٦) المرقش : المزوق ، الكاذب . عمرو : عمرو بن هند . بقاء : ثبات ، صحة . (٧) لا تظن أن أغراءك الملك بنا يخفيها ، فبذلك وشى بنا كثيرون فلم يفرقونا . (٨) ولقد بقينا على رغم بغض الناس لنا يرتفع شأننا ونحمينا حصوننا وشجعنا . (٩) مقسط : عادل . ومن دون ما لديه الثناء : الثناء لا يفي بأعماله الكريمة والصالحة

ايما خُطّة أردتم فأدّو ها اينّا تشفي بها الأملاء. (١)
 لا يُقيمُ العزيز بالبلد السهم ل ولا ينفعُ الدليل النجاء. (٢)
 ليس ينجي الذي يوائل منا رأس طود وحرّة رجلاء. (*)
 ملكٌ أضرع البرية لا يو جد فيها لما لديه كفاء. (٤)
 كتكاليف قومنا أذ غزا المنذر ذرّ، هل نحن لابن هند رعاء. (٥)
 ما أصابوا من تغاي فمطلو ل عليه، اذا أصيب، الفاء. (٦)

ايها الناطق المبلّغُ عنا عند عمرو وهل لذك انتهاء. (٧)
 فاتركوا الطيخ والتعاشي فاما تتعاشوا ففي التعاشي الداء. (٨)
 واذكروا حلف ذي المجاز وما قديم فيه العهود والكفلاء. (٩)
 حذر الجور والتعدي، وهل ينه قُض ما في المهارق الاهواء. (١٠)
 واعلموا اننا واياكم بما اشترطنا يوم اختالفنا سواء. (١١)

(١) الاملاء جمع ملاء : الاشراف. - اعرضوا على اشرافنا كل مشكلة تعرض لكم وهم يجدون لها حلا
 (٢) القوي المعتز لا يسكن في البلد السهل - حيث يسهل ظلمه واستعباده - النجاء : الخروج، الهرب - والدليل
 اينّا ذهب يقيم ذليلاً . (٤) اضرع البرية : ملك الناس وماسهم واقدر عليهم وليس له منيل فيهم «؟»
 (٥) النكاليف : المشقات . لما غزا المنذر غزا قومنا معه فتحملوا شاق كثاراً . - أنحن وحدنا رعية
 لعمرو بن هند ؟ (٦) اذا قتل رجل من تغلب طل دمه - هدر فلم يأخذ احد بثأره - ، اما بنو بكر
 « قوم الحارث » فيأخذون بثأر قتلاهم . (٧) ايها - الناطق ... الا تنتهي عن تبليغ الاخبار ، اي
 الوشاية بنا . (٨) الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي . (٩) ذو المجاز : المكان الذي عقد فيه عمرو
 ابن كلثوم الصلح بين بكر وتغلب . العهود : المواعيث . الكفلاء : الرهائن . (١٠) المهارق «الورق»
 احذروا الظلم والتعدي فان العهود المكتوبة لا يجوز ان تخالف (١١) الشروط التي اتفقنا عليها
 تلزمكم كما تلزمنا . (*) ان الذي يهرب منا الى راس جبل او الى ارض حوة « بوكانية » رجلاء
 خشنة يترجل فيها ، اي لا تسير فيها الخيل والابل . - لا ينجو

أعلينا جُناح كِنْدَةَ أَنْ يَنْ نَمَ غَازِيَهُمْ وَمَنَا الْجُزَاءُ (١)
لَيْسَ مِنَّا الْمُضْرِبُونَ وَلَا قِيدَ سٍ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا الْحِذَاءُ (٢)
أَمْ جَنَّا يَا بَنِي عَتِيقٍ فَأَنَا مِنْكُمْ إِنْ غَدَرْتُمْ كِبَرَاءُ (٣)
ج - عنترة وجهاسته

ويلحق بباب الملاحم قصائد عنترة في الحماسة ولا سيما معلقته . وكذلك قصة
عنترة ملحمة من الطراز الاول ، فليراجع ذلك كله في الفصل الذي يعالج شعر
عنترة من هذه الدراسة .

(١) اتغزوكم كندة وتغمم منك ثم تريدون ان تأخذوا ثأركم منا نحن . ٣ و ٢ - لا الذين اعتدوا
كانوا منا ولا الذين اعتدي عليهم ، فاذا اردتم ان تغدروا فانا نتبرأ منكم .

٤ - الرثاء

الرثاء وصف الميت والتفجع له وذكر حسناته في الحياة . ويكون الرثاء من حيز المديح فيأتي فخماً متيناً شريف المعاني جامعاً للحكمة والتأمل في الحياة . وقد يكون من حيز الغزل فيأتي رقيقاً سهلاً قريب المعاني فيأض العاطفة كثير التفجع . والرثاء كالغزل ينبع في النفس الانسانية وهو قديم قدم الموت ، ولذلك كثر في الشعر كله قبل الاسلام وبعده .

والرثاء - بالاضافة الى الرائي - قسمان : قسم يقوله الشاعر في اهله كابيه وولده واخيه وزوجه ، ويكون مبنيّاً على العاطفة ، ثم قسم يقوله الشاعر اعجاباً بنفر من الغرباء كالقواد العظام والحكام والعلماء وفي الاصدقاء . ولا ريب في ان القسم الاول الصق بالعاطفة واخلق باسم « الرثاء » .

ولقد كان في الجاهلية شعراء اشتهروا بمراثيهم في اهلهم خاصة نعد منهم ساعدة بن جؤيّة و ابا خراش والمتنخل ، وهؤلاء هذليون ، ثم لبيد بن ربيعة و دريد بن الصمة والمهلل ، واقدمهم المهملل . ولقد ادرك الاسلام من الجاهليين شعراء برعوا في الرثاء نعد منهم ابا ذؤيب الهذلي والخنساء ومتمم بن نويرة ثم مالك بن الرّيب وقد لدغته حية وايقن بالهلاك فرثى نفسه .

١ - المهملل

المُهملل هو عدي بن ربيعة التغلبي من اهل العراق ومن اقدم الشعراء الذين وصلت اليها اخبارهم ، اذ هو خال امرئ القيس وجد عمرو بن كلثوم لامه . وتوفي المهملل في حدود ٥٣٠ م .

والمهلل اخو كليب وائل الذي قتله جساس فأدى مقتله الى نشوب حرب البسوس بين بكر وتغلب . فلما قتل كليب جعل اخوه المهملل يرثيه .

فَمِنْ مَرَاثِي مُهْمَلِلٍ فِي اخِيهِ كَلِيبِ :

- اختار ابو تمام في كتاب الحماسة من رثاء المهلهل لاختيه كليب :

نُبِثَتْ اِنْ النَّارَ بَعْدَكَ اَوْقَدْتَ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ
وَتَكَلَّمُوا فِي امْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ ، لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْبَسُوا (١)
وَإِذَا تَشَاءَ رَأَيْتَ وَجْهًا وَاضِحًا وَذِرَاعَ بَاكِئَةٍ عَلَيْهَا بُرْنُسُ (٢)
تَبْكِي عَلَيْكَ ، وَلَسْتُ لَأُثَمَّ حَرَةً تَأْسَى عَلَيْكَ بِعَبْرَةٍ وَتَنْفَسُ (٣)
- واختار له ابو زيد القرشي في جمهرة اشعار العرب قصيدة منها :

جَارَتْ بَنُو بَكْرٍ وَلَمْ يَعْدِلُوا وَالْمَرْءُ قَدْ يَعْرِفُ قَصْدَ الطَّرِيقِ (٤)
حَلَّتْ رِكَابَ الْبَغْيِ فِي وَاثِلٍ فِي رَهْطِ جَسَّاسٍ ثِقَالِ الْوَسْوَاقِ (٥)
يَا أَيُّهَا الْجَانِي عَلَى قَوْمِهِ جَنَائِيَةً لَيْسَ لَهَا بِالْمَطِيقِ ،
إِنْ رَكُوبَ الْبَحْرِ ، مَا لَمْ يَكُنْ ذَا مَصْدَرٍ ، مِنْ مَهْلِكَاتِ الْغَرِيقِ (٦)

إِلَى رُئِيسِ النَّاسِ وَالْمَرْتَجَى لِعَقْدَةِ الشَّدِيدِ وَرَتَقِ الْفَتُوقِ (٧)
مَنْ عَرَفَتْ يَوْمًا مَعَدُّهُ لَهُ عَلِيًّا مَعَدِّ عِنْدَ أَخْذِ الْحَقُوقِ
مَضْلَعًا بِالْأَمْرِ يَسْمُو لَهُ فِي يَوْمٍ لَا يَنْسَاغُ حَلْقُ بَرِيقِ
سَيِّدِ سَادَاتٍ إِذَا ضَمَّهُمْ مُعْظَمُ أَمْرِ (٨) يَوْمِ نَوْسٍ وَضِيقِ
لَمْ يَكْ كَالسَّيِّدِ فِي قَوْمِهِ بَلْ مَلِكٌ دِينَ لَهُ بِالْحَقُوقِ

(١) بجنوا في الامور . ولو كنت انت موجوداً لسكنوا هم وكان الرأي لك وحده . (٢) واضح : ابيض . برنس : ثوب . (٣) تنفس : تكثر التنفس تفريحا لحزنها . (٤) قصد الطريق : الطريق القويم ، وجه الصواب . (٥) الوسق : الحمل . (٦) اذا ركب الانسان البحر من غير ان يعرف الساحل الذي سينزل عليه فذلك من اسباب هلاكه في البحر وغرقه . (٧) رتق الفتوق : الاصلاح بين المتخاصمين . (٨) حادث عظيم ، مصيبة .

ان نحن لم نأر به فاشحذوا شِفَارَكُم منا لحز الخلق
اصبح ما بين بني وائل منقَطَع الحبل بعيد الصديق
ومن مرآئي مهلهل المشهورة في اخيه كليب :

أهَاجَ قِذَاءَ عَيْنِي الْإِدْكَارُ هَدَوْأَ (١) فَالدموع لها انحدار
وصار الليلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَار
وَبِتُّ أَرَاقِبُ الْجُوزَاءَ حَتَّى تَقَارِبَ مِنْ أَوَائِلِهَا أَنْحَادُ (٢)
أَقْلِبُ مَقْلَاتِي فِي إِثْرِ قَوْمِ تَبَايَنْتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فغَارُوا .
دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ فَلَمْ تَجِبْنِي وَكَيْفَ يُجِيبُنِي الْبَلَدُ الْقِفَارُ
أَجِبْنِي ، يَا كَلِيبُ ، خَلَكَ ذَمُّ (٣) لَقَدْ فُجِعْتُ بِفَارِسِهَا نَزَارُ
وَأَنْتَ كُنْتَ تَحَامُّ عَنْ رِجَالِ وَتَعْفُو عَنْهُمْ وَلَكَ اقْتِدَارُ .
فَلَا تَبْعُدْ فَكُلْ سَوْفَ يَلْقَى شَعُوبًا يَسْتَدِيرُ بِهَا الْمَدَارُ . (٤)
يَعِيشُ الْمَرْءُ عِنْدَ بَنِي أَبِيهِ وَيُوشِكُ أَنْ يَصِيرَ بِحَيْثُ صَارُوا .
كَأَنِّي إِذَا نَعَى النَّاعِي كَلِيبًا تَطَايَرُ بَيْنَ جَنْبِي الشَّرَارُ .
فَدَرْتُ وَقَدْ عَشِيَّ بِصَرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارُ (٥)

بما تقدم من المختارات نرى ان رثاء المهلهل ليس من النمط العالي في الشعر ،
وليس فيه تلك العاطفة العميقة التي تجعل منه رثاء يصلح ان يقوله اخ في اخيه . ثم

(١) الادكار : التذكر . هَدَوْأَ : عند هداة الليل ، اول الليل (٢) اقترب غيابها . (٣) تنزهت
عن كل شيء فيه ذم او عيب ، خلوت من كل عيب . (٤) لا تبعد : تعبير يقال نليت ، لا تذهب
عنا . شعوب : الموت . (٥) عشي بصري : ضعف . العقار : الحمر

ان بناء شعر المهلهل عموماً ليس بناء متيناً .
وفيا يلي نماذج يسيرة من الرثاء الجاهلي والمخضرم ترى فيه شوب العاطفة
وصدق القول وشرف المعاني ومتانة التركيب :

ب - الخنساء

هي ثُمَا ضِرْبَت عمرو الشريد من بني سليم ، والخنساء لقب لها . وكانت بنو
سليم يسكنون ما بين شمالي الحجاز ونجد . وقد خطبها دريد بن الصمة ، وكان
شيخاً كبيراً فردته اذ آثرت ان تتزوج في قومها . وكان زوج الخنساء متلافاً
فاتلف مالها ، فلبأت الى اخيها صخر فشاطرها ماله .

ثم قتل اخوها معاوية وصخر في الجاهلية فحزنت عليها حزناً شديداً
واخذت برثائها .

ولما جاء الاسلام وفدت على الرسول في نفر من قومها وأنشدته من شعرها ثم
اسلمت بين يديه .

ولقد كان للخنساء اربعة بنين ، فلما سار العرب لفتح العراق جمعت بنيتها الاربعة
وحضتهم على القتال ونصرة الاسلام فحاضوا معركة القادسية واستشهدوا جميعهم ،
فلما جاءها النعي بمصرعهم لم تزد على ان قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو
ان يجمعني بهم في مستقر رحمته .

وتوفيت الخنساء سنة ٤٢ للهجرة (٦٦٣ م) .

شعرها

الخنساء اعظم شواعر العرب على الاطلاق وشعرها متين السبك حلو الديباجة
فياض العاطفة . ولقد استفرغت الخنساء جهدها في رثاء اخويها معاوية وصخر ولم
ينهنه الاسلام من دمعها عليهما . ولما وفدت على عمر بن الخطاب في المدينة - ولها
من العمر خمسين عاما - قال لها عمر وقد رأى شدة حزنها عليها : لماذا تحزنين
عليهما وهما في النار ؟ فقالت ذلك ادعى لحزني عليهما ، لقد كنت من قبل ابكي
لهم من النار وانا اليوم ابكي لهما من النار .

ومع ان للخنساء شيئاً من الفخر فان رثاءها اشهر ، من ذلك قولها :

أعيني جودا ولا تجمدا ،
 ألا تبكيان الجريء الجميل
 رفيع العماد طويل النجا
 إذا القوم مدوا بأيديهمو
 فنال الذي فوق أيديهمو
 يحمله القوم ما عالمهم
 وان دُكرَ المجد ألفيته
 وقالت فيه ايضاً :

ألا يا صخر ان ابكيت عيني
 دفعت بك الخطوب وانت حي ،
 اذا قبُح البكاء على قتيل
 ومن رثاها المشهور :

يدكرني طلوع الشمس صخر
 ولولا كثرة الباكين حولي
 وما يبكون مثل اخي ولكن
 فلا والله لا انساك حتى
 فقد ودعت ، يوم فراق صخر
 فيا لهفي عليه ولهف امي :

لقد اضحككتني زمناً طويلاً .
 فمن ذا يدفع الخطب الجليلاً (٢)
 رأيت بكاءك الحسن الجميلاً .
 واندبه لكل غروب شمس .
 على اخوانهم لقتلت نفسي .
 أعزي النفس عنه بالتأسي .
 أفارق مهجتي وأزور رمسي .
 ابي حسان ، لذاتي وأنسي .
 أيصبح في الضريح وفيه يمسي ؟

(١) ارتفع موغلا في العلو . (٢) الخطوب : المصائب . الخطب الجليل : الموت

ج - دريد بن الصمة

دريد بن الصمة من سادات هوازن وفرسانهم، أدرك الإسلام فلم يسلم. واتفق أن غزا قومُه بني غطفان فأخرجوه معهم ليستفيدوا من رأيه لأنه كان قد شاخ في ذلك الحين. وظفرت هوازن بغطفان فانسحبت غطفان استدراجاً لبني هوازن فتبعهم بنو هوازن. عندئذ نصح دريد لقومه بأن القوم يكيدون لهم فلم يسمعوا منه بل تبعوهم. فارتدت غطفان على هوازن وهزمتهم. وكان في القوم أخوان لدريد: عارض وعبد الله، فقتل عبد الله في المعركة، فقال دريد يرثيه:

نصحت لعارض واصحاب عارض	ورحط بني الدوء والقوم شهدي (١)
فقلت لهم ظنوا بألقي مدجج	سراتهمو في الفارسي المسرد (٢)
فلما عصوني كنت فيهم وقد اري	غوايتهم وانني غير مهتد .
امرتهمو امري بمنعرج اللوى (٣)	فلم يستبينوا النصيح الا ضحى الغد .
وهل انا الا غزية ان غوت	غويت وان ترشد غزية ارشد . (٤)
تنادوا فقالوا : أردت الخيل فارساً	فقلت : أعبد الله ذاككم الردي ؟ (٥)
فجئت اليه والرماح تنوشه	كوقع الصياصي في النيسج الممدد (٦)
فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست	وحتى علاني حالك اللون اسودي (٧)

(١) نصحت للذهابين الى الحرب الا يفعلوا (٢) السراة : الوجهاء ، سادة القوم . الفارسي المسرد : الدروع المنسوجة - نسجاً جيداً - ان اعداءكم الفار رجل كالبوعدة الحرب ، اكثر منكم عدداً وسلاحاً (٣) منعرج اللوى : مستدار الرمل ، اسم مكان - لما وصلنا الى ذلك المكان قبل ان ندخل المعركة امرتهم بالرجوع فلم يعرفوا صواب رأبي الا في اليوم التالي بعد ان هزموا في المعركة . (٤) انا من قومي لا اعصيههم فان ضلوا ضلكت معهم وان اهدوا اهديت معهم (٥) أردى : قتل ، اهلك . الردي : القتل . (٦) تنوشه : تمزقه . الصياصي جمع صيصه : « المكوك » - كانت الرماح تمزقه بكثرة وبسرعة (٧) تنفست : تفرقت . الاسودي : الاسود . حالك اللون اسودي : غبار الحرب.

قتال امرئ آسى أخاه بنفسه ويعلم ان المرء غير مخلد . (١)
 فان يكُ عبدالله خلّى مكانه فما كان وقافاً ولا طائش اليد (٢)
 قليلُ التشكى للمصيبات حافظٌ من اليوم أعقاب الاحاديث في غد (٣)
 وطيب نفسي أني لم اقل له : كذبت ولم انجل بما ملكت يدي (٤)

د - لبید بن ربیعہ

وكان للبيد اخ اسمه أربد جاء في وفد من قومه الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو ينوي قتله ، ولكنه لم يستطع فرجع ولم يفعل شيئاً . الا انه كان دائماً
 يتوعد الرسول . وفي بعض الايام خرج أربد لبعض شأنه فأصابته صاعقة فأحرقته ،
 فقال لبيد يرثيه ، لما وصل اليه الخبر الحزن :

لعمري لئن كان المخيرُ صادقاً لقد رزئت في حادث الدهر جعفر (٥)
 اخا لي أما كلُّ شيءٍ سألتَه فيعطي واما كلُّ ذنبٍ فيغفر (٦)
 فان يكُ نوٌّ من سحابٍ أصابه لقد كان يعلو في اللقاء ويظفر (٧)
 وللبيد قصيدة فيها رثاء لاخته أربد وفيها حكمة ، منها :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع (٨)
 وقد كنت في اكثاف جار مضنة ففارقني جار بأربد نافع (٩)
 فلا جزعُ إن فرق الدهر بيننا فكل امرئ يومأ به الدهر فاجع
 وما الناس إلا كالديار واهلها بها يوم خلّوها وراحوا بلاقع (١٠)

(١) لم اكن اربد الموت لان الموت لا بد منه . قائلت عنه قتالا صادقا لانه اخي وهو كنفي .
 (٢) طائش اليد : الذي لا يصيب الهدف ، قليل العلم بالحرب (٣) كان صبوراً قليل الشكوى وكان لا
 يأتي اليوم عملاً كمن ان يلام عليه غداً) انا مطمئن ولومات اخي ، لاني لم اخذله في الحرب ولاني دافعت عنه
 بقدر استطاعتي (٦٥) جعفر بنو جعفر ، قوم لبید . جعفر نائب فاعل . اخاً مفعول به ثان (٧) النو : الحوادث
 الجوية ، المطر الصواعق ... اللقاء : الحرب ، القتال . (٨) نحن نفى ولكن النجوم خالدة بعدنا
 والارض والبلدان (٩) كان اربد جاراً « شريكاً في الحياة » اضن به (١٠) بلاقع : خراب .

وما المرء الا كالشهاب وضوئه
وما المال والاهلون الا ودائع
وما الناس الا عاملان : فعامل
فمنهم سعيدٌ آخذٌ بنصيبه
لعمرك ما تدري الطوارق بالخصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع (٤)
يحد رماداً بعد اذ هو ساطع (١)
ولا بد يوماً ان تُردَّ الودائع
يُتَبَّر ما يبني وآخر رافع (٢)
ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانع (٣)

و - متم بن نورة

كان متم من بني تميم وهو شاعر مخضرم . ولقد اتفق ان قُتل اخوه مالك في
حروب الردة في ايام ابي بكر ، في حديث طويل ، فعزن عليه ورثاء رثاء رقيقاً بليغاً :
لعمري ، وما دهري بتأبين مالكٍ ولا جزعٍ مما أصاب فأوجما (٥)
لقد كفَّ المنهالُ تحت ردائه فتى غير مبطان المشيات اروعا (٦)
لبيباً أعان اللبُّ منه سماحةً خصيباً اذا مارا كب الجذب اوضعا (٧)
أغرَّ كنصل السيف يهتز للندى اذا لم يجد عند امرىء السوء مطمعا (٨)
فميني جودي بالدموع لما لك اذا أردت الريح الكنيف المربعا (٩)

(١) يكون للشهاب «النيزك» مضيئاً جداً وهو ساقط في طبقات الهواء ، ثم يحترق ويتلاشي ،
وكذلك الانسان يكون حياً ثم يموت (٢) يتبر : يهدم ، يدمر . رافع : بان «من يبني» (٣) بالمعيشة
قانع : خامل يكتفى من الحياة بان يأكل ويشرب وينام (٤) الطرق بالخصا وزجر الطير من اعمال
استطلاع المستقبل . ان هذا كله لا يدل على المستقبل والله لم يهب علم الغيب لاحد من خلقه .

(د) لا اريد تأبين اخي مالك ولا اني جزعت من المصائب الذي اوجمني «؟» (٦) المنهال : اسم
رجل مر بمالك وهو قاتل فخلع ثوبه والقاه على مالك . غير مبطان المشيات : قابل الطعام في المساء
اروع : جميل (٧) اضاف الى حسن فضله كرماً . راكب الجذب : الذي يأتي من بلاد مجدبة . اوضع :
اناخ ناقة . (٨) اذا جاءه احد من بلاد مجدبة وجد عنه ارزاقاً كثيراً ووجده كريماً ، اذا بخل غيره .
(٩) اذا قلت الريح البيت المربع «المبنى بالحجارة؟» - في الشتاء حين يقل الطعام وتكثر الحاجة .

فتى كان مخذوما الى الروعر ركضه
وما كان وقافاً اذا الخيل احجمت
أبى الصبر آيات اراها وانني
واني متى ما ادعُ باسمك لا تُجيب
سقى الله أرضاً حلها قبر مالك
فوالله ما أستمي البلاد لحبها
تحيته مني وان كان نائياً
فان تكن الايام فرقة بيننا
وعشنا بخير في الحياة وقبانا
وكنّا كندمانى جذية حبة
فلما تفرقنا كأني ومالكاً

سريعاً الى الداعي اذا هو فزعاً (١)
ولا طائشاً عند اللقاء مروّعا (٢)
أرى كل جبل بعد حبلك أقطعا (٣)
وكنّت حريّاً ان تجيب وتسمعا (٤)
ذهب الغواصي المدجنات فامرعا (٥)
ولكنني أسقي الحبيب المودعا (٦)
وامسى تراباً فوقه الارض بلقعا (٧)
لقد بان محموداً اخي يوم ودعا (٨)
اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا (٩)
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا (١٠)
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا .

(١) كان سريع الركض الى الحرب وسريعاً اذا دعاه أحد نزلت به مصيبة .
(٢) اذا تراجع الخيل خوفاً من هول الحرب لم يقف هو بل اقدم . واذا حارب احسن اصابة
الاعداء ولم تخفه الحرب (٣) الآيات : العلامات - الذي جعلني آسي عليك علامات من الخير «الشجاعة
الكرم الخ» كنت اراها فيك وعلمي ان لائقة بمدك باحد ؛ وانني الآن ادعوك فلا تجيب « لانك
ميت » وكان خليفك ان تجيب « لاننا نحن لا نزال بحاجة اليك » (٥) ذهب جمع ذهبة : السحاب
الغواصي : النني تأتي باكرأ . مدجنة : سوداء لكثرة ما فيها من الماء (٦) اسقي : اطلب السقيا .
(٧) تلك تحيته مني وان كان قد اصبح بعيداً عني ، وصار عليه تراب ، وامست الارض حوله فاحلة لا
شي . فيها (٨) لقد مات اخي يوم مات والناس كلهم يمدحونه (٩) رهط كسرى وتبع : اصحاب ملوك
فارس وملوك اليمن . (١٠) ندمان : نديم . نديما جذية الابرش اول ملوك الحيرة كانا مالكا وعقلا
ابني فارح بن كعب جعلهما جذية نديمين له لانهما ردا عليه ابن اخت له فحكمهما في ما يريدان منه
فطلبا ان يكونا نديمين له . ثم قتلها في حديث طويل .

فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَنَّا (١)
وَحَسْبُكَ أَنِي قَدْ جَهَدْتُ فَلَمْ أَجِدْ بِكَفَى عَنْهُ لِلْعَيْنَةِ مَدْفَعًا (٢)
وَقَدْ غَالَنِي مَا غَالَ قَيْسًا وَمَالَكَ مَا لَوْ أَنَّ مَا أَتَقَى أَصَابَ مُتَالَعًا (٣)
أَوِ الرَّكْنِ مَنْ سَلِمَ إِذَا لَتَضَعُضَعَا (٤)

د - ابو ذؤيب الهذلي

ابو ذؤيب الهذلي شاعر مخضرم توفي في أيام عثمان بن عفان في طريقه الى مصر. وقد كان له خمسة بنين هلكوا في عام واحد، أصابهم الطاعون. فقال يرثيهم:

أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ ؟ وَالْدَّهْرِ لَيْسَ بُعْتَبٍ مِنْ يَجْزَعُ (٥)
قَالَتْ أُمَيْمَةُ : مَا لَجَسِمِكَ شَاحِبًا مِنْذُ أَبْتَذَلْتُ وَمِثْلَ مَالِكَ يَنْفَعُ (٦)
أَمْ مَا لَجَسِمِكَ لَا يَلَاثِمُ مَضْجَعًا إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ ؟ (٧)
فَأَجَبْتُهَا : أَمَا لَجَسْمِي إِنَّهُ أَوْدَى بَنِيَّ مِنْ الْبِلَادِ دَفُودَعُوا (٨)
أَوْدَى بَنِيَّ وَأَعْقَبُونِي حَسْرَةً بَعْدَ الرَّقَادِ وَعِبْرَةً مَا تُقَالَعُ (٩)
سَبَقُوا هَوًى وَاعْنَقُوا لَهْوَاهُمْ فَتُخَرَّمُوا أَوْ أَلْكَلَ جَنْبَ مَصْرَعٍ (١٠)

(١) تمنع : امتنع من العدو ، دافع عن نفسه (٢) لقد حاولت جهدي ان ارد الموت عنه فلم أقدر
(٣) غالي : أصابني « اي الموت » . المشقر : يوم من أيام العرب ، معركة . اي أصابني في اخي
مالك ما أصاب هؤلاء . اجمع جميعاً . وفي رواية : ألمعا ، اي ذهب بهم (٤) متالع : جبل . سلمى :
جبل - لو ان الذي أصابني في اخي مالك أصاب جبلي متالع وسلمى لانهدا كلاهما .
(٥) المنون : الدهر ، الموت . اعتب : ارضى - الموت لا يهتم بمن يجزن على هالك له (٦) ابتذل :
امتهن نفسه في العمل والسفر - كان بنوك يكفونك امر العيش ، وارك بعدم تعمل فهزل جسمك
مع ان لك مالا يغنيك عن العمل للكسب (٧) أصبحت لا تستطيع النوم على فراش (٨) اما : اما
الذي . اودى : هلك (٩) عبرة ما تقلع : دمع لا يحف ابداً (١٠) هوي . هواي « ماتوا قبلي
و كنت اود ان اموت قبلهم » . نخرمهم الموت : اخدم واحداً واحداً .

فغبرت بعدهم بعيش ناصب
ولقد حرصت بان ادافع عنهم
وإذا المنية أنشبت أظفارها
فالعين بعدهم كأن حذاقها
حتى كأني للحوادث مروة
وتجلدي للشامتين أريهم
لا بد من تلف مقيم فانتظر
ولقد أرى ان البكاء سفاهة
وليأتين عليك يوم مرة
والنفس راغبة اذا رغبتهما
كم من جميعي السمل ملتئمي الهوى
فلئن بوم فجع الزمان وريبه
بعدئذ يمضي ابو ذؤيب فيضرب امثلة على ان الموت لا يبقى على احد : الثور
النشيط الذي يرتع مع شاته (زوجته) في روضة غناء ، يحف ماء الروضة وعشبها
ثم يجيء قانص فيرميها فيقتلها . وكذلك الفارسان يتنازلان في حومة الوغي :

وإخال أني لاحق مستتبع (١)
وإذا المنية أقبلت لا تدفع
ألقيت كل تيممة (٢) لا تنفع
سملت بشوك فهي عور تدمع (٣)
بصفا المشتّر كل يوم تُقرع (٤)
أنى لريب الدهر لا أتضعضع
أبارض قومك ام بأخرى المضجع
ولسوف يولع بالبكاء من يفجع (٥)
يبكى عليك مقنعا (٦) لا تسمع
وإذا تُردُّ الى قليل تقنع .
كانوا بعيش واحد فتصدعوا
إني باهل مودتي لمفجع .

(١) غبر : بقي . ناصب : متعب

(٢) حجاب ، حرز (٣) حذاق جمع ، حذقة : موضع النظر من العين . سملت : فقت . عور : جمع عور وعوراء : مصابة بأذى (٤) مروة : صخرة . ويروي : بصفا المشرق - كأني صخرة في السوق « صفا المشقر » يمر الناس عليها دائماً . والمشقر ايضا جبل هذيل . ولعله يعني صخرة المشقر عند مكة وهي التي ترجمه في مواسم الحج ، يمر بها كل حاج فيقذفها بسبع حجارة صغار (٥) لا فائدة فيه من البكاء ولكن سيظل الناس يبكون كلما فجعوا .

(٦) على وجهك قناع : ميت .

١. فتنازلا وتواقفت خيلاهما
 ٢. يتحاميان المجد كل واثق
 ٣. فكلاهما متوشح^١ ذا رونق
 ٤. وكلاهما في كنه^٢ يزينة^٣
 ٥. وعليهما مسرودتان قضاها
 ٦. فتخالسا نفسيهما بنوافذ^٤
 ٧. وكلاهما قد عاش عيشة ماجد
 ٨. ففقت ذبول^٥ الريح بعد عليهما
١. وكلاهما بطل اللقاء مخدع^١
 ٢. ببلائه فاليوم يوم أشنع^٢
 ٣. عضباً إذا مس^٣ الضريبة يقطع^٤
 ٤. فيها سنان كالمنارة أصلع
 ٥. داوود أو صنع السوابغ تبع^٥
 ٦. كنوافذ العبط التي لا ترقع^٦
 ٧. وجني العلى لو ان شيئاً ينفع
 ٨. والدهر^٧ يخصد ريبه ما يزرع^٨

(١) اللقاء : القتال . مخدع : مجرب في الحرب - فتنازلا مدة طويلة لا يتغلب احدهما على الآخر .
 (٢) ببلائه : بمقدرته وشجاعته . أشنع : كريبه . كل واحد منهما يحاول ان يدافع عن مجده وشهرته .
 (٣) ذو رونق : سيف براق ماض . عضب : قاطم . الضريبة : ما يقع عليه السيف (٤) رمح .
 (٥) مسرودة : درع . قضاها : صنعها . داوود كان مشهوراً بصنع الدروع او بما عنده من دروع جيدة .
 (٦) السوابغ : الخاذق . السوابغ : الدروع . تبع : لقب للملك اليمن . اي دروع جيدة كأنما صنعت لداوود او لتبع (٦) النافذة : الطعنة التي تنفذ من جانب في الجسد الى جانب آخر . العبط جمع عبط : « كثرت ثقبوها فلا يمكن رقعها » (٧) تحت الريح مكان موتها « غطتها بالمال » . ريبه : حوادثه .

٥ - الهجاء

الهجاء هو سلب الصفات الحميدة عن الخصم ونسبة زهدا له . والهجاء اما ان يتناول شخصاً واحداً او ان يتناول مجموعاً من الاشخاص . اما الهجاء الشخصي فكان نادراً في الجاهلية ، اذ كان اكثر الهجاء هجاء قبلياً يتناول القبيلة التي ينتسب اليها الخصم .

ثم ان الهجاء كان يتناول الصفات الخُلُقِيَّة المذمومة كالبلخل والجبن والسوء والتعاس عن النجدة وعن قِرَى الضيوف - لقد كان الهجاء ضد الفخر . على انه ربما تعرض الهاجي للعيوب الجسدية . وكان الهجاء ، كيفما دارت به الحال ، مكروهاً في الجاهلية ، قال أُرطاة بن سُهْمَةَ المُرِّي :

تَمَنَّتْ - وَذَاكُم مِّنْ سَفَاهَةٍ رَّأَيْهَا - لَا هَجْوَهَا ، لَمَّا هَجَّتْنِي مُحَارِبُ .
مَمَّاذَ الْآلَةِ ، إِنَّنِي بِقَبِيلَاتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لِرَاغِبٌ .
وقل ان جاء الهجاء الشخصي خالياً من التعريض بالقبيلة ، لأن الفرد في الجاهلية كانت قيمته مستمدة من قيمة قبيلته ، قال خارجة بن ضرار المري :

أَخَالِدُ ، هَلَا إِذْ سَفِهْتَ عَشِيرَةً كَفَفْتَ لِسَاذَ السَّوِّءِ أَنْ يَتَدَعَّرَا (١) .
وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا حَوْتُكَ يَا أَلَا قَهْ بَنُو عَمِّهِ حَتَّى بَغَى وَتَجَبَّرَا (٢) ؟
فَإِنَّكَ وَأَسْتَبْضَاعَكَ الشَّعْرَ نَحُونَا كَسْتَبْضِعَ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَا (٣) .
ومن الهجاء الشخصي المرقول النابغة يهجو عامر بن الطفيل بعد ان هجا عامر هذا بني ذبيان . قال النابغة :

فَإِنْ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَنَ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابِ (٤) .

(١) الدعر : السفه والخبث - الا يكفي ان تكون عشيرتك سفينة حتى يسفه لساذك ايضا .
(٢) الحوْتُكي : القصير . الاقَه (فعل ماضي) : امسكه ، ساعده - كنت ضعيفا فلما نصرك بنو عمك قويت فبغيت . (٣) خيبر منطقة قرب المدينة يكثر فيها النمر . (٤) في رواية : مظنة الجبل «مكانه» .
- انك لاتزال شاباً جاهلاً .

فكن كأيك او كأبي برآء توافقك الحكومة والصواب (١).
 فلا يذهب بملك طاميات من الخيلاء ليس لمن باب (٢).
 فإنك سوف تحلم او تناهي اذا ما شبت او شاب الغراب (٣).
 « فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه (٤) وقال : ما هجاني احد حتى
 هجاني النابغة : جعلني القوم رئيساً وجعلني النابغة سفيها جاهلا وتهكم بي » (٥).

اما الهجاء القبلي او الهجاء القومي « ويمكن ان يسمى ايضا الهجاء السياسي
 لانه يتناول سياسة الاحزاب المختلفة ويبني على العصبية » فهو كثير بالاضافة الى
 الهجاء الشخصي . ومن أشهر ما ورد من ذلك في الجاهلية قول النابغة :
 نبت زُرْعَة والسفاهة كاسمها يُهدي إلي غرائب الاشعار .
 وسترده هذه القصيدة مع قصتها في دراسة النابغة .

(١) ابو براء عم عامر بن الطفيل كان يسمى ملاعب الاسنة ، وكان سيداً حكيماً - ابوك وعمك
 ميدان شريفان حكيان وانت سفيه خاطيء الرأي . (٢) طاميات : مرتفعات . اللب : العقل .
 الخيلاء : العجب والتكبر . - لا تدع عجبك بنفسك يعظم حتى يذهب بعقلك . (٣) سوف تصبح عاقلاً
 حكيماً او ينتهي جهلك على الاقل اذا شبت او اذا شاب الغراب « لن تصبح حكيماً ، لان الغراب
 لا يشيب » . (٤) صعب عليه ، اساء اليه . (٥) العمدة ٢ : ١٦٤

٦ - الغزل والنسب

الغزل وصف اعضاء المرأة الظاهرة كسواد شعرها وحمرة خديها واعتدال قوامها . اما النسب فهو التشوق للمرأة والشكوى من البعاد (١) . وكان الغزل والنسب في الجاهلية يدوران حول المرأة ويجريان في لفظ مؤنث ايضا . ولقد اتفق ان طرفة بن العبد تغزل بانثى ولكن في لفظ مذكر فقال :

وفي الحي احوى ينفض المرء شادن مظاهرُ سَمِطِيْ اُولُوْءِ وزبرجد
الا ان هذا نادر ، والمقصود به انثى لا شك في ذلك .

وقلما جاء الغزل والنسب وذكر اللهو مع النساء الا معا . واحسن ما يمثل ذلك في الشعر الجاهلي وارقه واجمعه قول المزار بن المنقذ العدوي في قصيدته التي مطلعها :

عجبُ خولةُ إذ تُنكرني ام ترى خولة شيئا قد كبر (٢)
فهو يقول فيها :

ما انا اليوم على شيء مضي ، يا ابنة العم ، تولى بحسرة (٣)
قد لبست الدهر من افنانه كل لون حسن منه حبر (٤)
وتعللت وبالي ناعم بغزال احور العينين غر (٥)
هل عرفت الدار ام انكرتها بين تبراك فشسي عبقر (٦)
قد نرى البيض بها مثل الدمي لم يخنهن زمان مقشعر (٦)

(١) راجع الفرق بين الغزل والنسب في « ابو نواس » للدكتور عمر فروخ ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة ، ص ٨٠ وما بعدها (٢) تنكرني : تنجاهاني (٣) انا لست حزينا على شيء مضي من عمري (٤) قد عرفت جميع ضروب الحياة وفتنت باحسنها (٥) وفتنت كثيرا وبالي هادى بفتاة سوداء العينين غريرة ممجبة بنفسها غير مجربة « صغيرة السن » (٦) البيض : النساء . الدمى : اللعب ، التماثيل . « الجميلة » . لم يخنهن زمان مقشعر : لم يرمهن الدهر بالشيخوخة ولا بالمصائب .

يتلهينَ	بنومات	الضحى	راجحاتِ الحلم والأنس خُفِرَ (١)
قُطِفُ	المشي	قربيات الخطى	بُدنًا مثل الغمام المُنْخَر (٢)
يتزاورنَ	كتقطاء	القطا	وطِعمَنَ العيش حلواً غيرَ مر (٣)
لم يطاوعنَ	بصُرم	عاذلاً	كاد من شدّة لوم يَنْتَحِرَ (٤)
وهوى	القلب	الذي اعجبه	صورةُ احسنُ من لاث الحُمُر (٥)
راقه	منها	بياض ناصع	يُونِقُ العينَ وضافٍ مسبكر (٦)
واذا تضحك	ابدى	ضحكها	أقحوانًا قيدته ذا أُشُر (٧)
لو تطعمت	به	شبهته	عسلاً ، شيب به ثلج ، خَصِر (٨)
صلّة الخد	طويل	جيدها	ناهد الثدي ولما ينكسر (٩)
فهي	هيفاء	هضم كسحها	فخمة حيث يُشدُّ المؤتر (١٠)
تطأ	الحز	ولا تكرمه	وتطيل الذيل منه وتجر (١١)
عَبَقَ	العنبر	والمسكُ بها	فهي صفراء كعُرجون العُمُر (١٢)

(١) هن منعمات ينمن حتى ترتفع الشمس ، يؤنس الصديق ولهن راحة عقل مع حياه كثير .
(٢) قطف المشي : هادئات المشي . بدن : سمان . المزخر : المرتفع . ، واذا ارتفع الغمام ورق وبيض .
(٣) تقطاء : مشي القطة «نوع من الطير» ، مشي قصير الخطوات . طمعن : ذفن (٤) نهاهن العاذل عن الحب فلمنه
لوماً شديداً حتى كاد ينتحر (٥) هي اجمل من لبس خماراً (٦) يونق : يعجب . ضاف مسبكر : شعر
وافٍ طويل (٧) انحوان : اسنان . قيدته : حزنه بآبرة ثم وضعت عليه اثمداً «كحلا» ليحلك لونه ،
فعلت ذلك بلمتها في الاغلب (٨) تطعمت به : ذفته . شيب : مزج . خصر : بارد . (٩) صلّة الخد :
منجردة الخد ، خدها أملس غير مترهل . ناهد : مرتفع . لم ينكسر ثديها بعد لانها صغيرة السن .
(١٠) هيفاء : ضامرة . هضم كسحها : خصرها نحيف . فخمة حيث يشد المؤتر : ضخمة الاوراك .
(١١) غنية مترفة تجعل الحز «الحرير» موطناً لها « فرشاً لارض بيتها » . واذا لبست حريراً جعلته
طويل الذيل . (١٢) عرجون العمر : قرط بلح السكر ، لونه اصفر جميل ، والعرب تحب اللون المذروج
بصفرة .

إنما النوم عِشاءَ طِفْلاً سِنَّةٌ تأخذها مثلُ السُّكْرِ (١)
والضحى تغلبها رقدتها خَرَقَ الْجُوذِرِ في اليومِ الخدرِ (٢)
وهي لو يُعصر من اردانها عَبَقُ المسكِ لكادت تنعصر
املح الخلق إذا جَرَدَتْها غيرِ سَمْطَيْنِ عابها وَسُوزُ (٣)
لحسبتَ الشمسِ في جلبابها قد تبدت من غَمَامٍ منسفر
صورة الشمسِ على صورتها كلما تغرب شمس او تَدُرُ (٤)
تركتني ليس بالحيِّ ولا مَيِّتٍ لاقى وفاةً فقهر
يسأل الناسُ ، أحمى داؤه ام به كان سلال مستسر ؟ (٥)
وهي دائي ، وشفائي عندها منعه فهو مَلُويٌّ عَسِرُ (٦)

ولم يكن في نفس الجاهلي رهبة حِيَالِ المرأةِ فَلَدَهَا الرجلُ بها وذكر ذلك في شعره تلميحاً وتصريحاً . والذين ذكروا لهوهم بالمرأة صراحة كثار : امرؤ القيس وطرفة وعمرو بن كلثوم والاعشى وبشامة بن عمرو وسويد بن أبي كاهل البشكري والمرار بن المنقذ العدوي الذي مرت بنا أبياته .

الاعشى

الاعشى ابو بصير ميمون بن قيس بن جندل من بني بكر بن وائل ، كان من فحول الشعراء في الجاهلية ومن شعراء المعلقات . وقد نسبت اليه معلقتان . وكان الاعشى كثير الاسفار في بلاد العرب يمدح امراءها وسرايتها ويتكسب منهم . وفي سنة ٨ للهجرة مدح الاعشى محمداً صلى الله عليه وسلم واراد ان يذهب اليه ليسلم .

(١) الطفل : الاصلبى ، وقت العصر . سنة : نوم (٢) في رواية : وفدتها «حرها» خرق الجوذر : كخمول الجوذر «الظليء الصغير» في اليوم الخدر «البارد» (٣) السمط : العقد . السور جمع سوار (٤) ذرت الشمس : اشرقت (٥) السلال : السل . مستسر : مخنف (٦) ملوي : مطول ، اي أسأها دواءً لدائي فتعدني ولكن لا تفني .

ولكن ناقته رمت به في اثناء الطريق فقتل . اما القصيدة فمطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة ارمدا وعادك ما عاد السليم المسهدا (١) !
ومنها يذكر ناقته ثم ينتقل الى ذكر محمد رسول الله :

فأليت لا ارثي لها من كلاله ولا من حفى حتى ترور محمدا (٢) .
نبي يرى ما لا ترؤن وذكره أغار لعمرى في البلاد وانجدا (٣) .
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقى من فواضله يدا (٤) .
له صدقات ما تغب ونائل وليس عطاء اليوم مانعه غدا (٥) .
واشتهر الاعشى بالمديح والغزل والحمر ، حتى قيل اشعر الناس ... الاعشى
اذا طرب . فمن شعره في اللهو والغزل الصريح ما جاء في احدى معلقتيه :

صدت هريرة عنا ما تكلمنا جهلاً بام خليل حبل من تصل .
قالت هريرة لما جئت زائرهما : ويلى عليك وويلى منك يا رجل .
وقد أخالس رب البيت غفلته ، وقد يحاذر مني ثم لا يثل (٦) .
وقد أقود الصبى يوماً فيتبعني ، وقد يصاحبني ذو الشرة الغزل (٧) .
ومن قوله في الغزل الصريح :

عهدي بها في الحى قد سربت هيفاء مثل المهرة الضامر (٨) .
قد نهّد الشدي على نحرها في مشرق ذي صبح نائر (٩) .

(١) ليلة ارمدا : كناية رمدت فيها عيناك « اصابها الرمد : المرض » . عادك : رجع اليك مرة بعد مرة . السليم : اللديغ ، الذي لدغته الحية ، سمي سليماً تفاؤلاً بسلامته .
(٢) آلى : أقسم : رثى : اشفق . كلاله : تعب . حفى : السير بلا حذاء : كناية عن الالم من كثرة المشي (٣) أغار : وصل الى الغور ، الوادي . انجد : وصل الى النجد ، المكان المرتفع .
(٤) ناخت الناقة : مركت - اذا وصلت الى باب محمد استرحت وثلت من كرمه
(٥) تغب : تأتى يوماً بعد يوم . - عطاياه لا تنقطع (٦) يثل : ينجو ، لا يستفيد من حذره
(٧) الشرة : نشاط الشباب (٨) هيفاء : ضامرة ، نحيلة (٩) نهّد : ارتفع . الصبح : لون الحلى - ان يياض صدرها مشوب بحمرة وذلك من الجمال عند العرب . نائر : نير ، منير .

حتى يقول الناس ، مما رأوا : يا عَجَبًا لِمَيتِ النّاشِر (١) .
وللاعشى شعر في اللهو بالنساء بادي الصراحة بعيد في المغامرة وفي الخروج عن
اللهو الى الاستهتار :

رَحَلَتْ سُمَيَّةٌ غَدَوَةً أَجْمَالَهَا غَضِبَنِي عَلَيْكَ ، فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا ؟ (٢)
سَفْهًا وَمَا تَدْرِي سُمَيَّةٌ وَنُجْمَا أَنْ رُبَّ غَانِيَةٍ صَرَمَتْ حَبَالَهَا (٣)
وَمَصَابِ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارَهَا نَشَرْتُ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرِحَالَهَا (٤)
قَدْ بَتُّ رَائِدَهَا وَشَاةٍ مُحَاذِرٍ حَذَرًا يُقِلُّ بَعِينَهُ أَغْفَالَهَا (٥)
فَظَلَمْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا .
فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنَهُ (٦) عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَالَهَا .
حَفِظَ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلًا (٧) فَخَلَّتْ لِصَاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلَا لَهَا .

(١) النّاشِر : المنشور ، الذي ينهض من القبر (٢) رحلت أجمالها : ساقطت جمالها وسافرت . ما بدا لها زما غيرها عن حالها الاولى ؟ (٣) هذا قلة عقل منها . الا تدري كم من فتاة جميلة انا هجرتها ! (٤) مصاب غادية : مكان سقوط المطر من غيمة في الصباح ، نبت نباتها وازهر كأن تجار اليمن فرشوا عليها بضائعهم «المختلفة الالوان» وسروج مطاياهم الجميلة الصنع (٥) قصدت هذا المكان وقصدت امرأة رجل غيور لا تغفل عينه عن حراستها (٦) انتهزت غفلة يسيرة منه . شاة : امرأة ، زوجة (٧) كان يحرسها في النهار ولكن غفل عنها في الليل .

٧ - الخمر

كان القول في الخمر في الجاهلية (١) كثيراً ، على انه كان غرضاً من اغراض القصيدة يرد فيها عَرَضاً ، ولم يكن موضوعاً مقصوداً لذاته . وكان يغلب على الشاعر الجاهلي ، اذا ذكر الخمر ، ان يتمدح بشربها وباسقامها للآخرين ، اي ان شرب الخمر كان مظهراً من مظاهر الغنى والكرم ، لقلتها في الجاهلية وغلاء ثمنها . ولا ريب في انها كانت ايضاً مظهراً من مظاهر اللهو .

اما وصف الخمر في الشعر الجاهلي فجاء منشوراً في القصائد المختلفة ، وقل من الشعراء الجاهليين من لم يصفها ، جعلها عمرو بن كلثوم مطلع معلقته :

ألا هبي بصحنك واصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا (٢)
وكذلك ذكرها طرفة بن العبد وعدّها من اسباب لهوه ولذته :

ولولا ثلاث هُنَّ من لذة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودِي (٣)
ومثله فعل عنترة مفتخراً بانه يشربها ويسقيها لاصحابه :

ولقد شربت من المُدامة بعدما ركد الهواجرُ بالمشوف المُعَلَّم (٤)
وربما توالى الابيات في الخمر تمهيداً يخرج منه الشاعر الى غرض آخر كما فعل المرقش الاصغر ، فقد وصف الخمر ليتخلص من وصفها الى وصف ريق حبيبته :

وما قهوة صهباء كالمسك ريحها تُعلُّ على الناجود طوراً وتُقدِّح (٥)

ثوت في سباء الدنِّ عشرين حِجَّةً يُطان عليها قرمد وتروح (٦)

سباها رجال من يهود تباعدوا لجيلان يذنيها الى السوق مريح (٧)

(١) راجع « ابو نواس » للدكتور عمر فروخ ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة ، ص ٥-١٣ ،
(٢ م ١٩ ، ص ٣١ . ٣) راجع معلقة طرفة في هذه الدراسة (٤) راجع معلقة عنترة في هذه الدراسة (٥) صهباء : حمراء اللون . الناجود : وعاء للخمر . تعل : تؤخذ قليلاً قليلاً . تقدح : تغرف (٦) في سباء الدن : اسيرة في الدن . تروح : تبرد . (٧) اتي بها قوم يهود من جيلان « وراء طبرستان من ارض فارس ، يقصد : من مكان بعيد » لبيعوها بثمن غال .

باطيب من فيها اذا جئت طارقاً من الليل، بل فوها ألد وانضح (١)
وينسب لعدي بن زيد ابيات جياذ في الخمر تخالف سائر شعره في ديباجتها :
بكر العاذلون في وضح الصب ح ، يقولون لي : أما تستفيق ؟
ويلومون فيك ، يا أبنّة عبد الله ، والقلب عندكم موثوق (٢).
لمست أدري إذا كثروا العذل فيها؛ أعدو يلومني ام صديق ؟
ودعوا بالصّبح يوماً فقامت قينة في يمينها إبريق (٣).
قدمته على عقار كعين الد يك صمّي سلافها الراوق (٤)
مرة قبل مزجها فاذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق .
وطفا فوقها فقايع كاليا قوت حمر يزيناها التصفيق (٥).
ثم كان المزاج ماء سحاب لا صدى آجن ولا مطروق (٦).

الاعشى

على ان الشاعر الجاهلي الذي وصف الخمر فأكثر واجاد انما هو ابو بصير ميمون ابن قيس المعروف بالاعشى . اكثر الاعشى من وصف الخمر وأتى في وصفها بالمعاني الجامعة المبتكرة بالنسبة الى عصره مع وصف اثر الخمر في الشاربين ومجالس شربها . ولكن وصف الخمر لم يصبح فنا عند الاعشى قائماً بنفسه كما اتفق لابي نؤاس فيما بعد . فمن جيد قول الاعشى في الخمر :

(١) طارقاً : في الليل . انضح : اصفى ، اطيب (الذ ٢) موثوق ، يقصد موثق : مشدود ، مربوط (٣) الصبح : شرب الخمر صباحاً . القينة : جارية تسقي الخمر وتعني (٤) العقار : الخمر السلاف : اجود الخمر . الراوق : المصفاة او خابية توضع فيها الخمر مدة حتى تصفو ويرسب ما فيها من قذري - وضعت الخمر في راوق فجادت (٥) صفق الشراب : سبه من اناه في اناه آخر مرات كثاراً (ليصفو ٦) ماء سحاب : مطر . صدى (٦) . آجن : منتن ، فاسد . مطروق : يستقي منه الناس كثيراً ، ولذلك كان عكراً .

وكأس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أني أمروء أتيتُ المعيشة من بابها
وشاهدنا الورد واليا سمين والمسمعات بفضاها (١)
ومزمرنا مُعَمِّلٌ دائمٌ فأَيُّ الثلاثة أَرى بها (٢)؟
ومن خمرات الاعشى المستجادة قوله :

وصهباءٌ صرفٌ كلون الفُصو ص باكرت في الصبح سوارها (٣)
فطوراً قميلٌ بنا مرةً وطوراً نعالج إمرارها (٤)
تكاد نُنشِّي ولما تُذَقْ وتُغشي المفاصل إفتارها (٥)
تدب لها فترة في العظام وتُغشي الذوائب فوارها (٦)
تمزرتها في بني قابيا وكنت على العلم مختارها (٧)
إذا سُمْتُ بانعها حنَّه عَنُفْتُ وأغضبت تجارها (٨)

ومما ينسب الى الاعشى في الخمر ويتسم بخصائصه ابيات له تشبه ان تكون من
الشعر المحدث تأتي فيمالي . والملاحظ ان الاعشى ينظم خمرياته او قصائده التي ترد فيها

(٢٠١) قصاب جمع قاصب : الزامر ، النافع في القصة . فهل في هـ هذه الثلاثة : الزهر « الورد
والياسمين » ثم المغنيات ثم الزامر ما يشين الخمر ؟ (٣) صهباء : خمر . صرف : بلا مزج . الفص : الحجر
الكريم بوضع في الخاتم من « الياقوت الاحمر » . سوار شديد - قمت باكرأ وشربت خمرأ حادة
شديدة الاسكار (٤) مرة تسكرنا ومرة تمنع اسكارها لنا بأكل العقل «؟» (٥) تكاد تسكرنا قبل ان
ندوقها ثم هي تجمل مفاصلنا خدرة (٦) نشمر باثرها يسير قليلا قليلا في اجسامنا حتى يبلغ العظام ، واذا صبت
في الكأس فارت فتطير رشاشها واصاب ضفائرها « شعرنا » (٧) تمزز الشراب : قصص ، شربه على
مهل . بنو قابيا : المجتمعون لشرب الخمر (٨) اذا ما كست صاحبها « اردت ان اسقط شيئاً من
التمن « عدني جلفاً وعضب « لانها خمر جيدة تظل رخيصة مهبها غلت » .

خمرياته على محور مرقصة بالاضافة الى ما عرفنا في الجاهلية :

- | | |
|-------------------------|----------------------------|
| فقمنا ولما يَصِحْ ديكنا | الى خمرٍ عند جدّادها (١) |
| فقلت له : هذه هاتها | بادماء في حبل مُقتادها (٢) |
| فقام فصب لنا قهوة | تسكّنا بعد ارعادها (٣) |
| كميتا تكشّف عن حمرة | اذا صرحت بعد إزبادها (٤) |
| فجال علينا باريقه | مخضّب كف بفُرصادها (٥) |
| فرحنا تنعمنا نشوة | تخور بنا بعد قصادها (٦) |

(١) الجّدّاد : بائع الخمر (٢) اخترت خابية وقلت له هات هذه بفبارها وكما جاءك بها الذي يجورها
« اشترى الخابية كلها » (٣) قهوة : خمر - الخمر شديدة تضطرب وتجيّش في الاناء والكن اذا
شربناها سكنا لانها تخدرنا (٤) لونها مائل الى الحمرة ، فاذا تلاشى الزبد الذي يطفو على وجهها
ظهرت حمراء (٥) الفرصاد : التوت الشامى . مخضّب كف بفُرصادها : غلام صغير « السن » اذا حل
اناه الخمر « وكان من زجاج » ظهرت يده كانها مخضبة بالتوت الشامى « لبياض يده وملاستها ولينها .
(٦) تخور بنا بعد قصادها (؟)

٨ - الوصف

كل الشعر وصف . قال ابن رشيق (١) :

« الشعر الا اقله راجع الى الوصف ، ولا سبيل الى حصره واستقصائه . وهو مناسب للتشبيه ومشتمل عليه وليس به ، ولكنه كثيراً ما يأتي في اضعافه (٢) . والفرق بين الوصف والتشبيه ان هذا (الوصف) إخبار عن حقيقة ، وان ذلك مجاز وتمثيل . وأحسن الوصف ما نُعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع .

ومع الايام تفرع الوصف ابواباً في الشعر فاصبح وصف النساء غزلاً ، ووصف الحمر خمریات ، ووصف الصيد طرُداً . وهكذا اذا قلنا نحن اليوم « الوصف » عنيّنا الوصف المطلق او وصف الطبيعة بما فيها من حياة : نبات وحيوان او من موات كالجبال والانهار والنجوم والادوية والثياب والهياكل وما سوى ذلك .

واذا نحن اعتبرنا قول ابن رشيق في التفريق بين التشبيه والوصف اصبح الوصف في الشعر كله قليلاً وخصوصاً في العصر الجاهلي ، اذ ان اكثر ما نسميه وصفاً داخل في باب التشبيه . واشهر الشعراء الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس والنابغة وطرفة . واشتهر من اوصاف الجاهليين وصف الاطلال ووصف الناقة والفرس ووصف

الوادي ووصف الصيد والنهر والليل والمطر ولكن على قله ايضاً . ويبدو لنا بوضوح ان الوصف فن حضري في الاكثر ، لان البيئة الحضرية اكثر اختلافاً من البيئة البدوية ولذلك كان مجال التفنن فيها اوسع . ومن اشهر الشعراء الجاهليين الذين كثر الوصف في شعرهم امرؤ القيس والنابغة ، وسيأتي الكلام عليهما وعلى اوصافهما في ترجمتهما .

شكل القصيدة الجاهلية :

إذا رجعنا الى القصائد الجاهلية الطوال ، والمعلقات منها على الاخص ، رأينا ان الشعراء يسرون فيها على نهج مخصوص : يبدأون عادة بذكر الاطلاق «وقد بدأ عمرو بن كلثوم مثلاً بوصف الخمر» ثم بذكر الحبيبة ، ثم ينتقل احدهم الى وصف الراحلة ثم الى الطريق التي يسلكها . بعدئذ يخلص الى المديح مثلاً او الفخر (اذا كان الفخر مقصوداً كما عند عنزة) . وقد يعود الشاعر الى الحبيبة ثم الى الخمر . وبعدئذ ينتهي بالحماسة (او الفخر) او بذكر شيء من الحكم (كما عند زهير) او من الوصف (كما عند امرئ القيس) .

ومجدر بالملاحظة ان في القصيدة الجاهلية اغراضاً متعددة ، واحد منها مقصود لذاته (كالغزل عند امرئ القيس ، والحماسة عند عنزة ، والمديح عند زهير ، والاعتذار عند النابغة)

هذا في المعلقة . اما في سائر القصائد الجاهلية فالامر يختلف احياناً اختلافاً ظاهراً . هنالك مقطعات في الادب او الوصف او الحماسة مستقلة بنفسها . وهنالك ايضاً قصائد تعالج موضوعاً واحداً كقصيدة عروة بن الورد :

اقلني عليّ اللوم يا ابنة منذرٍ ونامي ، فان لم تشتهي النوم فاسهرى فانها سبعة عشر بيتاً تدور حول فكرة واحدة وموضوع واحد ، هي ان امرأة الشاعر تلومه لأن رزقه قليل ، فيبدي هو لها عذره ويقول لها انه يود الا يطلب الغنى اذا كان في الغنى مذلة له .

الشعراء الخمسة

سنتناول الكلام في هذه الدراسة على خمسة من شعراء الجاهلية اصحاب المعلقة مع ذكر معلقاتهم كاملة قدر الامكان وشيء من سائر شعر النابغة .

امروء القيس بن حجر الكندي
توفي نحو عام ٨٢ قبل الهجرة ، ٥٤٠ م

قومه واسرته :

يرقى نسب حندج بن حجر ، المعروف بلقبه : امرئ القيس ، الى بني كندة من اليمن . وكان جدّه الاعلى حجر آكل المرار اول ملوك كندة فيما قيل . وفي اوائل النصف الاول من القرن الخامس للميلاد زاد ضعف بعض القبائل في شمالي بلاد العرب فاستطاع الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ان يتغلب عليها ثم ملك على بني اسد وبني غطفان (عبس وذبيان) وبكر بن وائل وغيرهم . ونحو عام ١٢٢ ق . هـ (٥٠٠ م) قسم الحارث القبائل التي يحكمها بين اولاده فأعطى حجراً (والد امرئ القيس) الحكم على بني اسد في نجد .

حياته الاولى :

امروء القيس يعني الدار ولكنه نزاري المنشأ . نشأ في نجد اميراً وألف التنقل في احياء العرب مع نفر من اصحابه واتباعه للصيد واللهو ، ولعله فعل ذلك لانه كان اصغر اخوته ولم يكن يطمع في نيل الملك بعد ابيه . ويدكرون ان اياه طرده من بيته لانه كان يقول الشعر ولانه كان ميالا الى القصف والفسق . على ان اهتمامه فيما بعد باخذ ثأر ابيه واعادة الملك الى اسرته ينفي ان يكون امرؤ القيس خليعاً ماجناً فاسداً كما تصوره بعض الروايات الادبية ، مع ان لهو الامراء امر غير مستغرب لا في الجاهلية ولا في غيرها .

مقتل حجر :

ويظهر انه بُعيد عام ٩٢ ق . هـ (٥٣٠ م) عاد شيء من القوة الى بني أسد فأبوا ان يستقر حكم حجر الكندي اليمني عليهم واعلنوا إباءهم هذا بالامتناع عن أداء الاموال (الضرائب) واستعدوا للقتال فيما لو احتاجوا اليه . فلما أبى بنو أسد دفع الاموال اساء حجر اليهم فقتل نفراً من رؤسائهم وشرّد قسماً منهم عن نجد الى تهامة (على ساحل البحر الاحمر) ، ولكنه عاد ففعا عنهم لما استشفعه شاعرهم عبيد بن الابرص . فلما رجع المشردون (بعد بضعة ايام) انضموا الى اخوانهم وحاربوا حجراً بقيادة علباء بن الحارث الكاهلي وقتلوه . ولا ريب في ان ابناء حجر كانوا معه في المعركة وفروا ، ولعل امرأ القيس نفسه كان في المعركة ايضاً ثم فر لقول عبيد بن الابرص يخاطبه :

* ولقد أبجنا ما حميت ولا مبيح لما حمينا

هذا ولو قدرت علي كرماح قومي ما انتهينا (١)

* وركضك لولاه لقيت الذي لقوا فذاك الذي انجأك مما هنالك .
اما الروايات التي تذكر ان امرأ القيس كان يشرب الخمر بدمون ثم جاءه نعي أبيه فليست تتسق والشرط الثاني من حياته ولا تتفق مع اقوال عبيد بن الابرص معاصر امرئ القيس .

حياته بعد مقتل ابيه :

عزم امرؤ القيس على الاخذ بثأر ابيه فجعل يطوف في احياء العرب يطلب مساعدتهم ، فأبوا ان يعينوه . فالتجأ الى اخويه شرحبيل وسلمة - وكان ابوهما حجراً قد ولاهما على بكر وتغلب - فأعطياه قوماً يدرك بهم بعض ثأره . تتبع امرؤ القيس اثر بني أسد وقتلهم يوماً او بعض يوم ولكنه لم يظفر عليهم . واعتقد من معه انه بقتل نفر من بني أسد قد اخذ بثأر ابيه فرجعوا عنه ولم يرضوا ان يخوضوا معه معارك جديدة .

(١) ما انتهين : لم تنته الرماح عن ان تصل اليك وتقتلك .

وخرج امرؤ القيس يطلب النجدة من اليمن (من موطنه الاول)، فلم يظفر
 الا بخمسمائة رجل حارب بهم بني اسد من جديد، ولكن ذلك لم يكن كافياً لاعادة
 الملك الى أسرته. وظل امرؤ القيس يطلب الجيوش والمساعدة من هنا ومن هنالك
 فيخيب، او يتعرض لعداوة الامراء الطامعين في ملك ابيه فينجو منهم بشق النفس
 حتى عام ٨٤ ق . هـ (٥٣٨ م) فعزم على المسير الى القسطنطينية بعد ان حمل من
 الحارث بن ابي شير الغساني كتاب توصية الى القيصر يوستينيانوس الاول ٥٢٧ —
 ٥٦٥ م) المشهور واضع القانون الروماني وصاحب المعارك مع الفرس . ولقد
 اراد يوستينيانوس — فيما قيل — ان يساعد امراً القيس استغلالاً لجهوده وجهود
 قومه في سبيل مقاومة الفرس ونفوذهم في بلاد العرب وعلى حدود بلاد العرب .
 الا ان البرابرة كانوا في ذلك الحين ينحدرون من شمالي اوروبة على جنوبها وجنوبها
 الشرقي على الاخص ويهدمون مدنها ويحتلون اقطارها، فلم يقدر يوستينيانوس ان
 يغفر بجيش كبير، لحاجته اليه، ولا بجيش صغير لا فائدة منه . فرجع امرؤ القيس
 من القسطنطينية خائباً ايضاً حوالي عام ٨٢ ق . هـ (٥٤٠ م) في الشتاء على الاغلب .
 فلما وصل الى قرب انقرة أصيب بالجُدريّ فيما يُظن فتوفي هنالك .

اما ان امراً القيس تغزل بابنة يوستينيانوس واتصل بها فخيّبه ابوها من اجل
 ذلك فرواية لا قيمة لتنتائجها اذا علمنا فساد البلاط البوزنطي في ذلك الحين . واما
 ان رجلاً اسمه الطماح وشى به لقيصر فرواية اخرى . ويجدر بنا ان نعلم ان «الطماح»
 ليس اسماً علماً على شخص في الاغلب ، بل صيغة مبالغة من «طمح» ، وهو كناية
 عن رجل عدو لا مراءى القيس .

شعره :

يقدم النقاد امراً القيس على سائر شعراء الجاهلية خاصة وعلى الشعراء جميعهم عامة
 ويحتجون لذلك بانه اول من وقف على الاطلال واول من شبه النساء بالطباء
 والحيل بالعقبان ... وانه اول من وصف الليل وقيد الاوابد في قوله : «بمنجرد
 (محصان) قيد الاوابد هيكل» لأن الاوابد حيوانات متوحشة لا تقيد ... اي
 نظم في الصيد .

والحق ان امرأ القيس ليس اقدم الشعراء بل هنالك نفر معاصرون له او سابقون عليه نعرفهم باسمائهم فقط لضياح شعرهم او نعرف اشعارهم ايضاً . ولكنّ امرأ القيس نال شهرة عند النقاد والرواة لما في ثنايا حياته من المغامرات في الحب والسفر والقتال ، فغطت شهرته على معاصريه وعلى اسلافه في الشعر . على اننا لو رجعنا البصر في ديوانه لتبين لنا ان فيه خصائص ذاتية تميز امرأ القيس من اقارانه وانداده . فاذا تجاوزنا الخصائص العامة التي امتاز بها الشعر الجاهلي عامة ، على ما مر بك في الفصل الاول ، ادركت ان امرأ القيس :

(١) شاعر واسع الخيال - يعرض امرؤ القيس لحديث 'عنيزة مثلاً فيستخرج منه قصة عذبة التلاوة جيدة الاتساق غريبة النتائج ، او لحديث الصيد فيجعل منه قصة تامة . ثم ان امرأ القيس تدرس بالاسفار وتقلب في النعيم ففتق ذاك قريحته عن اخيصة جديدة في كل فن طرّقه ، وساعده ذلك على الاجادة وعلى بروز العنصر الشخصي في شعره ، وخصوصاً في الوصف .

(٢) شاعر مرح - فهو شاعر يفيض باصناف السرور والوان الفرح فيستهوي النفوس ويجتذبها . والبشر عموماً اميل الى الرجل الطروب منهم الى الرجل الحزين .

(٣) شاعر وجداني خالص - وزاد في رغبة الناس في شعر امرئ القيس انه خال من المنافسات ومن الهجاء والمديح وانه مملوء بالنسيب والغزل والافصاف وذكر المغامرات مما يقربه الى النفس الانسانية في كل عصر . ان اللذة الناتجة من مطالعة المدائح والاهاجي - بما هي مدائح واهاج - تموت مع ذهاب المناسبات الخاصة ، واما حديث الغزل واما الوصف واما المغامرات الكبرى في حياة الانسان فتظل حية في نفوس الاجيال . ومن اجل ذلك فضل الناس امرأ القيس على غيره .

فنونه :

يختلف ديوان امرئ القيس من دواوين كثيرين من الشعراء في انه لا ينطوي على جميع فنون الشعر ، فالمديح والهجاء فيه مفقودان لان مقام امرئ القيس في الملك رفعه عن ان يمدح احداً او ان يهجوّه . ولكننا نرى له ابيات شكر مثلاً او

أبيات ذم قالها في أناس ساعدوه على الطلب بدم أبيه أو رفضوا مساعدته، كشكره
بني عوف لأن سيدهم عويزاً قد حمي أهل حجير وابلغهم ما منهم في نجران . فقال
امرؤ القيس فيه وفي قومه :

ثياب بني عوف طهاري نقيّةٌ وأوجههم عند المشاهد غرّانُ

هم بلّغوا الحيّ المضلّالَ أهله وساروا بهم بين العراق ونجرانِ
فقد أصبحوا ، والله أصفاهمُ به ، أبرّ بأيمان وأوفى بجيران .

والفرق بين الشكر والمديح أن الشاكر يُثني على المشكور بعد أن يكون
المشكور قد أسدى إليه بعض المعروف . أما المدح فهو أن يُثني المادح على المدوح
طمعاً بكسب وانتظاراً لمعروف . وكذلك شكر امرؤ القيس بني التميم رهط الهمل على ،
وشكر سعد بن الضباب .

وكذلك ليس في ديوان امرئ القيس رثاء بالمعنى المتعارف بين الشعراء إلا إذا
اعتبرنا رثاءه لآخوته الذين قتلهم المنذر بن ماء السماء في ديار بني مرّينا قرب
الكوفة ، وفيهم يقول :

ألا يا عينُ بكّي لي شنيناً وبكّي لي الملوكَ الذاهبينَا :
ملوكاً من بني حجير بن عمرو يُساقون الشّيةَ يُقتلونَا .
فلو في يوم معركة أصيبوا ، ولكن في ديار بني مرّينا .

أما ما يُلَفِتُ النظر خاصة في ديوان امرئ القيس فهو وصف المرأة (النسيب
والغزل والمجون) ووصف الطبيعة . وله وصف قليل في الحُرّ وأبيات معدودات
في الحكم والفخر وغيره :

* وقد طوّفتُ بالآفاق حتى رَضِيتَ من الغنِمةِ بالإياب .

*بكى صاحبي لما رأى الدرب (١) دونه وأيقن أن لا حقان بقيصراً
فقلت له لا تبك عينك ، إنما نحاول ملكاً او نموت فنعدداً

اللهو : يوم دارة جلجل :

كان امرؤ القيس اميراً وشاباً مولعاً باللهو يخرج الى الصيد طلباً للمتعة واللذة
ويشرب الخمر متنقلاً مع رفاقه من الشبان، ويتبع النساء حباً بمجديشهن وباللهو معهن .
واشهر حوادث لهوه حديث دارة جلجل المذكور في المعلقة :

سمع امرؤ القيس يوماً بان ابنة عمه فاطمة (عنيزة) قد ذهبت الى دارة جلجل
مع صواحب لها ليبتردن (يغتسلن بالماء البارد) . سار امرؤ القيس الى دارة جلجل
فأدرك ابنة عمه وصواحبها في الماء فجمع ثيابهن وجلس عليها ثم قال لمن : لن اعطي
احداً كن ثيابها الا اذا خرجت هي (عارية) واخذتها مني .

وامسى المساء على العذارى فخفن البود والتأخر عن اهلهن فبدأت يخرجن
واحدة واحدة امام امرئ القيس وتأخذن ثيابهن . وبقيت عنيزة لا تريد ان تفعل
ذلك . ولكن سرعان ما ادركت ان امرأ القيس لن يرجع عن عزمه فخرجت
اليه واخذت منه ثيابها .

حينئذ قام امرؤ القيس الى ناقته وذبحها للعذارى فاكلن . ولما حان وقت
الرجوع ولم يكن مع امرئ القيس ناقة يركبها اختار ان يركب مع عنيزة في
هودجها . وفي المعلقة حديث ذلك كله وخصوصاً بعد ان ترك الجميع دارة جلجل .

الوصف :

يكثر الوصف في شعر امرئ القيس وخصوصاً وصف الطبيعة لكثرة اسفار
امرئ القيس ولانه في الاصل شاعر حضري ولكن يعيش في البادية . ويجيد امرؤ
القيس وصف البرق والسيل ووصف الليل والحيل والصيد ...
واكثر النماذج على وصف امرئ القيس موجودة في معلقته .

(١) مضيق يبلان ، الامر الوحيد بين سورية وآسية الصغرى .

معلقة امرئ القيس (١)

ان غرض امرئ القيس الرئيسي من نظم المعلقة كان ذكر حبه لابنة عمه ، وهو يُكني عنها مرة بُعْنِيزَة ومرة بفاطمة ، ويذكر يوم دارة جابل . وفي اثناء ذلك كله يعرض الشاعر لاغراض مختلفة :

قَفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبَ وَمَنْزِلِ بِسِطِّ الْمَوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَيَحْوَمَلْ ،
فَتُوضَحَ فَاْلْمِقْرَاةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ (٢)
تَرَى بَعَرَ الْآرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيَعَانَهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فُلْفُلِ (٣)
كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٍ حَنْظَلِ (٤)
وَقَوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ (٥) يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلْ !
وَأَنْ شِفَائِي عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ ، فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعْوَلِ (٦) ؟
كَدَابُكَ (٧) مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا ، وَجَارَتِهَا أُمَّ الرِّبَابِ بِمَاسِلِ ،
إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرْنُفَلِ .

(١) ان من يتناول هذه الدراسة يجب ان يكون قد بلغ في اللغة والادب مبلغ من يعرف اكثر مفردات المعلقات ، من اجل ذلك سنكتفي بالضروري من الشرح وسنضرب عن شرح اسماء الامكنة والاشخاص لقلة الجدوى من ذلك .

(٢) الجنوب والشمال : ريح الجنوب والشمال . نسجته : نشرت الرمل - ان الريح تأتي مرة من الجنوب فتغطي الطلل ، وتأتي مرة من الشمال فتكشف عنه الرمل ، ولذلك لايزال هذا الطلل محفوظا .
(٣) الآرام جمع رثم : الظلي الابيض . العرصة : الساحة . القاع : مستنقع الماء . الفلفل : ثمر نبات صغير مستدير « غير الفليفلة عندنا » (٤) - في اليوم التالي لارتحالهم وقفت تحت شجرات هناك اتأمل اماكنهم المهجورة وانا ابكي « الذي يكسر الحنظل تتعرض عيناه للغاز المتصاعد منه فتدمعان » (٥) ان رفاقي زجروا مطاياهم فوقفت عن المسير ثم جعلوا يلوهوني . مطيهم مفعول به من المصدر « وقوفاً » (٦) انني اشفي نفسي ببكائي ، ولكن ما فائدة البكاء عند الآثار المدحوة ؟ (٧) عادتك

ففاضت دموع العين مني صَبَابَةً
 ألا رُبَّ يومٍ لكَ منهنَّ صالحٌ ،
 ويومَ عقرتَ للعذارى مطيَّتي ،
 فظَلَّ العذارى يرمينَ بلحِمِها
 ويومَ دخلتَ الحدرَ خدرَ عذيرةٍ ،
 تقولُ ، وقد مالَ الغبيطُ (٥) بنا معاً :
 فقلتُ لها : سيري وأرخي زِمَامه ،
 أفاطمَ ، مهلاً ، بعضَ هذا التدللِ ،

وان كنتَ قد ازمنتَ صرَمي فأجملِي (٧)
 وان تكُ قد ساءتْكَ مني خَلِيقَةٌ
 أغرَّكَ مني أنْ حبَّكَ قاتلي ؛
 فسُلي ثيابي من ثيابك تنسُلُ (٨)
 وما ذرفتَ عيناكِ إلا لتضري
 وانك مهما تأمري القلبَ يفعلُ ؟
 وبسهميكِ في اعشارِ قلبٍ مُتَمَلِّل (٩)
 وبيضةٍ خدرٍ لا يُرامُ خباؤها
 تتمَّتْ من لُهو بها غيرُ مُعَجَّل (١٠) ،

(١) الصبابة : الحب . النحر : أعلى الصدر . محمل : سير « من جلد » يحمل به السيف (٢) اعجب كيف ان الناقة التي حملتني في الحبيء يحمل سرجها الان على ناقة اخرى « لانه ذبحها » (٣) يرمين : ينال بعضهم بعضاً . الهداب جمع هذب : الحيوط المتدلاة من اطراف بعض المنسوجات . الدمقس : الحرير الابيض .
 (٤) الحدر الهودج ، مرجلي : اي ستضطرنى الى ان انزل وامشي على رجلي (٥) الهودج (٦) الزمام : اللجام . جنائك المعلن : قبلاتك التي يستشفى بها (٧) بكفيك بعض هذا الدلال علي ، وان كنت تحبين فرافى ففارقيني بالمعروف (٨) واذا كنت لا ترضين اخلاقي « ومعاملتي لك » فافصلي ثيابك عن ثيابي « اي اتركيه » (٩) لقد بكيت حتى تكسري قلبي الوهان بك (١٠) بيضة خدر : مصونة . لا ينال خباؤها : لا يمكن الوصول اليه . غير معجل : على مهل .

- تجاوزت احراساً اليها ومِعْشراً
 اذا ما الثريا في السماء تعرّضت
 فجئت ، وقد نضت لنوم ثيابها
 فقالت: يمينُ الله ، ما لك حيلة ،
 خرجتُ بها أمشي ، تجرُّ وراءنا
 فلما أجزنا ساحة الحي ، وأنتحى
 هصرت بفودى رأسها ، فتأملت
 مُهْفَفةً بيضاء غير مُفاضة ،
 تصدُّ وتبدي عن أسيل ، وتتقي
 وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش ،
- علي حِراساً ، لو يسرون مُقتلي (١) .
 تعرّض اثناء الوشاح المُفَصَّل (٢) .
 لدى الستر إلا لبسة المتفضِّل (٣) .
 وما إن ارى عنك الغواية تنجلي !
 على أثرينا ذيل مرط مرَّحل (٤) .
 بنا بطن خبت ذي حفاف عَفَنَقْل (٥) ،
 علي هُضيم الكشح رياء المخلخل (٦) ،
 ترائبها مصقولة كالسَّجَنَجَل (٧) .
 بناظرة من وحش وجرة مُطَفِّل (٨) .
 إذا هي نصَّته ، ولا بمعطَّل (٩) .

- (١) قطعت في الوصول اليها حراساً واناساً يريدون ان يقتلوني « اغيظهم مني » لو كانوا يستطيعون الا يدعوا احداً يدري بذلك (٢) الثريا عنقود نجوم . الوشاح : ما تلقيه المرأة عـ . الى كتمفيها .
 المفصل : المزخرف بالحجارة الكريمة - ويكون تعرض الثريا في كبد الدباء في اول فصل الشتاء وهذا ما يفسر لنا شكوى الشاعر من طول الليل ووصفه المطر الشديد والبرق ... (٣) نضت : خلعت .
 الستر : ستار تنام المرأة خلفه . المتفضل : الذي يلبس ثوباً واحداً خفيفاً للنوم او للعمل .
 (٤) مرط : ثوب حرير . مرَّحل : فيه وشي وصور - حمل الشاعر حبيبته بين يديه ولكنه ترك ذيل ثوبها يحرق على الارض ليمحو آثار اقدمه (٥) حتى اصبح بيننا وبين الحي آكام مرتفعة متعرجة متداخلة (٦) هصر : جذب . الفود : جانب الرأس . هُضيم الكشح : ضامر الخصر . رياء المخلخل : لينة حيث تلبس المخلخل عند ادنى ساقها (٧) مهْفَفة : خفيفة اللحم . مفاضة : مسترخية الجلد او العضل .
 ترائب جمع تريبة : جانب صدر المرأة . السجَنَجَل : المرأة (٨) تصد وتبدي : تعرض عفا وتلتفت اليها . أسيل : « خد » طويل . ناظرة : عين . مطفل : ذات طفل - تنظر شزراً كما تنظر ام الوحش الى الذين تخافهم على اولادها (٩) جيد : عنق . فاحش : كربه المنظر « او كثير الطول » . نص : رفع . معطل : خال من الحلى .

وَفَرَعِ يَزِينِ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَا حَمِ
غَدَاثُهُ مُسْتَشْزِرَاتٍ إِلَى الْعُلَا
وَكَشَحِ لَطِيفِ كَالْجَدِيلِ مَخْضَرِ
وَتَضَحِي فِتَيْتِ الْمَسْكِ فَوْقَ فَرَا شَهَا
وَتَعْلُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ
تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنهَا
إِلَى مِثْلَهَا يَزْنُو الْحَلِيمَ صَبَابَةً
كَيْكِرِ الْمُقَاتَاةِ الْبَيَاضِ بِصَفْرَةٍ
تَسَلَّتْ عِمَايَاتِ (٩) الرِّجَالِ عَنِ الصَّبَا
أَلَا رَبُّ خَصْمٍ فَيْكَ أَلْوَى، رَدَدَتْهُ؛
وَأَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مَرَحٍ سُدُولَهُ

أَثِيثٌ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَشِّكِلِ (١)،
تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مِثْنٍ وَمُرْسَلِ (٢)،
وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمَذَلِّ (٣)،
نَوْوَمِ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ (٤)،
أَسَارِيعُ ظُبِيٍّ أَوْ مَسَاوِيكِ إِسْجَلِ (٥)،
مَنَارَةٌ مُمَسَّى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ (٦)،
إِذَا مَا اسْبَكْرَتْ بَيْنَ دَرَعٍ وَوَجُولِ (٧)،
غَدَاهَا نَمِيرِ الْمَاءِ غَيْرِ الْمُحْلَلِ (٨)،
وَلَيْسَ فَوَادِي عَنْ هَوَاكَ بِمُنْسَلٍ !
نَصِيحٍ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرِ مَوْتَلِ (١٠)،
عَلِيٍّ لِنَوَاعِ الْمَحْمُومِ لِيَبْتَلِي (١١)،

(١) فرع : شعر . المتن : الظهر . اثيث : كثيف . قنو : العذق الذي ينمو عليه الرطب والتمر .
المتشكل : المتداخل بعضه في بعض (٢) مستشزر : مرتفع . العقاص : الامشاط . مثنى ومرسل :
مجدول وغير مجدول (٣) انبوب السقي المذلل : ساق البردي «قصب الماء» اللين (٤) نؤوم الضحى :
تمام حتى يرتفع النهار . تنتطق : تلبس ازار العمل ، منعمة لا تخدم نفسها (٥) عطا : مد . رخص :
«اصابع» لينة . شتن : غليظة . اساريع : دود ابيض احمر الرأس ، «اشارة الى ان اظافرها معنمة
اي ملونة بالحمرة» ، ظبي : اسم مكان . المسواك : قطعة من غصن يستاك «تنظف الاسنان» بها .
اسجل : نوع من الشجر .

(٦) ممسى : ميت . المتبتل : المنفرد عن الناس والمتعبد (٧) رنا : ادام النظر . الحليم : ذو الحلم
«العقل» ، اسبكروت : استقامت في مشيتها ، درع وجول : ثوبان للمرأة والفتاة - يقصد ان محبوبته
ليست صغيرة السن ولا كبيرة السن (٨) لونها ابيض نخالطه صفرة «وهذا من شروط الجمال» مثل
بيض النعام . غير : صاف ، محلل : ينزل عليه اناس كثيرون (٩) العماية : الجهالة (١٠) ألوى : شديد .
نصيح على تعداله : مشتد في لومه اياي . مؤتل : مقصر - رب خصم يلومني فيك كثيراً ، فاذا وصفتك
امامه عاد عن لومه اياي (١١) كموج البحر : مضطرب . سدول : سائر . ابتلاه : اختبره وجربه .

فقلت له ، لما تملأ بصلبه
ألا ايها الليل الطويل ألا أنجلي
فيا لك من ليل كأن نجومه
كأن الثريا علّمت في مصامها
[وقربة اقوام جمعت عصامها
وواد كجوف العير قفر قطعته ،
فقلت له ، لما عوى : إن شأننا
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ،
وقد اغتدي ، والطير في وكناتها ،
مكرّ مفترّ مقبل مدبرّ معاً ،
كجلمود صخر حمله السيل من عل (١٠) ،
وأردف أعجازاً وناءً بكل كل (١) :
بصبح ، وما إلا صباح منك بامثل (٢) !
بكل مغار النمل شدّت بيد بل (٣) .
بأمراس كتّان ألى ضم جندل (٤) .
على كاهل مني ذلول مرحل (٥) .
به الذئب يعوي كالخليع المعيل (٦) ،
قليل الغنى ، ان كنت لما تمول (٧) .
ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل (٨) .
بمنجرد قيد الاوابد هيكل (٩) ،
كجلمود صخر حمله السيل من عل (١٠) ،

(١) تملأ بصلبه : مد ظهره . الأعجاز : جمع عجز « يفتح العين وضم الجيم » : مؤخر الجسم . الكل كل : الصدر - يشبه نزول الليل ببروك البعير يسقط أولاً على يديه ثم يثبت عجزه على الأرض وبعدئذ يكمل بروكه بوضع صدره على الأرض - يقصدان الليل يأتي ببطء (٢) أنجلي الليل : ذهب . امثل : احسن (٣) مغار الفتل : محكم الفتل . يذبل اسم جبل - كأن النجوم مربوطة بجبال فهي لا تتحرك من أماكنها ، إشارة الى طول الليل .

(٤) في مصامها : في موضعها . ضم جندل : حجارة صلبة (٥) كم حملت لرفاقي قربة الماء على كتفي . ذلول مرحل : معود الحمل كثيراً . العصام : الرباط او الحبل (٦) جوف العير : بطن الحمار ، أي لا فائده منه . وقيل هو اسم واد . الخليع : الذي خلعه «طرده» اهله . المعيل : صاحب العيال . (٧) الغنى : الفائدة . تمول : تكسب مالاً (٨) يحترث : يعمل «مثلي ومثلك» . يهزل : يصبح هزيباً ويقال ان هذه البيوت الاربعة ابست لامرئ القيس (٩) اغتدي : خرج في الصباح . الوكنة : وكر الطائر . منجرد : «حصان» قليل الشعر . قيد الاوابد : يلحق الوحوش كأنها مقيدة به . هيكل : عظيم الجسم ، (١٠) مكر مفتر مقبل مدبر : مكر مفتر مقبل مدبر : حسن الركض ذاهباً وآيماً ، وهو لسرعته كالصخرة الصلبة التي يلقيها السيل من مكان مرتفع .

- كُمَيْتٍ يَزِلُّ الْبِدْءُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ
 عَلَى الذَّبْلِ جِيَّاشٌ كَأَنَّ اهْتِرَامَهُ
 مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتِ عَلَى الْوَنَى
 يُزِلُّ الْغَلَامَ الْخَفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ
 دَرِيرٌ كَخَذَرُوفٍ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ
 لَهُ أَيْطَلًا ظِيٌّ وَسَاقًا نِعَامَةٌ
 ضَلِيعٌ ، إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ
 كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنِينَ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى
 كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَّاتِ بَنَحَرِهِ
- كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزِلِ (١) .
 إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَّةٌ غَلِيٌّ مِرْجَلُ (٢) .
 أَثَرُنَ غُبَاراً بِالكَدِيدِ الْمُرْكَلِ (٣) .
 وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثَقَّلِ (٤) .
 تَتَابَعُ كَفِّيهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ (٥) .
 وَإِرْخَاءِ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبِ تَنْثُلِ (٦) .
 بِضَافٍ فُوقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ (٧) .
 مَدَاكُ الْعُرُوسِ أَوْ صَالِيَةِ حَنْظَلِ (٨) .
 عُصَاةٌ حِنَاءٌ بِشَيْبِ مُرْجَلِ (٩) .

(١) كُمَيْت : أحمر مائل إلى السواد . حال متنه : أعلى ظهره . الصفواء : الصخرة الملساء . المنتزل : المطر -
 أن ظهر الحصان للملاسته ينزلق عنه السرج (٢) الذبل : أهزال . جياش : كثير الضجج « صوت بطن الحصان » .
 اهترامه : ضججه . حميه : غليته « اشتداد سرعته » . مرجل : قدر عظيمة (٣) مسح : يركض بانطلاق
 وسهولة . السابحات : جياذ الخيل ، الوني : الفتور والتعب . الكديد المركل : الأرض الصلبة - إذا
 تعبت الجياذ الاصلبة من الجري وجعلت تضرب بقوائمها الأرض من غير أن تسرع في جريها ، فإن
 هذا الحصان يظل يجري بالسرعة التي كان يجري بها من قبل (٤) سرعة هذا الحصان تجعل الغلام
 الخفيف ينزلق عن ظهره فيقع ، أما الرجل القوي الثقيل فيثبت على ظهره ولكن أطراف أثوابه
 ترتفع في الهواء (٥) درير : شديد الجري . الخذروف : لعبة تتألف من جسم صغير مستدير له عنق يلف
 عليه خيط وفي العنق حلقة يسك بها الوائد « الصبي » ويجذب الخيط فتدور بسرعة ويسمع لها صوت .
 موصل : مؤلف من قطع موصول ما بينها بعقد (٦) أيطل : خصر . إرخاء : الجري السهل . سرحان :
 ذئب . تقريْب : جري جرفع اليدين معاً « قفزاً » . تثقل : ولد الثعلب - يصف فرسه بأحسن ما
 في هذه الحيوانات (٧) ضليع : عظيم الصدر « متسع الاضلاع » ، إذا رابته من خلفه رايت ذيله يسد ما
 بين فخذه ثم يطول حتى يصل إلى ما فوق الأرض بقليل . أعزل : مائل ، والعرب تحب ذئب الفرس
 إذا كان مستقيماً غير مائل (٨) المتنان : جانبا الظهر . مداك : حجر يسحق عليه الطيب . الصلبة : صخر
 يسحق عليه الحنظل - يقصد أن ظهر الفرس شديد الملاسة (٩) الهاديّات : الحيوانات التي تسير على
 رأس قطيعها . مرجل : مخطط . يقول أن هذا الفرس يسرع كثيراً حتى يلحق بالحيوانات النافرة
 أمام القطيع الهارب ، فإذا طعنهما ونفر الدم منها تلقى هذا الفرس الدم « لسرعة سيره » بنحره ، فيختلط
 هذا الدم الأحمر بالزبد « الأبيض » الذي تطاير من فم الحصان إلى صدره .

- فمن لنا سرب كأن نِعاجه
فأدبرن ، كالجزع المُفَصَّل بينه ،
فألحقنا بالهاديات ، ودونه
فعادي عداً بين ثور ونعجة
فظل طهارة اللحم : من بين مُنْضِج
ورحناً يكاد الطرف يقصّر دونه ،
فبات عليه سرجه وجامه ،
أصاح ترى برقاً أريك وميضه
يُضيئ سناه او مصابيح راهب
قعدت له وصحبتي بين ضارج
على قطن ، بالشَّيم ، أين صوبه ،
- عذارى دوار في مُلاء مذيل (١) .
يحيد معي في الشيرة مخول (٢) .
جواحرها في صرة لم تزيل (٣) .
دراكا ، ولم يُنْضَح بما فيغسل (٤) .
صفيف شواء ، او قدير مجل (٥) .
متى ما ترق العين فيه تسهل (٦) .
وبات بعيني قنماً غير مُرسَل (٧) .
كلمع اليدين في حبي مكَل (٨) ،
أمال السايط بالذبال المُفْتَل (٩) ،
وبين العذيب ، بعد ما متأمل (١٠) .
وأيسره على السِتار فيذبل (١١) .

(١) عن : ظهر . سرب : قطع . دوار : قيل صنما يدار حوله . ملاء : ثوب . مذيل : لهذيل «بلدون آخر» - يشبه بقرة الوحش وهي بيض الظهر وسود القوائم بأنسات يلبسن اثواباً بيض الاعالي سود الذبول (٢) الجزع المفصل : الحزب المتعاقب في سلكه ابيض فاسود او فصل بين خرزانة بقطع ذهب . مع مخول : ذو اعمام واخوال معروفين «اصيل» (٣) دونه : وراءه . جواحر : المتخلفات عن القطيع . صرة : صياح او غبار . تزيل : تفارق مكانها «بعد» (٤) عادي . والى في الركض بينهما « والمراد بين كثير منها » الثور : ذكر بقرة الوحش . النعجة : انثاء . دراك : تباعا . لم ينضج بما فيغسل : لم يعرق كثيراً (٥) صفيف شواء : الذي يشوي اللحم . قدير : الذي يطبخ اللحم في القدر (٦) ومع ذلك فقد ظل هذا الفرس مرتاحاً نشيطاً رافعاً راسه حتى ان العين تنعب من التطلع الى راسه ، فاذا رفعت بصرك اليه اضطررت الى ان تحفضه وشيكاً (٧) بعيني : قريباً مني - وظل الفرس مسرجاً ملجماً واقفاً قرب خيمتي غير مرسل الى المرعى «استعداداً لركوبه اذا فاجأ تناغرة» .
٨ ' ومبض : لمعان . حي مكَل : غيم متراكم . لمع اليدين : حر كنهما « كناية عن السرعة لحاطفة»
٩ السايط : الزيت . الذبل : الفتيلة - لمعانه ضيف «لبعده» يشبه قنديل الراهب الذي اوشك زيته ان ينضب فاماله الراهب حتى يتجمع الزيت في طرفه فأخذ منه الفتيلة (١٠) بعد ما متأمل : ما ابد ما اتأمل « ما ابعده عني » (١١) قطن والسنار ويذبل اسماء جبال . الشيم : الظفر . صوبه : هطوله - هذا السحاب يحطر على مساحة واسعة .

فَأَضْحَى تَسْخُ الْمَاءِ حَوْلَ كَتِيفَةِ
وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ
وَتِيَاءٌ لَمْ يَتْرِكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ
كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عِرَانَيْنِ وَبَلَهْ
كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيِّمِ غُدُوَّةٌ
وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَبِيطِ بَعَاةً
كَأَنَّ مَكَكِيَّ الْجَوَاءِ غُدِيَّةٌ
كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةٌ

يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَتْهَبِلِ (١)
فَأَنْزَلَ مَعَهُ الْعَصَمَ مِنْهُ كُلَّ مَنْزِلٍ (٢)
وَلَا أَطْمَأ إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلٍ (٣)
كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بِحَادٍ مُزْمَلٍ (٤)
مِنْ السَّيْلِ وَالْغَنَاءِ فَلَاكَةُ مَغْزَلٍ (٥)
نَزَلَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ (٦)
صَبَحْنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقِ مُفْلَلٍ (٧)
بَارِجَاتُهُ الْقُصُوفُ، أَنَابِيشُ عُغْصُلٍ (٨)

(١) كتيفة اسم مكان في الجبل . يكب : يرمي . الاذقان : الوجوه . الدوح : الشجر العظيم .
الكتهبل : نوع من عظام الشجر - ان شدة هذا المطر كانت تلقي الاشجار الكبار ارضا (٢) القنان :
اسم جبل . نفْيَانِه : رذاذه . العصم جمع اعصم : نوع من الظباء تألف الجبال - كان هذا المطر شديدًا
حتى ان بعض ما انهمر منه على جبل القنان اضطر جميع ما فيه من الظباء ان تنزل منه (٣) تياء : قرية
«مدينة» من امهات القرى . اطم : حصن . مشيد بجندل : مبني بالحجارة الصلبة الضخمة - ان السيل
جرف الاشجار والبيوت الا ما كان منها حصونا مبنية بالصخور (٤) ثبير : اسم جبل . عرانيين وبله :
طفيان مطره . البجاد : ثوب مخطط ابيض فاسود . مزمل : ملتف ، وهي مجرورة على المجاورة
« لان الكلمة التي قبلها مباشرة مجرورة » وحقها الرفع لانها نعت لكبير - يشبه الجبل بعد ان سال
عليه المطر في اماكن مختلفة برجل يلبس بجاداً ، فالمكان الذي يسيل فيه الماء ابيض والذي لا يسيل
فيه الماء اسود ، وذلك لان البجاد من لباس كبار القوم (٥) الغناء ما يحمله السيل من الورق والاوزاخ
فلكة المغزل : خشبة مستديرة في راس المغزل - ان المطر تجمع بما يحمله من الغناء في السهل حول هذا الجبل
فاصبح راس الجبل يشبه فلكة المغزل ذلك لان فلكة المغزل تكون ملساء لا شيء عليها بينما تكون
الخيوط المغزولة ملفوفة حولها (٦) بعاءه : ثقله اي كل ما فيه « في السحاب من الماء » . العياب جمع
عيبة : وعاء للامعة - بعد سقوط المطر اعشبت الصحراء وازهر عشبها فشبها الشاعر ما انتشر فيها من العشب
والزهر بالاثواب الكثيرة الالوان التي ينشرها (التاجر) اليمني (الآثني من اليمن) على الارض
ليعرضها على المشتري (٧) مككي : طيور كثيرة الصغار - كان هذه الطيور سقيت خمرًا فيها فلفل حتى
يشد اسكارها ولذلك اكثر هذه الطيور تغريدها (٨) انابيش : اصول النباتات المقتلعة بجذورها من
الارض . غنصل : بصل بري - ان الوحوش التي غرقت في السيل فماتت ظهرت بعد ان جف السيل
كانها اصول نبات واشجار مقتلعة من اماكنها وملقاة هنا وهناك .

طَرَفَة بن العبد البكري

توفي نحو عام ٥٠ ق. هـ (٥٦٧ م)

قومه واسرته :

هو من بني قيس بن بكر بن وائل ، كانوا ينزلون بالبحرين في شرقي شمالي بلاد العرب (عند رأس خليج البصرة اليوم) . وكانت امه وردة من بني مالك ابن ضبيعة من بني ربيعة .

واما طرفة نفسه فاسمه عمرو بن العبد . ولعل اسم ابيه الكامل كان عبد مناة او عبداللات فاقصر الرواة المسلمون على « العبد » كرهاً منهم أن يسموا الانسان عبداً لغير الله . وكان لطرفة فيما نعلم من شعره اخ اسمه معبد ، وابن عم اسمه مالك . ويظهر انه كان له اخوات اسم احدهن الحُرْنِيق ، وكانت شاعرة . وربما كان من اخواته شاعرة غيرها ايضاً .

ونشأ طرفة يتيماً ، مات ابوه وهو صغير ، فأبى اعمامه ان يقسموا له نصيبه وظلموه حقه . ويظهر ان طرفة خاصة قد تألم من هذا الظلم لانه نشأ مع امه وردة في بؤس وفقر . اما اخوه معبد فكان في الاغلب اكبر منه ، ولعله كان ايضاً من غير امه ، وكان بلا ريب صاحب إِبِلٍ كثيرة وانعام فلم يَشْكُ من الدهر ما شكاه طرفة . وفي شعر طرفة انه لم يكن على اتفاق مع اخيه معبد .

حياته العامة

قال طرفة الشعر شاباً ناشئاً وتعرض به مدحاً وهجاء . وكان اكثر تعرضه لبلاط الحيرة ، فيقال ان طرفة كان يرعى ابلأله ولاخيه ، وكان كثيراً ما يلهو عنها بنظم الشعر فقال له اخوه : « لم لا تستريح بابلك (ترجع بها في الليل الى معاطنها) ؟ - ترى انها ان اخذت منك تردّها بشعرك هذا ؟ » قال طرفة : فاني لا اخرج بها ابداً حتى تعلم ان شعري سيردها ان اخذت . فتوكلها (طرفة) فأخذها اناس من مضر . فادعى (طرفة) جوار عمرو وقابوس ابني المنذر الثالث ملك

الحيرة (ت ٦٨ ق.هـ ، ٥٥٤ م) وقال :

أعمرو بن هند ، ما ترى رأي صرمة (١)
وكان لها جاران ، قابوسُ منهما
وعمرُو ، ولم استرعها الشمس والقمر .
فعوضه هذان ، فيما قيل ، إبلاً مكانها .

على ان طرفه لم يتصل بعمرُو بن هند مباشرة ، بل كان متصلاً بأبيه من قبله ،
ثم اتصل بأخيه لأبيه « لا من امه » واسمه ايضاً عمرو بن امامة وذهب معه الى
اليمن فمكثا هنالك بضع سنوات . ولم يزر طرفه بلاط الحيرة في أيام عمرو بن هند .
(٥٥٤ - ٥٦٨ م) قط .

وقد اشترك طرفه في حرب البسوس التي انتهت قبل ان تبدأ حرب داحس
والغبراء ببضع سنين او تزيد .

موته

وزعموا ان سبب مقتل طرفه انه هجا عمرو بن هند فكتب عمرو بن هند له
وخلاله المتلمس كتابين الى عامله على البحرين واوهمهما ان في الكتابين امرأ بصلة
لها . اما المتلمس فقد شك في كتابه ففضه وسأل احد صبيان الحيرة ان يقرأه له .
ففعل ، فاذا فيه امر بقتله . عندئذ شق المتلمس الكتاب وألقاه في النهر ، ثم قال لطرفة :
ان في كتابك مثل ما في كتابي . فلم يشأ طرفه ان يصدق وتابع طريقه حتى وصل
الى البحرين . وكان عامل البحرين قريباً لطرفة فنصحه ان ينجو بنفسه فلم يقبل ،
فسجنه ثم سأله عن الطريقة التي يختارها لقتله فقال له : اسقي خمراً وافصد الكحل
(الا كحل عرق في الذراع) . ففعل عامل البحرين ذلك وتوفي طرفه على الاثر .
هذه القصة ظاهرة الصنع كما يبدو من تفاصيلها ، وخصوصاً اذا علمنا ان طرفه
لم يزر عمرو بن هند في أيام حكمه . والاقرب الى الصواب ان يكون طرفه قد
صحب عمرو ابن امامة (اخا عمرو بن هند لأبيه) الى اليمن ، وقد مكثا هنالك
بضع سنوات وقتلا كذلك هنالك في حديث طويل .

وزعم قوم ان طرفة قُتل وعمره عشرون سنة ، ومنهم من زعم انه قتل وعمره ست وعشرون ، وهم يستشهدون على ذلك بقول اخته الحرنق :

عددتا له ستاً وعشرين حِجَّةً فلما توقفاها استوى سيداً ضمخا .
فجعنا به لما رجونا إِيابه على خير حال لا وليداً ولا قحما .
والقحم المتناهي في السن . إلا انه ليس ثمة من دليل على ان هذه الابيات قيلت في طرفة . ومع ذلك فان هذا الشاعر قد توفي في إبان شبابه .

خصائصه الفنية :

طرفة شاعر مقل تروى له بضع قصائد فقط ، وذلك راجع بلا شك الى انه مات صغيراً ، مع ان بعضهم يعتقد ان شعره قد ضاع . وعلى رغم ذلك كله فان طرفة قد بلغ من جودة الشعر بحداثة سنه ما بلغه غيره من الشعراء بطول اعمارهم . وطرفة يعد في المتقدمين من شعراء الجاهلية بمعلقاته ، حتى قالوا انه اشعر الناس واحدة ، اي ان معلقته تفضل كل قصيدة جاهلية اخرى اذا قيست بها وحدها .

وشعر طرفة بدوي خالص ، بل هو اذل على البداوة من شعر كل شاعر جاهلي آخر : انه كثير الغريب من الالفاظ ، كثير المتانة في التركيب . وفي تشابهه واستعاراته شيء من الابهام . واما من حيث المعاني ففي معلقته اختراعات جعله بها ابن رشيق (١ : ٢٣٣) في المنزلة الثانية بعد امرئ القيس ، واستشهد له بابياته التي تبدأ في المعلقة بقوله : « ولولا ثلاث هن من لذة الفتى ... » وبغيرها ايضاً . وكذلك اغراض طرفة في معلقته خاصة متعددة مختلفة ، وهي مطبوعة بطابعه الشخصي على الرغم من انه اراد الا يشذ عن القاعدة الجاهلية في « بر » الاقربين ولو اساءوا اليه . ان قول طرفة في معلقته :

ولو كان مولاي امرأ هو غيره لفرج كربى او لأنظرني غدي
يدل على هذا النزاع النفسي بين ما يشعر به هو شخصياً وبين ما كان يقضي به « البر » للاقربين في الجاهلية . الا ان العنصر الشخصي لا يلبث ان ينتصر على العادة السائدة

فيقول طرفة وهو يتألم :

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً على النفس من وقع الحسام المهند .
فمن الاغراض التي تظهر في المعلقة خاصة عتابه لابن عمه مالك وغزله بخولة
ووصفه للناقة وفخره بنفسه في الحياة والحرب ثم حكمه التي استمدها من نفسه ومن
سوء معاملة اهله له . وله في غير المعلقة مقطعات مختلفة في الهجاء وشيء نزر من
المدح . وسنوجز الكلام على هذه الاغراض ، ولكن سنستشهد فقط على ما ليس له
شواهد في المعلقة .

١ . الهجاء — من المنتظر ان يكون المدح في شعر طرفة نزرّاً وان يكون الهجاء
كثيراً ، لما علمت من طرد قومه له وظلم اهله اياه . وهجاؤه قصير ، مؤلم وفيه
تهكم ، على ما فيه من قلة المبالاة بالناس والجرأة على ذكر عيوبهم ، حتى لقد تهكم
على خاله المتلمس الشاعر ، كما قيل . وكذلك هجا عمرو بن هند الذي كانت العرب تهابه
هيبة شديدة . ولقد اجمع الرواة على ان مرارة هجاء طرفة كانت السبب في مقتله .
من ذلك هجاؤه لعبد عمرو بن بشر صهره ، وكانت اخت طرفة قد شكت اليه
شيئاً في زوجها يجب الا يشكى من الرجال . فلما مالاً عبد عمرو الملك عمرو بن
هند ، فيما بعد ، على طرفة قال فيه طرفة :

فيا عجباً من عبد عمرو وبغيه لقد رام ظاهي عبد عمرو فانعبا .
ولا خير فيه غير ان له غنى وان له كشحاً اذا قام اهضماً (١) .
تظل نساء الحي يعكفن حوله يقنن : عسيب من سرارة مآهما (٢) .
وهجا طرفة عمرو بن هند واخاه قابوساً فقال فيها :

فليت لنا مكان الملك عمرو دغوثاً حول قببتنا تخور (٣)
لعمرك ان قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك (٤) كثير .

(١) الكشح الالهضم : الخمر النجيل « وهو من صفات النساء » . (٢) تدور النساء حوله ثم يرجعن
وهن يقنن : هذا جريدة نخلة ! سرارة ملهم : مكان كتبه النخل (٣) دغوث : شاة حلوب . قبة :
خيمة تخور : ترفع صوتها . (٤) حق .

٢. الوصف - ليس لطرفة في غير الناقة وصف يذكر . ولقد وصف الناقة في معلقته بسنة وثلاثين بيتاً هي اطول ما عرف في وصف الناقة في الشعر الجاهلي . ويدهشك ان ترى طرفه لا يكتفي بوصف الاعضاء الظاهرة للناقة بل يصف اعضاءها الباطنة كقلبها وكملتقي عظام الجمجمة . ان هذا الوصف مادي ، انه تصوير حسي للناقة .

٣. الفخر والحماة - ومع ان اهل طرفه قد اساءوا اليه فانه افتخر بهم حين انتصر بنو بكر على بني تغلب يوم تحلاق اللّحم (حلق الرؤوس) وهو آخر الايام (المواقع) العظيمة في حرب البسوس ، تلك الحرب التي دامت اربعين عاماً حتى اطفأها المنذر (الثالث) ابن ماء السماء (ت ٦٨ ق هـ ، ٥٥٤ م) :

سائلوا عنا الذي يعرفنا بثوانا يوم تحلاق اللّحم .

خيرُ حي من مَعِدِ علموا لكفي^(١) ولجار وابن عم .

وتفرّعنا من أبني وائل هامة المجد وخرطوم الكرم .

اما حماسه فتقوم على النجدة والاسراع الى الحرب وعلى البأس في القتال والشجاعة مما تراه في المعلقة .

٣. الغزل - طرفه مادي الهوى يرغب في اللذة العاجلة ولذلك يندر ان ترى عنده نسبياً او غزلاً وجدانياً ، بل هو اميل في غزله الى الوصف المادي والى المجون ، فالمرأة احدى لذات طرفه الثلاث ، وخصوصاً اذا كان اليوم ممطراً وكان هو لا يستطيع فعل شيء آخر :

وتقصير يوم الدّجن ، والدجن معجب بهيكنة تحت الحباء المعمد .
وطرفة من اقدم الشعراء الذين جرى عندهم الغزل المؤنث في لفظ مذكر :

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن مظاهر سَمْطِي لؤلؤ وزبرجد

٤. العتاب - واكثر عتاب طرفه لاهله وقومه إما لانهم طردوه او ظلموه ، واما لانهم خذلوه حينما خذلوه قبيل مقتله . وعتابه اقرب الى الهجاء . واذا نحن تركنا

(١) الكفي : الكافي ، الذي لا يحتاج الى من يدافع عنه .

الاستشهاد على عتابه لابن عمه لانه وارد في المعلقة فيجدو بنا ان نستشهد بما عاتب به اهله قبيل مقتله فيما قيل :

اسلمي قومي ولم يغضبوا لسوءة حلت بهم فادحة .
كم من خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحة (١) .
كلهم اروغ من ثعلب ، ما أشبه الدلالة بالبارحة !

٥. حكمه - وطرفة على صغر سنه من حكماء الجاهلية ، بل لعل حكمه في معلقته اقرب ما في الشعر الجاهلي الى معنى الحكمة . ويزيد في قيمة الحكم عند طرفة انها مستمدة من حياته الخاصة ومن اختباره هو بعد الذي عاناه من ظلم اهله ، فقد اندفع يطلب الحياة ويرى ان كل ما وراء هذه الدنيا المادية وكل ما وراء لذاتها العاجلة باطل .

ومع ان طرفة افتخر بالكرم والنجدة والشجاعة فانه حصر لذاته في الخمر والمرأة والضيافة . ثم رأى ان اللذة المادية العاجلة هي كل ما يصبو اليه الانسان . اما الحياة الاخرى فقد انكرها . ولقد فسح طرفة في الحياة مجالا كبيرا «للتناق» . اما الموت فيأتي على كل شيء ، ولا يمكن لاحد ان يدفعه عن نفسه ولا عن غيره . وهذا هو الجبر الحقيقي «وهو ان ما يأتي على الانسان في هذه الحياة لا يأتيه باختياره» . من اجل ذلك كان طرفة ماديا في آرائه فاعتقد ان ما انفقه الانسان في الحياة وتمتع به فقد ربحه ، واما ما تركه وترك التمتع به فقد اضاعه .

ولعل اعظم ما في حكمه «آراؤه في الاخلاق» تلك الآراء التي تقرب من ان تكون فلسفة : لقد فصل طرفة بين اسلوب الحياة وبين الاخلاق ، اذ الاخلاق عنده مبدأ اجتماعي ينحو نحو حسن معاملته الناس . اما افعال الانسان واعماله الفردية «كالسكر مثلا والقمار والاستهتار في طاب الملذات كلها» فأمره شخصية بحت ، يعود نفعها وضررها على صاحبها وحده .

الحياة والموت :

ووقف طرفه على الحياة والموت في معلقته وقفة طويلة .

كان العرب في الجاهلية دهريين يؤمنون ببقاء الدهر وخلوده وبأن كل انسان سيصيبه الدهر بالموت صغيراً او كبيراً ، صحيحاً او سقيماً مغامراً او جباناً . اما الموت فهو نهاية الحياة البشرية ، ثم ليس هنالك حياة اخري بعد الموت . وقد ذكر القرآن الكريم اعتقاد الجاهليين هذا فقال يقرّهم (١) :

« وقالوا : ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا (يموت بعضنا ويحيا — يولد — بعضنا) وما يهلكنا الا الدهر . وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون » .
وهذا ظاهر كله في معلقة طرفه :

يرى طرفه ان يندفع نحو اللذة العاجلة التي تحصل من شرب الخمر خاصة واللهم مع النساء ومن الكرم ، فاذا حصلت له هذه فلا يبالي بعدها — متى يموت . وهو يريد ان يشرب الخمر في الحياة ويكثر لان الموت عدم ولا خمر بعد الموت . ثم ان كل انسان سيموت فاذا مات البشر تساوا وتحت التراب وكان قبر البخیل وقبر السفیه المسرف واحداً في مظهره : كومة من تراب ثم حجر يدل على ان تحت هذه الكومة ميتاً . والموت يأتي على كل شيء وعلى كل حي . ثم ان كل يوم يمضي ينقص من عمر الانسان . اما الزمان فابدي لا ينتهي .

معلقة طرفة بن العبد

قال طرفة معلقته ليبسط شكواه من اهله ويعلم آراءه في الحياة ، كما انه ضمنها بعض ما كان يفترخ به الجاهلي عادة من الشجاعة والكرم . وتعتبر معلقة طرفة من ادل القصائد على خصائص الشعر الجاهلي وعلى العقلية الجاهلية البدوية :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةٍ تَهْمِدُ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد (١)
وقوفاً بها صحي عليّ مطيهم يقولون: « لا تهلك أسي وتجد » .
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوَّةٌ خلايا سفين بالنواصف من دد (٢) .
عَدَوِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامَنِ يحور بها الملاح طوراً ويهتدي (٣) .
يَشُقُّ حُبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا كما قسم الثرب المفايل باليد (٤) .
وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفِضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد (٥) .
خَذُولٌ تُرَاعِي رَبَّاباً بِجُمَيْلَةٍ تناول اطراف البرير وترتدي (٦) .
وَتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مَنْوَرًا تخلل حرّ الرمل ديص له ند (٧) .

(١) كبقاء اثر الوشم على ظهر اليد نفرت عروقها وتخرج جلدها ، حينما يتقدم الانسان في السن . (غير واضحة)
(٢) الحدج : الهودج . المالكية : خولة حبيته « من بني مالك بن سعد بن ضبيعة » . خلايا سفين : سفن عظيمة . يحور : يضل . (٣) عدوية « نسبة الى ارض ما او رجل ما » . ابن يامن ، « قيل ملاح معروف » . (٤) حباب الماء : الزبد . حيزوم : مقدم السفينة . المفايلة : لعبة يجمعون لها كومة من الرمل ثم يأتي لاعب فيخفي فيها جسما ما وبعدئذ يمر يده في وسط الكومة ويسأل لاعبا آخر عن مكان الجسم ، هو عن يمين يده او عن يسارها . (٥) احوى ، الحوة : السمرة في الشفاه وفي الاجفان والمقلتين . شادن ، يشبه المحبوبة - اذا مدت عنقها - بالظبي الذي يحاول ان يطالثر الاراك ، ثم هي تلبس عقدين من لؤلؤ وزبرجد . (٦) خذول : تركت الظباء واقامت على ربربها (ولدها) ، ثم هي تأكل من شجر الاراك وترتدي (تختفي بين اغصانه واوراقه) . (٧) اللمى : السمرة في اللثة ، ثم يجعل اسنانها البيض كأنها زهر ابيض مغروس في تلة من الرمل الاحمر الخالص .

سَقَّتْهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ إِلَّا لِسَاتِهِ
وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِءَاثَهَا
وَإِنِّي لَا مُضِيَّ إِلَيْهِ عِنْدَ احْتِضَارِهِ
أُمُونٌ كَأَلْوَابِ الْإِرَانِ نِسَائُهَا
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ ، وَأَتَّبَعْتُ
لَهَا فَخِذَانِ أَكْمَلَ النَّحْضِ فِيهِمَا ،
لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ ، كَأَنَّمَا
كَقَنْطَرَةِ الرَّومِيِّ أَقْسَمَ رَبِّهَا
صُهَابِيَّةُ الْعُثْنُونِ ، مُؤَجَّدَةُ الْقَرَا ،
أُمَرَّتْ يَدَاهَا فَتَلَ شَرْزُرٌ ، وَأُجْنَحَتْ

أُسُفٌ ، وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ ، بِإِثْمِدِ (١) .
عَلَيْهِ ، نَقِيُّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدْ (٢) .
بَعَوْجَاءِ مِرْقَالِ تَرُوحٍ وَتَغْتَدِي (٣) .
عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بُرْجِدْ (٤) .
وُضَافًا وَضَافًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدْ (٥) .
كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٌ مُمَرَّدْ (٦) .
تَمَرُّ بِسَلَمِي دَالِجٍ مُتَشَدَّدْ (٧) .
لَتُكْتَفِنَنَّ حَتَّى تُشَادَّ بِقَرْمَدِ (٨) .
بَعِيدَةً وَخَذَ الرَّجُلُ ، مَوَارِدَ الْيَدِ (٩) .
لَهَا عَضْدَاهَا فِي سَقِيفٍ مُسْنَدْ (١٠) .

(١) لون اسنانها كإيالة «ضوء» الشمس ، وكأن اللثة قد رش عليها إثم « كحل » فاسمرت وذلك من جمال اللثة عند العرب ، ثم هي لم ترقق اسنانها فتشوه اشكالها وأما كنهها (٢) تخدد : تشقق . (٣) أمضي : أذهب . عوجاء مرقال : نافقة ضامرة سريعة في تسلق التلال . (٤) أمون : لا تعثر . الاران : التابوت (يقصد أنها قوية البنية كالوواح الحشب المتينة) . نسأتها : زجرتها وضربتها لتسرع في المسير . اللاحب : الطريق . برجد : الثوب المخطط (يقصد على طريق سهل مستقيم) . (٥) عتاق ناجيات : نياق كريمات الاصل سريعات . الوظيف : عظم الساق (يعني أنها تسرع فتنبع رجلها بيدها) . المور : الطريق . (٦) اكمل النحض فيها : تم لحماها ، كأن فخذيها جانبا باب قصر (٧) افتلان : « هنا » متباعدان عن صدرها . السلم : الدلو . دالج : الذي ينقل الماء من البئر الى حوض الابل . متشدد : متكلف ، متجلد - يشبه مرفقي الناقة في تباعدهما عن صدرها بتباعده ذراعي الرجل الذي يحمل دلون دلالة على قوته . تمر : تفتل . (٨) القنطرة : الجسر . الرومي : اليوناني ، إشارة الى مقدرة اليونان في البناء ، يقول : هي تشبه الجسر الذي رفع بناؤه واحيط بجدار من الاجامر « القرميد » . (٩) صهايبة العثنون : الشعر الذي تحت شفتها اليسرى يميل الى الحمرة . مؤجدة القرار : صلبة الظهر . الوخذ : بعد ما بين الخطوة والخطوة . مواردة : كثيرة الحركة « والعرب يستحسنون ان يكون خطو رجل الناقة ثابتا بعيداً ، اما خطو يدها فمع حركة » . (١٠) فتات يداها فتلا شديداً وقام عضداها « القسمان الاعليان من ذراعيها » على جانبي جسمها كأنما يرفعان فوقها سقفاً .

- جَنُوحٌ ، دِفَاقٌ ، عَنَدَلٌ ، ثُمَّ أَفْرَعْتُ لَهَا كِتِفَاهَا فِي مُعَالَى مُصَعَّدٍ (١) .
وَاتْلَعُ نَهَّاضٌ ، إِذَا صَعَدَتْ بِهِ ، كُسْكَانٌ بُوصِيٍّ بِدِجَلَةٍ مُصْعِدٍ (٢) .
وَجُجْجَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ ، كَأَنَّمَا وَعَى الْمَلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مُبْرَدٍ (٣) .
وَحَدُّ كَهْرُطَاسِ الشَّامِيِّ ، وَمِشْفَرٌ كَسِبَتْ إِلَيَّ قَدُّهُ لَمْ يَجْرُدْ (٤) .
وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ اسْتَكْنَتَا بِكَهْفِي حِجَاجِي صَخْرَةَ قَلْتٍ مُورَدٍ (٥) .
وَصَادِقَتَا سَمِعَ التَّوَجُّسَ لِلسُّرَى لَهَجَسٍ خَفِيٍّ أَوِ لَصَوْتٍ مُنَدِّدٍ (٦) .
مَوْئِلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي شَاةٌ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ (٧) .
وَأَرُوعُ نَبَاضٌ أَحَدٌ مُلْمَلَمٌ كِمِرْدَاةٍ صَخْرٍ فِي صَفِيحٍ مُصَمَّدٍ (٨) .
وَاعْلَمِ مَخْرُوتٌ مِنَ الْأَنْفِ مَارِنٌ عَتِيقٌ مَتَى تَرْجُمُ بِهِ الْأَرْضَ تَرْدَدٍ (٩) .

(١) جنوح : قيل في السير الى احد جانبيها . دفاق : مندفعة في السير . عندل : كبيرة الرأس ، وقد ارتفعت كتفها حتى وصل اصلها الى ادنى السنام . (٢) اتلع نهاض : عنها مرتفع . سكان بوسي : دفة السفينة . مصعد : « هنا » صاعد في مجرى النهر الى اعلاه « وهذا اصعب لانه يقال بالسكان الموج ويعارض لتيار » . (٣) العلاة : السندان الذي يضرب عليه الحداد ، ثم ان عظام ججمتها متصل بعضها ببعض على قوة ومثانة ، وهي مسننة كطرف المبرد « طرفه يتخيل الججمة المجردة من الجلد واللحم على ما نعرف من علم التشريح » . (٤) خدها ابيض كالورق ولا شعر عليه ، وشفتها رقيقة كالجلد المدبوغ للصناعة ولم يجرد « غير منكسر او ملتو » دلالة على ان الناقة فتية لا مسنة . (٥) الماوية : المرأة . استكن : استقر . الحجاج : العظم المشرف على العين وعليه ينبت الحاجب . قلت مورد : نقرة ينبع منها الماء . (٦) اذناها تسمعان الصوت الخفي في الليل وتسمع صوت المندد « الذي يرفع صوته » . (٧) مؤلل : محد . العتق : كرم الاصل « او ليس في داخله شعر » . مفرد : منفرد - الوحش المنفرد اكثر تنبهاً للاصوات من الحيوان الاليف . (٨) اروع نباض : قلب قوي النبض . احد : امس . مللم : مجتمع ، مكتنز . مرداة : صخرة . صفيح مصمد : « جارة عريضة صلبة » « يصف موقع قلبها داخل صدرها » . (٩) واعلم مخروت من الانف : شفتها العليا التي تحت انفها مشقوقة . مارن : لين « صفة لانفها » . عتيق : « يدل على كرم اصل الناقة » . متى ترجم به الارض تردد : اي متى تضرب بناقتك في الارض « تسافر عليها » تردد سرعة على المسير . - متى خفضت الناقة رأسها ازدادت سرعتها .

وان شئت سامي واسط الكور رأسها
وان شئت لم تُرقل وان شئت ارقلت
على مثلها أمضي اذا قال صاحبي:
اذا القوم قالوا: «من فتى؟» خلت انني
أحلت عليها بالقطيع فاجذمت
فذالت كما ذالت وليدة مجلس
ولست بحلال التلاع مخافة
فان تبغني في حلقة القوم تلقني
وان يلتق الحي الجميع تلاقني
متى تأتني أصبحك كأساً روية
نداماي بيض كالنجوم وقينة
وعامت بضبعيها نجاء الحفيد (١).
مخافة ملوي من القد محصد (٢).
«ألا ليتني أفديك منها وأفتدي»
عنيت فلم أكسل ولم أتبدل.
وقد خب آل الأمعز المتوقد (٣).
ثري ربها اذ يال سحل ممدد (٤).
ولكن متى يسترفد القوم أرفد (٥).
وان تقتنني في الحوانيت تصطد (٦).
الى ذروة البيت الكريم المصد (٧).
وان كنت عنها ذا غني فاغن واردد (٨).
تروح الينا بين برد ومجسد (٩).

(١) ربما جذبت برسنها فأصبح رأسها موازيا في العلو لكورها «سرجها» ، ثم مدت ضبعيها «عضديها»
كأنها تسبح ، كما يجري الحفيد «ذكر النعام» (٢٠) ملوي من القيد «الجلد» : السوط . محصد :
الشديد الفتل . (٣) أحلت عليها بالقطيع : ضربتها بالسوط . اجذمت : أسرع . خب : اضطرب . آل :
السراب . الامعز : المكان الغليظ الكثير الحصى . (٤) اي ماست وتبخترت الناقة في مشيتها كما تفعل
الفتاة لترى سيدها ثوبها الابيض الطويل الذيل . (٥) اي لا اسكن التلاع وهي مجاري المياه من
رؤوس النلال ، ولكن اذا جاء طالب رقد «عطاء» أعطه «يعني لا اهرب من اكرام الضيوف» .
(٦) حلقة القوم : ناديهم . الحانوت مكان بيع الخمر ، «يعني تجديني مـع اشرف القوم وتجديني في
محلات اللهو» (٧) المصد : المقصود «يعني اذا انتمى الناس الى انسابهم فاني انتمى الى اشرف
البيوت» (٨) اصبحك : اسقيك «الخمر» صباحاً . روية : تروي . ثم يقول : واذا كنت ذا مال
يفنيك عن قبول كأس خمر مني فهذا لا يمنع من ان تقبل مني ما اكرمك به . (٩) النديم : الذي
يشرب الخمر معك . القينة : التي تسقي الشاربين الخمر وتغنيهم . البرد : الثوب الابيض . المجسد :
الثوب المصبوغ بالزعفران «يعني يلبس ثوبين ابيض ومصبوغاً» .

- رحيب قطاب الجيب منها ، رقيقة
 اذا نحن قلنا : « اسمعينا » انبرت لنا
 اذا رجعت في صوتها خلت صوتها
 وما زال تشرابي الخمر ولذتي
 الى ان تحامتنى العشيرة كلها
 رأيت بني غبراء لا ينكرونني
 ألا اي هذا اللائي أشهد الوغى
 فان كنت لا تستطيع دفع منيتي
 فلو لا ثلاث هن من لذة الفتى
 فمهن سبقي العاذلات بشربة
 وكري ، اذا نادى المضاف ، مجنباً
- يحب الندامي ، بضة المتجرد (١).
 على رسلها مطروفة لم تشدد (٢).
 تجاوب اطار على ربع ردي (٣).
 وبيعي وانذاقي طريفي ومتلدي (٤).
 وأفردت افراد البعير المعبد (٥).
 ولا اهل هذا الطراف الممدد (٦).
 وان احضر اللذات هل انت مخلدي (٧).
 فدعني ابادرها بما ملكت يدي !
 وجدك لم احفل متى قام عودي (٨).
 كميت متى ما تعل بالماء تربد (٩).
 كسيد الغضا ، نبهته ، المتورد (١٠).

(١) رحيب : واسعة . قطاب الجيب : مجتمع الثوب حول العنق « يصف اتساع صدرها » . رقيقة
 يحب الندامي : اذا الندامي جسا جسداه وجدوه رقيقاً ليناً . بضة : بيضاء لينة . المتجرد : النجود
 من الثياب . (٢) اسمعينا : غني لنا . رسلها : هيتها وسكونها . انبرت : « اجابت » . مطروفة : ساكنة ، مسرعة .
 تشدد : « تشدد » : تنهياً وتجهداً . (٣) رجّع : رد الصوت . اطار جمع ظئر : « ام » . ربع
 رد : طفل ميت (٤) الطريف والمتلد : المال المكتسب والموروث . (٥) تحامتنى : اجتنبتنى . المعبد :
 المدهون بالقطران « لانه اجر » . (٦) غبراء : الارض . بنو غبراء : الفقراء . الطراف : الخيمة
 من جلد . اهل الطراف : الاغنياء . (٧) يا ايها الذي يلومني على الذهاب الى القتال وعلى التمتع
 باللذات ، هل تستطيع ان تخلدني في الدنيا « اذا انا لم افعل ذلك » (٨) احفل : اهتم . العود جمع
 عائد : الذي يزور المريض . قام عودي : مت « لان المريض اذا اوشك ان يموت خرج العائدون
 من عنده » . (٩) العاذلات : اللوات . كميت : خمر حمراء ، يصفها بانها اذا مزجت بالماء علاها الزبد .
 (١٠) كري : اسراعي . مجنباً : قائد فرسي معي لاجل الضيف عليها . السيد : الذئب . الغضا : نوع من
 الشجر ، والذئاب التي تألف الغضا تكون ضارية . المتورد : الذاهب الى الماء « العطشان » .

وتقصير يوم الدجن، والدجن مُعْجِبٌ ، وبهكنة تحت الحباء المعمد (١) .
 فذرني أروِّي هامتي في حياتها ستعلم ان متنا غداً أينما الصدي (٢) .
 كريم يروِّي نفسه في حياته مخافة شرب في الممات مُصْرَدٌ (٣) .
 لعمرُك ان الموت ما اخطأ الفتى لكالطول المرخي وثنياه باليد (٤) ،
 متى ما يشأ يوماً يقده لحفنه ومن يك في جبل المنية ينقد (٥) .
 ارى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد (٦) .
 ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفائح مُنْضَدٌ (٧) .
 ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد (٨) .
 ارى الموت أعداد النفوس ولا ارى بعيداً غداً ما اقرب اليوم من غدا ١
 ارى العيش كترأ ناقصاً كل ليلة وما تنقص الايام والدهر ينقد (٩) .
 فمالي اراني وابن عمي مالكا متى ادن منه ينأ عني ويبعد .
 يلوم ولا ادري علام يلومني كما لا مني في الحي قرط بن أعبد (١٠) .
 وآيسني من كل خير طلبته كأننا وضعناه الى رمس ملحد (١١) .

(١) الدجن : المطر . معجب : يعجب « منه من رآه لشدة » . بهكنة : امرأة كاملة الحلقة .
 المعمد : المرفوع على عمد « خيمة كبيرة » . (٢) الصدي : العطشان . (٣) : مصرد : قليل . (٤) :
 الطول : الجبل . ثنياه : طرفاه . (٥) يشبه الانسان في يد الموت كالحوان المربوط بجبل ، وهو
 مرسل يرعى ، فمضى شاء الموت جذب الانسان اليه . (٦) نحام : الذي يتنحج عندما يسأله احد معروفاً .
 (٧) الجنوة : الكومة . منضد : مرفوع « على القبر » . (٨) : يعتام : يختار . العقيلة : « هنا » خيرة
 المال . الفاحش : السوء الخلق . المتشدد : البخيل - الموت يأتي على كل نفس . (٩) : ما : اسم شرط
 في محل نصب مفعول به - العمر كالمال الذي تأخذ منه كل يوم شيئاً لنفقتك . ومهما كان عمر كطويلاً
 فانه يفنى مع الايام . (١٠) ابن عمي يلومني كما يلومني الغريباء « كقرط بن أعبد مثلاً » . (١١) كأننا
 دفنا الخير .

على غير شيء قلته غير اني
وقربت بالقربى وجدك اني
وان أدع للجلى اكن من حماها ؛
وان يقذفوا بالقذع عرضك اسقمهم
فلو كان مولاي امراً هو غيره
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي

على الشكر والتسأل او انا مفتدي (٦)
وظلم ذوي القربى اشد مضاضة
فذرني وخلقى انني لك شاكر
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد
فأصبحت ذا مال كثير وزارني
بنون كرام سادة لمسود (١٠)

(١) معنى هذا البيت غامض ولعله يقصد ان اخاه لاه على قول الشعر فطلب به الابل التي كانت قد نهبت.
(٢) تقربت اليك بما بيننا من قرابة . النكيسة : الحادث المقطع . اشد : احضر واشترك في الجهاد .
(٣) الجلى : الامر العظيم . الجهد : البلاء . اجهد : اجاهد معك . (٤) القذع : الشتم ، ثم يقول :
اقتلهم قبل ان اتهددهم . (٥) مولاي : ابن عمي « يقصد ابن عمه مالكاً » . امرؤ هو غيره : مسهر
ابن اصرم فيما قالوا . لفرج كربي : اعاني على ما انا فيه من الغم . لانظري غدي : تأني علي
وصبر حتى استطيع ان افعل ما يريد في المستقبل . (٦) - يقصد : ولكن ابن عمي يجبرني على ان
اشكره وان اسأله دائماً « حتى يعطيني من المال الذي هو لي عنده » او انه يرضى اذا اقتديت نفسي
منه بما لي « اي اذا تركت له مالي الذي هو عنده » . (٧) مضاضة : الم وحرقة . الحسام : السيف
القاطع . المهند : صنع الهند . (٨) اي دعني اعيش كما احب . وسأظل شاكراً لك على كل حال حتى
ولو ابتعدت عنك كثيراً . ضرغد : اسم مكان « يفهم منه انه بعيد عن مكان سكنى الشاعر » . (٩ و ١٠)
قيس ابن خالد رجل من بني شيبان ، وعمرو بن مرثد ابن عم آخر لطرفة وكان غنيا وذا بنين وحفدة
كثار . فلما سمع ذلك من طرفة استدعاه ثم امر ابناؤه السبعة فأعطاء كل واحد منهم عشرة من الابل
وامر ثلاثة فقط من احفاده ان يفعلوا مثل ذلك ، فتم لطرفة مائة من الابل .

- انا الرجل الضربُ الذي تعرفونه . خشاشُ كُرأس الحية المتوقد (١) .
 فأَنت لا ينفكُ كشحي بَطانة لعضبٍ رقيق الشفرتين مُهند (٢) .
 حُسامٍ اذا ما قمت منتصراً به كفى العودَ منه البدء ليس بمعضد (٣) .
 اخي ثقةٌ لا ينشني عن ضريبة
 اذا قيل : « مهلاً » ، قال حاجزه : « قدي » (٤) .
 اذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدّتي منيعاً اذا بَلَّت بقائه يدي (٥) .
 فان متُّ فانعيني بما انا أهله وشيّ عليّ الجيبَ يا ابنة معبد (٦) .
 ولا تجعليني كامرىءٍ ليس همهُ كهَمِّي ولا يُغني غنائي ومُشهدي (٧) ،
 بطيئٌ عن الجَلَى سريعٌ الى الحنا ذليلٌ ، باجماع الرجالِ مُلهّد (٨) .
 فلو كنت وغلاً في الرجال لضربي عداوة ذي الاصحاب والمتوحد (٩) .
 ولكن نفى عني الرجالَ جَرائتي عليهم ، وإقدامي وصدقي ومُحتدي (١٠) .
 لعمرك ما امري عليّ بَعْمَة نهاري ، ولا لي لي عليّ بِسَرْمَدِي (١١) .

(١) الضرب : الخفيف « الحركة » . خشاش ذو مضاء في الامور . المتوقد : الذي النشط . (٢) آلى : اقسم . كشحي : جاني اي خصري . بَطانة : ما يكون تحت الثوب . غضب : قاطع - اقسمت الا يفارقني السيف . (٣) معضد : سيف تمتحن به الشجر « مقص الشجر » . كفى العودُ من البدء : تكفي منه الضربة الاولى لتفعل فعلها . (٤) يقطع كل ما اصابه ولا يرتد عنه . واذا اراد الضارب به ان يتراجع في ضربه يقول المضروب به : حسي « يعني : كفتني هذه الضربة او الجزء من الضربة : قتلت » . (٥) منيعاً : لا يوصل اليه . بكت : ظفرت به وتمكنت منه . (٦) يخاطب ابنة اخيه فيقول لها : اذا مت فاذا كرّيتني بما استحق واحزنني علي . (٧) ولا تعامليني كرجل ليست له همتي . يغني : يفيد ويدفع الحوادث . المشهد : حضور القتال وغيره . (٨) بطيء نعت امريء . الحنا : القبح من القول والعمل . باجماع الرجال ملهّد : يطرده الرجال عنهم ، وهم يدفعونه بايديهم . (٩) الوغل : الضعيف الحامل . المتوحد : المنفرد « يقصد عداوة الجماعة والافراد » . (١٠) المتحد : كرم الاصل . (١١) غمة : حيرة . سرمد : ابدى - لا تتملكني الحيرة في اعمالِي نهراً ولا بطول لي الليل « لاني اجد مخرجاً من كل م او مصاب ينزل بي » .

ويوم حبست النفس عند اعتراكها
على موطن يخشى الفتى عنده الردى
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً
وبأتيك بالاخبار من لم تبع له
لعمرك ما الايام الا معارة
عن المرء لا تسأل وابصر قرينه
حفاظاً على عوراتهِ والتهدد (١)،
متى تترك فيه الفرائض تُرعد (٢)،
وبأتيك بالأخبار من لم تُرود (٣)،
بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد (٤)،
فما استطعت من معروفها فتزود (٥)،
فان القرين بالمقارن مُقتدي .

(١) وكَم من حرب صبرت النفس فيها وفاتلك حتى لا اعاب ولا أترك مجالاً للعدو ان يهددني
(٢) الفريضة : عضل بين الندى والجنب ، وارتعاد الفرائض كناية عن الخوف ، والموطن هنا
كناية عن الحرب . (٣) تزود : تعطيه زاداً « طعاماً او اجراً » (٤) لم تبع له بتاتاً : لم تشتتر له
طعاماً : لم تعطه اجراً . (٥) ايام الحياة عارية لن تدوم لك فاستفد منها ما قدرت عليه .

النابة الذُّبْيَانِي

توفي نحو عام ١٨ قبل الهجرة ٦٠٤ م

هو زياد بن معاوية بن ضباب .. بن غيظ بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان
ابن بغيض بن ريث بن غطفان ، من قيس عيلان بن مضر . وذبيان وعبس أخوان
وهما ابنا بغيض بن ريث بن غطفان . وقد قيل ان النابة كان احد الاشراف في قومه .
وسمي بالنابة ، فيما قال الرواة ، لانه قال الشعر بعد ان تقدمت به السن ،
وقيل لانه اكثر من قوله الشعر ، وقيل بل لانه قال في بعض شعره : « فقد نبغت
لهم مناشؤون » .

واتصل النابة ببلاط الحيرة ليمدح المنذر الثالث بن ماء السماء ، بعد ٩٢ ق. هـ .
(٥٣٠ م) . ويظهر ان النابة غادر البلاط حينما جاء عمرو (بن المنذر الثالث) بن
هند (٦٨ - ٥٣ ق. هـ ، ٥٥٤ - ٥٦٩ م) لانحيازهم الى تغلب على بكر في حادثة
عمرو بن كلثوم والحارث حليزة ، وقد قال فيه النابة ابياتا مطلعها :

مَنْ مَبْلَغُ عَمْرٍو بْنِ هَنْدٍ آيَةً وَمَنْ النَّصِيحَةُ كَثْرَةُ الْإِنْذَارِ .
وعاد النابة الى الاتصال ببلاط الحيرة بعد موت عمرو بن هند في ايام اخويه
قابوس والمنذر الرابع ، وقد حكما مدة يسيرة . على ان النابة عرف بانسه شاعر
« النعمان » الثالث « ابن المنذر » الرابع « وهو المعروف بابي قابوس ، وقد كان آخر
ملوك الحيرة وحكم اثنتين وعشرين سنة من ٣٧ الى ١٥ ق هـ « ٥٨٥ - ٦٠٧ م » .

ونال النابة عند النعمان حظوة عظيمة ونال من عطاياه وجوائزه مبلغاً جسيماً
حتى انه كان يأكل في صحاف الفضة والذهب ، ولقد جرك ذلك حسد بعض اعدائه
فيقال انهم صنعوا على لسانه ابياتاً في هجاء النعمان . وقيل بل كان النابة في مجلس
النعمان ، وممرت المتجردة امرأة النعمان ، فاتفق ان سقط نصيفها (لثامها) فستوت
وجهها بذراعها وانحنت على الارض ترفع النصيف بيدها الاخرى . فطلب النعمان

من النابغة ان يذكر هذه الحادثة في قصيدة يصف فيها المتجردة فعمل النابغة قصيدته :
امن آل مية رائحٌ او مُغتدي : عجلانٌ ذا زادٍ وغيرُ مزود .
فقال فيها :

سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته وادتتنا باليد .
بمخضب رخص كأن بنانه عنم على اغصانه لم يُعقد (١) .
ثم بدأ يصفها حتي ذكر اموراً لا يجوز ذكرها ، فالتهمز اعداء النابغة الفرصة
واوغروا عليه صدر النعمان . ويظهر ان النعمان اصغى للوشاية فيخاف النابغة على
نفسه وهرب الى بلاط الغساسنة فمدح احد امراءهم النعمان بن الحارث الاصغر ورثاه ،
وكذلك مدح اخاه عمرو بن الحارث الاصغر . ونحن نعلم ان هذين الاميرين عاشا
وتوليا الملك بين ٥٨٣ و ٦١٤ ولكننا لا نعلم تواريخ ملكهما بالتدقيق لاضطراب
الاحوال السياسية في جميع تلك الحقبة .

خصائصه

النابغة شاعر حضري لانه عاش اكثر حياته في بلاط الحيرة وبلاط جلدق عند
المناذرة والغساسنة ، من اجل ذلك تجد في بعض شعره رقة الحضارة من فصاحة في
اللفظ وعذوبة وسهولة في التركيب ، بالاضافة الى شعراء البادية كامرئ القيس
وطرفة . واحتج من قدّم النابغة على غيره من شعراء الجاهلية بانه كان اوضحهم
معنى ، وابعدهم غاية « أي يتطلب معاني جديدة بعيدة عن تلك التي ألفها الشعراء »
كثير الفائدة (اي انه كثير المعاني في قليل من التراكيب) . وزاد ابن رشيق
فقال (١ : ٨١ - ٨٢) : « كان احسنهم ديباجة شعر ، واكثرهم رونق كلام ،
واذهبهم في فنون الشعر ، واكثرهم طويلة جيدة (اي ان قصائده الطوال جيد)
واحسنهم مدحاً وهجاء وفخراً وصفة (وصفاً) .. وكان زهير والنابغة من عبيد
الشعر ، ... يتكلفان اصلاحه ويشغلان به حواسنهما وخواطرها . . . بالتنقيح
والتثقيف » .

(١) العنم : ثمر احمر ، اشارة ان بنانها (رؤوس اصابعها) مصبوغة بلون احمر .

وقد عرف الجاهليون هذه المزايا الفنية للنابغة فكان بعضهم يحتكم اليه في سوق عكاظ ، فمن الذين احتكموا اليه حسّان بن ثابت الانصاري « شاعر الرسول فيما بعد » والخنساء تماضر بنت عمرو الشريد ، وهي ايضاً شاعرة مخضّرة .

فنونه

النابغة اكثر اهل الجاهلية فنون شعر :

١ - المديح

مدح النابغة تكسباً حتى سقط في عيون معاصريه وفي عيون النقاد . قال ابن رشيق (١ : ٢٦ و ٦٤) : « وانما قيل في الشعر إنه يرفع من قدر الوضع الجاهل مثلاً يضع من قدر الشريف الكامل ، وانه اسنى مروءة الدني ، وادنى مروءة السري ... وذلك إن الشعر لجلالته يرفع من قدر الحامل اذا مدح به مثلاً يضع (يخفض) من قدر الشريف اذا اتخذه مكسباً ، كالذي يؤثر من سقوط النابغة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر وتكسبه عنده بالشعر ، وقد كان (النابغة) اشرف بني ذبيان . هذا ، وانما امتدح قاهر العرب وصاحب البؤس والنعيم ... وكانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وانما يصنع احدهم ما يصنع فكاهاة او مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها الا بالشكر ، كما قال امرؤ القيس يمدح بني تيم رهط المعلى :

أقر حشاً امرئ القيس بن حُجْر بنو تيم مصابيح الظلام
لان المعلى احسن اليه واجاره حينما طلبه المنذر بن ماء السماء . . . حتى نشأ النابغة
فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر - وكان قادراً على
الامتناع منه بمن حوله من عشيرته او من سار اليه من ملوك غسان - فسقطت
منزلته . وتكسب (النابغة) مالا جسيماً حتى كان اكله وشربه في صحاف الذهب
والفضة ، واوانيه من عطاء الملوك .

ولا ريب في ان المديح فن حضري لا بدوي ، لان عزة البدوي تأبى عليه
التكسب بالمديح الا اذا تحضر وانكسرت فيه سورة البداوة كحال النابغة

والاعشى ، او إذا كان حضرياً في الاصل كحسان بن ثابت .
وقد خص النابغة بمديحه المتأذرة ملوك الحيرة والنعمان ابا قابوس على الاخص ،
ثم الغساسنة ملوك الشام . وفي مديح النابغة اغراض حضرية كوصف الصيد للهو
ووصف السفر في النهر والمبالغة في خلع الصفات على الممدوح والغزل الرقيق .
فمن امثلة مديحه الجيد قوله يمدح عمرو بن الحارث الغساني بعد ان هرب من
النعمان وجاء الى جليق :

كـلـيـنـي لـهـمَّ يا اَمِيـمَةً ، ناصبٍ و ليل ، اُفاسيه ، بطي ، الكواكب (١)
تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ وليس الذي يَهْدِي النجوم بايب (٢)
وصدر أراح الليل عازبَهم (٣) ، تضاعف فيه الحزن من كل جانب .
عليّ لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب (٤) .
حلفت يميناً غير ذي مَشْنُوِيَةٍ (٥) ، ولا عالم الا حسن ظنٍّ بصاحب .
وثقت له بالانصر إذ قيل قد غزت كتائب من غَسَّارٍ غير أشايب (٦) .
بنو عمِّه دنيا وعمرو بن عامر ، اولئك قومٌ بأْسهم غير كاذب (٧) .
إذاما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهدي بمصائب (٨) .
جوانحٌ قد أيقنَّ أنَّ قبيله ، إذاما التقى الجمعان ، أولُ غالب (٩) .

(١) كليني : اتركيني ، دعيني . حق « اميمة » ان تكون مبنية على الضم لانها منادى مقصود بالنداء ولكنها رويت بالنفع (راجع الاغانى ١١ : ١٦-١٧) ناصب : منصب ، متعب . بطي . الكواكب : طويل ، لا تغرب نجومه بسرعة . (٢) التي تهدي النجوم : النجوم التي تطلع « تظهر » في اول الليل . آيب : راجع الى مسقط رأسه « غائب » . (٣) اعاد الليل اليه همه الذي كان قد نسيه في النهار . (٤) لم يلحقها من ولا اذى . (٥) لا استثنى فيها شيئاً . (٦) اشايب : اخلاط - يقصد ان الغازين من بني غسان فقط . (٧) دنيا : بنو عمه الافريون . بأْسهم غير كاذب : لا جبن فيه . (٨) عصائب جمع عصابة : جماعة . (٩) جوانح : مائلات .

هَئِنَ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَاهَا

إذا عُرِضَ الحُطِيُّ فوق الكواثب (١).

على عارفات للطعان عوابس بهن كلوم بين دام وجالب (٢).

إذا استنزِلوا عنهن للطعن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب (٣).

فهم يتساقون المنيّة بينهم بأيديهم بيض رقاق المضارب.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (٤).

تورثن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جربن كل التجارب (٥).

تقدّ السلوقي المضاعف نسجه ، وتوقد بالصنّاح نار الحباحب (٦).

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الجود والاحلام غير عواذب (٧).

محلتهم ذات الآله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب (٨).

رقاق النعال طيب حجزاتهم يُحَيَّون بالريحان يوم السباسب (٩).

تحيةهم بيض الولائد بينهم وأكسية الأضريح فوق المشاجب (١٠).

(١) إذا وضعت الرماح مستعرضة أمام القربوس « مقدمة السرج » - دلالة على ذهابهم إلى الغزو
(٢) عارفات : صابرات . كلوم : جروح . دام : الجرح الدامي الجديد . جالب : الجرح القديم الذي برؤ ولكن ترك أثراً . (٣) إذا اشتدت الحرب والتجم المتحاربون نزلوا عن خيولهم . أرقلوا : أسرعوا في الصعود - كناية إلى استماتتهم في القتال (٤) فلول : ثلوم . القراع : للقتال .

(٥) يوم حليلة : معركة انتصر فيها الغساسنة على المانذرة في سهل قنسرين « شمالي سورية » .

(٦) السلوقي : الدرع المنسوب إلى سلوقية «؟» وتقده الشرر في الصخر القاسي . نار الحباحب : الشرر الذي يتطاير من فرقة المواد المحترقة . (٧) شيمة : عادة . الاحلام : العقول . عواذب : بعيدون .

(٨) محلتهم ذات الآله ؟ : العواقب : العواقب الحميدة . (٩) رقاق النعال : كناية عن الغنى والنعمة ، لا يحملون نعالهم صفيقة بل رقيقة . حجزاتهم : ما يحجز بين بيوتهم ، كناية عن العفاف . السباسب :

عيد الشغنين (١٠) الولائد جمع ولادة : الجارية . الأضريح : الحرير الأحمر ، الأرجوان . المشجب : ما تعلق عليه الثياب - يعني أنهم يوم عيدهم ينشرون أثواب الحرير « يزينون بها » وتقف الجوارى ثم تحيةهم عند مرورهم .

يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخااصة الأودان خضر المناكب (١).
ولا يحسبون الخير لا شر بعده ، ولا يحسبون الشر ضرباً لازب (٢).

٢ - الاعتذار :

وكذلك الاعتذار في شعر النابغة ميزة حضرية لا بدوية ، فان عنثرة او طرفقة ما كانا يعتذرا او يذلا انفسهما كما فعل النابغة - ولو كانت التهمة صحيحة . ان موقف النابغة امام النعمان موقف متذل خائف لا يريد ان يغضب النعمان حتى لا تنقطع عنه صلاته وعطاياه . انه لا ينكر التهمة انكار رجل عزيز النفس او انكار رجل بريء جريء ، ولكنه يحاول ان يتعطف النعمان بكل سبيل لاطهاره نفسه دائماً انه لا يحسر على ان يقول مثل هذا الكلام الذي نسب اليه ، ثم يجعل نفسه في كل ذلك « عبداً » يتقبل القصاص برضى او ينتظر العفو من سيد متفضل . وهو يكثر من الأيمان المعلقة ان الناس صنعوا ذلك على لسانه او كذبوا عليه فيه . ومع ان النابغة قد حط من مقدار نفسه في هذه القصائد من الناحية الخلقية ، فانه قد وهب الادب العربي فناً جديداً : انه حذق التعبير عن موضوع جديد ، وفتح امام الشعراء المتأخرين باب « العتاب السياسي » .

اما ابرز اعتذارياته فهي التي تلي :

أتاني ، أبيت اللعن ، انك لم تني وتلك التي أنهم منها وانصب (٣)
فبت كأن العائدات فرشن لي هراساً به يعلى فراشي ويقشب (٤).

(١) اردانها « رؤوس الاكمام فيها » بيض ، وما على اكتافها اخضر ، قيل انها على مثال ثياب الملوك . (٢) ضربة لازب : دائم ، ثابت - يمتدون ان كل حال تتبدل ، فيكون بعده الخير شر ، او بعد الشر خير .

(٣) ابيت اللعن : كرمت عن ان ذتي امراً تلعن به . اتم منها : بصير لي منها هم . انصب : اتعب . (٤) العائدات : الزائرات في المرض . الهراس : ثبت له شوك . يقشب : يخط ويحدد - أنالني كأنني نائم على فراش من شوك .

حَلَفْتُ ، فلم أترك لنفسك ريبة ، وليس وراء الله للمرء مذهب (١) .
 لأن كنت قد بُلِّغْتَ عني خيانةً لمبلغك الواشي أغش وأكذب .
 ولكنني كنت امرأاً لي جانب من الارض فيه مستراد ومذهب (٢) :
 ملوك واخوان اذا ما أثبتهم أحكم في أموالهم وأقرب .
 كفعلك في قوم أراك اصطفتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا .
 فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب .
 ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب (٣) :
 فإناك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدأ منهم كوكب .
 ولست بمستبقٍ أخاً لا تأمهُ على شعث . أي الرجال المهذب (٤) .
 فإن أكُ مظلوماً فعبدُ ظلمته ، وان تكُ ذاعبتى فمثلك يُعْتَب (٥) .
 وان تكُ ذاعبتى فمثلك يُعْتَب (٥) .

ثم نجده في هذه القصيدة التالية يعيد ما قاله من قبل ، ولكنه يزيد في اظهار تذله وتظلمه ، ولا يغفل في كل ذلك عن ان يُنَوِّه بعباء النعمان بما يدل على انه يحرص على عطاء النعمان اكثر من حرصه على رضاه :

أتاني ، أبنت اللعن ، انك لمتني ، وتلك التي تستك (٦) منها المسامع :
 مقالة ان قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع (٧) .

(١) حلفت يمناً « بالله » لا بترك في نفسك شكاً في صدقي ، وليس ثمة عين اعظم من اليقين بالله .
 (٢) مستراد : مكان اروده « اذهب اليه » - كان لي مكان تعودت الذهاب اليه . (٣) سورة : منزلة . يتذبذب : يضطرب - يجهد الملوك ان ييلفوا منزلتك فلا يستطيعون .
 (٤) الشعث هنا العيب او النقص . تله : تضمه اليك - اذا كنت لا تصاحب احداً فيه عيب فقدت جميع اخوانك ، وهل في الارض رجل كامل ؟ (٥) العتبي : الرضى - انا عبدك فان كنت قد خلعتي فقد قبلت امانتك هذا الظلم ، وان كنت انا مذنباً فمثلك من يعفو . (٦) تنسد ، تصبح صماء - ليتني اصبت بالصمم ولم اسمع انك لمتني . (٧) تلقاء : عند . رائع : مخيف ، مفرع .

لعمري ، وما عمري علي بهين ،
 أقارع عوف لا أحاول غيرها .
 أتاك امرؤ مستبطن لي بغضة
 أتاك بقول هاهل النسج كاذباً ،
 أتاك بقول ، لم أكن لأقوله
 حلفت ، فلم أترك لنفسك ريبة ،
 بمصطحات من لصف وثيرة
 عليهن شعثٌ عامدون لحجهم ؛
 حملت علي ذنبه وتركته ،

كذي العر يكوي غيره وهوراتع (٩) .
 فمن كان لا يهوى هواك فقطعت
 فان كنت لأذو الضغن عني مكذب
 ولا انا مأمون بشيء أقوله ،
 سرابيل من نار له وبراقع (١٠) .
 ولا حلفي علي البراءة نافع ،
 وانت بامر لا محالة واقع (١١) .

(١) العمر « بفتح العين » الحياة وهو اللقسم - اي احلف بحياتي انا ، وذلك عزيز علي . (٢) أقارع
 عوف : بنو قريع بن عوف وهم الذين وشوا به الى النعمان . لا أحاول « لا اتهم » غيرهم . جادعه : شاتمه
 وسابّه . (٣) مستبطن : مضمّر . من عدو : من عدو لي . شافع : معين . وه (٤) هاهل : سخيف ،
 رقيق . ولو قيدت يداي بالجوامع « الاغلال » . (٥) اثم يأثم : اكتسب ذنباً . امة : دين .
 (٦) مصطحات : مصطحب معها الحجاج . لصف : وثيرة : مكانان في ديار ضبة . الالال فمة في جبل
 عرفات بمكة . سيرهن التدافع : مسرعات . (٧) الشعر الاشعث : المغبر والذي علي غير نظام .
 عامدون : قاصدون - اما النياق فهي نخيلة محنية « كالفوس » . خاضعة « اي منخفضة » (٨) تركت
 صاحب الذنب الاصلي واتهممتي انا ، كمثل الابل يكوي الجمل الصحيح « كيلا يعدى بالجرب » ، وامله
 الجمل الاجرب فيترك بعيداً يرعى « ولا يكوي » . (٩) لا يهوى هواك : لا يحب ما تحب انت .
 قطعت : فصلت « اي البس » . سربال : ثوب . برقع : غطاء الوجه . (١٠) انت امام امر واقع .

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع (١) :
 خطاطيفُ حُجنٌ في حبال متينة تمدُّ بها ايدي اليك نوازع (٢) ،
 أتوعد عبداً لم يُخنك أمانةً ، وتترك عبداً ظالماً وهو ظالع (٣) ؟
 وانت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع (٤) !

٣ - الهجاء (والشعر السياسي)

الهجاء في ديوان النابغة قليل ولكنه منقسم قسمين : هجاءً شخصياً وهجاءً قَبلياً
 فمن هجائه الشخصي رده على الشاعر المشهور عامر بن الطفيل - وكان اصغر من
 النابغة - فهجاءه بأن صغره وفضل عليه اباه وعمه وعيره بالجهل والصبي فقال له :

فان يك عامر قد قال جهلاً فان مظنة (٥) الجهل الشبابُ !
 فكن كأبيك أو كأبي براء توافقك الحكومة والصواب .
 ولا تذهب بجملك طاميات (٦) من الخيلاء ليس لهن باب .
 فانك سوف تحأم أو تناهي (٧) اذا ماشيت أو شاب الغراب .

اما هجاؤه القبلي ففيه فخر بنفسه وقومه ويمكن ان يسمى الهجاء القبلي (او الشعر
 السياسي) لانه يتعرض للأحزاب وللعصبيات . ثم ان الغاية منه ليس هجاء الشخص
 المخاطب بالهجاء في الدرجة الاولى ، بل تبيان فضل قبيلة الهاجي على قبيلة المهجو ،
 وكان الاسلام قد حرم الهجاء القبلي لما يذكي من العداوة ، ولكن الهجاء القبلي عاد
 فانتسح مع مجيء بني امية وتنازع الاحزاب على الخلافة .

-
- (١) مهما ابتعدت عنك فلا استطيع ان انجو منك ، لانك كالليل الذي يصل الى كل بقعة من الارض .
 (٢) خطاطيف : قطع حديد تعلق بها الاشياء . حجن : عوج . نوازع : جوازب . (٣) ظالع :
 جائر ، مائل عن الحق . (٤) السيب : العطاء .
 (٥) مكان ، اي الجهل يكون مع الشباب . (٦) المياه العالية : التيار . (٧) تحم أو تناهي : تصبح
 عاقلاً أو ينتهي أو ان جهلك .

والنابغة يبدي دائماً اشفاقاً على المهجور يسدي اليه النصائح مع شيء من التهديد
والوعيد كما فعل في شأن زُرعة بن عمرو بن خويلد حينما اشار عليه زُرعة ، وقد لقيه ،
بان تترك ذبيان حلف بني اسد ، فابى النابغة . فجعل زُرعة يتوعد النابغة ، فقال النابغة :
نُبِّتْ زُرْعَةَ ، وَالسِّفَاهَةَ كَأَسْمَا (١) يَهْدِي إِلَيَّ غُرَابُ الْأَشْعَارِ (٢) .
فَحَلَفْتُ يَا زُرْعَ بْنَ عَمْرٍو أَنِّي مِمَّنْ يَشُقُّ عَلَى الْعَدُوِّ ضَرَارِي (٣) .
أَرَأَيْتَ يَوْمَ عُكَاظَ حِينَ لَقِيتَنِي تَحْتَ الْعَجَاجِ فَمَا شَقَقْتَ غُبَارِي (٤) ؟
إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا : فَتَأْتِيَنَّكَ قَصَائِدُ ، وَلَيَدْفَعَنَّ (٥) .
رَهْطُ ابْنِ كَوْزُحٍ حَقْبِي أَدَارِعُهُمْ (٦) . جَيْشُ إِلَيْكَ قَوَادِمُ الْأَكْوَارِ (٦) .
وَبَنُو قُحَيْنٍ لَا مَحَالَةَ إِنَّهُمْ فِيهِمْ ، وَرَهْطُ رَبِيعَةَ بْنِ حُذَارٍ .
حَوْلِي بَنُو دُودَانَ لَا يَمُصُونَنِي آتُوكَ غَيْرَ مُقْلَمِي الْأَخْفَارِ .
٤ - الرثاء وَبَنُو بَغِيضٍ كُلُّهُمْ أَنْصَارِي .

والرثاء في ديوان النابغة اقل من الهجاء فيه . ورثاء النابغة لا عاطفة فيه ، بل
هو باب من مديحه ، وقد تجد فيه شيئاً من الحكمة كقوله في رثاء صُحَارِ أَخِيهِ
لأبيه وامه :

لَا يُهْنِي النَّاسَ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلَالٍ وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ مَالٍ ،
بَعْدَ ابْنِ عَاتِكَةَ الثَّأْوِي عَلَى أَبَوَي أَصْحَى بَبْلَدَةٍ لَا عَمٍّ وَلَا خَالَ .

(١) السفاهة «قيحة» كأسمها (٢) يهجوني . (٣) الفرار : المقابلة بالضرر - اني اذا رددت على
هجائك بهجاء ، كان هجائي أشد . (٤) نافستني في سوق عكاظ في قول الشعر فلم تستطع ان تقول مثل
شعري (٥) برة : البر والوفاء . فجار : الفجور والفدر - انت دعوتني الى الفدر ببني اسد فلم اقبل
فكنت انا بذلك بارأ وكنت انت غادراً . (٦) قوادم الاكوار كناية عن ركوب الابل - يعني
سيغزونك . (٧) محبو ادراعهم : واضعين دروعهم خلفهم استعداداً للقتال .

سهل الخليفة مشاءً باقدحه الى ذوات الذرى حمّال أثقال (*) .
حسب الخليلين نأي الارض بينهما: هذا عليها وهذا تحتها بالي !
وقصيدة الرثاء عند النابغة قصيدة جاهلية فيها اطلال ونسيب ووصف للناقبة
ومديح ورثاء وتأمل في الحياة . فالرثاء اذن عند النابغة لا يزال غرضاً من اغراض
القصيدة لا فن قائم بنفسه . قال النابغة يرثي ابا حجر النعمان بن الحارث الغساني :
دعاك الهوى واستجهلتك المنازل .

وكيف تصابي المرء والشيب شامل (١) ؟
وقفت برّبع الدار قد غيّر البلى
معارفها والساريات الهواطل (٢) .
أسائل عن سُعدى ، وقد مرّ بعدنا
على عرصات الدار سبع كوامل (٣)
وسلّيت ما عندي برّوحة عيرمس
تخبُّ برّحلي تارة وتُناقل (٤) .
فلا يهنيء الاعداء مصرعُ ملائكم ،
وما اعتقت منه تميم ووائل (٥) .
وكانت لهم ربعية يحذرونها
إذا خضخضت ماء السماء القبائل (٦) .
يسير بها النعمان تغلي قدوره
تجيش باسباب المنايا المراحل (٧) .
يقول رجال ينكرون خليقتي
لعلّ زياداً ، لا ابا لك ، غافل (٨) .
أبى غفلتي أني اذا ما ذكرته
تحرك داء في فؤادي داخل .
وأن تلادي ، ان ذكرت ، ويشكي
ومهري ، وما ضمت اليّ الانامل .

• () يحمل نصيبه من لحوم الابل في لعب الميسر الى ذوات الذرى (؟) ويخدم الناس .

(١) حملتك على الجهل « طيش الصبا » . ٢ . المعارف : العلامات التي نعرف بها الاشياء . الساريات
الهواطل : السحب المطيرة . ٣ . العرصه : باحة الدار . سبع « سنوات » كاملة . ٤ . العرمس : الناقبة
الشديدة . الحب والمناقلة نوعان من سير الابل . ٥ . اعتق : « هنا » نجا - بموته نجت قبيلتنا تميم
ووائل من الغزو . ٦ . ربعية : غزوة في الربيع (الخريف) خضخضت ماء السماء القبائل : اذا بدأ الناس
يستقون الماء من الآبار بعد انقطاع المطر (٧) يضطرم الموت في قدوره ومراحل « صدور الجيش » .
٨ () يقولون ان النابغة « زياداً » نسي النعمان بعد موته .

- حَبَاؤُكَ ، وَالْعَيْسُ الْعَتَلَقُ كَأَنهَا
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَدَّعْتَ غَيْرَ مُدْمَمٍ
فَلَا تَبْعَدَنَّ (٣) ، إِنْ الْمَنِيَّةُ مِنْهَلْ ،
فَمَا كَانَ بَيْنَ الْخَيْرِ لَوْ جَاءَ سَالِمًا
فَإِنْ تَحْيَا ، لَا أَمَلَلُ حَيَاتِي ، وَإِنْ تُمُتْ
فَإَبْ مُصَلَّوْهُ بَعِينَ جَلِيَّةُ
سَقَى الْغَيْثَ قَبْرًا بَيْنَ بَصْرَى وَجَاسِمٍ
بَكَى حَارِثَ الْجَوْلَانِ مَنْ فَقَدَ رَبَّهُ
سَجُودًا لَهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَهُ
هَجَّانُ الْمَهَا تُحْدِي ، عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ (١) .
أَوَاسِيٌّ مُلْكٌ ثَبَّتَتْهُ الْإَوَائِلُ (٢) .
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا بِهِ الْحَالُ زَائِلٌ !
أَبُو حُجْرٍ ، إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ (٤) .
فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ (٥) .
وَعُودُ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ (٦) .
ثَوَى فِيهِ جُودٌ فَاضِلٌ وَنَوَافِلُ (٧) .
وَحُورَانٌ مِنْهُ مُوحَشٌ مُتَضَائِلُ (٨) .
وَتُرْكٌ وَرَهْطٌ الْإِعْجَمِيْنَ وَكَأْبِلُ (٩) .

٥ - الوصف

وصف النابغة حضري ، وهذا ما يميزه من وصف أكثر الشعراء الجاهليين ، فلقد عاش النابغة في المدن (في الحيرة وفي جَلَّتْ) أكثر مما عاش في البادية . وكان شاعر بلاط يعيش في الترف ويعاشر الملوك والأمراء . ومع أن الوصف لم يكن عند النابغة فناً مستقلاً فإنه كان بلا ريب غرضاً بارزاً في قصائده .

وإذا نحن صرفنا النظر عن بعض الأغراض الجاهلية في الوصف عنده كوصف الأطلال

- (١) الشكوة : السلاح . الحياء : العطاء . العيس العتلق : النياق الكريمة الأصل . هجان المها : الظباء البيض . تحدى : تساق . الرحائل جمع رحالة : السرج . (٢) أواسي : الدعائم . (٣) ندبة الميت ، كأنهم لا يصدقون أنه مات فيقولون له لا تبعد ولا تهلك . (٤) لو لم يمت لجاءنا منه خير «عطاء» سريع . (٥) فائدة . (٦ و٧) مصلوه : دافنوه ، راجع قوله تعالى في سورة الحاقة « ٦٩ : ٣١ - ٣٢ » خذوه فقلوه . ثم الجحيم صلوه . عين جلية : خبر واضح (بوته) . نائل : عطاء . النوافل : العطايا . (٩) حارث الجولان : المزارعون في سهل الجولان . ربه : ملكه . وجبل حوران أوحش بعده وتضائل «صغر» . (٩) غسان فاعل سجدوا . أوبه : رجوعه وهي هنا عطاؤه . كابل : بلاد أفغانستان - يقول كان كل الناس يرجون خيره .

ووصف الناقة ووصف المطر ووصف الليل ووصف الصيد ، فاننا لا نستطيع الا ان نشير الى بعض الاوصاف الحضرية كوصف ايام العيد ووصف الجيش الذهاب الى الحرب ووصف الليل وقدمت نماذجها في ما اخترناه من قصائده في المديح والاعتذار . واما وصف الناقة وتشبيهها بالثور الوحشي ، ووصف الصيد ووصف المطر وسقوط البرد ووصف دجلة الهاجرة مما برز في شعر النابغة بروزاً خاصاً فسترى نماذجها في معلقته الدالية . وللنابغة وصف حسبي بارع تراه في اغراضه التي عدناها وتراه في وصفه للحمة :

صِلْ صَفَا لَا تَنْطَوِي مِنَ الْقَصَرِ ، طَوِيلَةُ الْإِطْرَاقِ مِنْ غَيْرِ خَفَرِ (١) .
دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ ، كَأَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهَا الْفِكْرُ (٢) .
مَهْرُوتَةُ الشِّدْقَيْنِ حَوْلًا ، النَّظَرُ تَفَرُّ عَنْ عُوجِ حَدَادِ كَالْإِبْرِ (٣) .

ولا ريب في ان النابغة من اوصاف شعراء الجاهلية ان لم يكن اوصفهم . وعلى الاخص اذا علمنا ان تنوع الوصف الصق بالاغراض الحضرية منه بالاغراض البدوية .

٦ - النسب والغزل والمجون

وهذه أيضاً تغلب عليها عند النابغة خصائص الحياة الحضرية ، فالنسب قديكون عنده تقليدياً ولكنه رقيق ناعم عذب فصيح الالفاظ سهل التراكيب يمس العاطفة كما ترى في مطلع قصيدته في رثاء النعمان بن الحارث الغساني . وكذلك يظهر نسبه وغزله حضرياً رقيقاً دقيقاً اشد تأثيراً في العاطفة واصدق تعبيراً عما يريد الشاعر كما يظهر في مقدمة قصيدته التي عدها ابو زيد القرشي (٤) في المعلقات :

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمِ دِمْنَةَ الدَّارِ . ماذا تحيون من نؤي واحجار (١) ؟

(١) حية صخرية قصيرة جداً تخفض رأسها كثيراً ولكن ليس من الحياء « اذا لدغت الحية وارادت ان تفرغ سمها من انيابها قلت رأسها » . (٢) داهية : الامر العظيم ، المصيبة - اذا كبر الانسان جفت الغضاريف التي بين خريزات عموده الفقري فقصرت قامته . (٣) واسعة الفم ، ينفتح فمها عن انياب عوج حادة . (٤) جمهرة اشعار العرب ، المطبعة الرحمانية ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م ، ص ٧٧) . (٥) عوجوا : ميلوا ، اعطفوا رؤوس مطاياكم الى . النؤي : الخندق الذي يحفر حول الخيمة ليمنع تسرب الماء اليها .

وقفت فيها، سَراةَ اليومِ أسألها
 فاستعجمت (٢) دار نعم لا تُكَلِّمُنَا
 وقد أراني ونعماً لاهيين بها
 أيامَ تحبرني نعمُ وأخبرها
 لولا حباثلُ من نعمٍ علقت بها
 فان أفاق لقد طالت عمايته .
 نَبِئتُ نعماً على الهجران عاتبةً ،
 رأيتُ نعماً واصحابي على عجل
 فربيع قلبي وكانت نظرةً عَرَضَتْ
 بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدُها
 والطيب يزداد طيباً ان يكون بها
 تُسقي الضجيع ، اذا أُسَسَّقِي ، بذِي أشر ،
 عَذِبِ المذاقة بعد النوم ، نَحْمَارِ (١١) .
 كَانَ مَشْمُولَةً صِرْفاً بِرِيقَتِهَا مِنْ بَعْدِ رَقْدَتِهَا وَشَهِدَ مَشْتَارِ (١٢) .

(١) سراة : وسط . اموناً : ناقة قوية « وهي مفعول به من وقفت » . عبر اسفار : كثيرة السفر
 مقتدره عليه . ٢ . خرس . ٣ . اراني : لا ازال اتخيل اني الهو مع نعم في تلك الدار .
 الامرار : المرور والذهاب . ٤ . حاجاتي . ٥ . لا ارعوى ورجع وصحا . ٦ . الانسان يتقلب في
 حياته ويتطور . ٧ . زرى : غاب وعاب . ٨ . وضعت الرحال على العيس « النياق » للرحيل .
 ٩ . ريع : أخيف . في المراجع « نظرة » منصوبة - والاصوب ان تكون مرفوعة « فاعل كان » .
 حيناً : موتاً « وهو مفعول به من عرضت » ١٠ . تقول فحشاً « سوءاً » ١١ . اشر : خطوط « في
 الاسنان » دلالة على نظافتها من كل مادة هلامية عليها . حلوا الرائحة والمذاقة حتى حينها تستيقظ من نومها .
 نحمار : يفعل فعل النحر . ١٢ . المشمولة : النحر الباردة . صرفاً : غير ممزوجة بالمال . الشهد « بالفتح
 والكسر والضم » العسل . اشتار العسل : قطفه .

أقول والنجم قد مالت أواخره الى المغيب: تثبتت نظرة حار (١).
 ألحّة من سنا برق رأى بصري ، ام وجهه نعم بدا لي ام سنانار ؟
 بل وجهه نعم بدا والليل معتكر فلاح من بين أثواب وأستار .
 ان الحمول ، التي راحت مهجرة يتبعن كل سفيه الرأي مغيار ، (٢)
 نواعم مثل بيضات بمحنية يحفهن ظليم في نقاً هار (٣).
 إذا تغنى الحمام الورق هيّجني ولو تغرّبت عنها أمّ عمار .

٧ - الادب والحكمة والقصص

ومع ان النابغة ليس مشهوراً بالحكم كزهير، وليس في شعره حكم كما في معلقة
 طرفه ، فان له ابياتاً تخلق بالاستشهاد. وبما انه حكمه مستمدة من الاختبار الطويل
 فهي من اجل ذلك اوثق صلة بحكم زهير منها بحكم طرفه . من ذلك كله كقوله :
 ولست بمستبق أخاً لا تُلْمُهُ على شعث ؛ اي الرجال المذهب ؟
 * فان يك عامر قد قال جهلاً فان مظنة الجهل الشباب ...
 * امرء يأمل ان يعيش ، وطول عيش قد يضره
 تفنى بشاشته ، ويبقي بعد حلو العيش مُرد ،
 وتخونه الايام حتى لا يرى شيئاً يسره .

(١) حار : ترخيم حارث - يا حارث . (٢) الحمول : النساء الراكبات على الابل . مهجرة :
 في نصف النهار . مغيار : شديد الغيرة - يقول الشاعر هؤلاء النسوة يتبعن رهين الذي انتقل بهن من
 هنا لانه يغار عليهن . سفيه الرأي : ضعيف الرأي

(٣) نواعم خبر ان في البيت السابق . وهن يشبهن بيض النعام التي بيضت على جانب الوادي
 ثم قام على حضنها الظليم « ذكر النعام » في تلة صغيرة من الرمل . الهاري والهاثر : الذي ينهار تحت
 الاقدام ، غير متمسك . الورق جمع ورقاء : حمامة . ام عمار : محبوبة الشاعر .

كم شامت بي إن هلكت وقائل لله دره ١
 ويلحق بباب الادب (الحكمة) باب القصص ، وذلك ان النابغة يضرب احياناً
 في شعره امثالا ويسوقها سوقاً قصصياً . وله في ذلك قطعة مستقلة هي مثل الرجل
 والحية . فقد زعموا ان حية قتلت رجلاً في حديث طويل فجاء اخوه الى مكانها
 واراد ان يقتلها انتقاماً لاختيه . فخرجت اليه وقالت له : انني ندمت على قتل
 اخيك وسأدفع لك ديتيه ، ديناراً كل يوم ، فكانت تأتية مرة بعد مرة بدينار . فلما
 اغتنى عاد فذكر ثأر اخيه فاعد فأساً وجاء الى جحرها ليقبض الدينار . فلما خرجت
 عاجلها بضربة فأس اصابت طرف ذنبها فقطعته ولكنها نجت وبعد مدة اراد
 ان يصالحها على ان ينسى هو ثأر اخيه وتنسى هي محاولة غدره بها وان ترجع فتؤدي
 اليه ديناراً كل يوم ، فقالت له : ما دمت انت ترى قبر اخيك امام عينيك وانا
 ارى اثر فأسك في ذنبي فلا سبيل الى الصلح . وامثال هذه الخرافة نادر في الشعر
 الجاهلي . قال النابغة :

وَإِنِّي لَا لَقِيَّ مِنْ ذَوِي الضِّغْنِ مِنْهُمْ ،

وما أصبحت تشكون من الوجد ساهرة (١) ،

كما لقيت ذات الصفا من حليفها ،

وما انفكت الامثال في الناس سائره (٢) .

فقالت له : « ادعوك للعقل وافراً ولا تغشيني منك بالظلم بادره » (٣)

فوثقها بالله حين تراضيا ، فكانت تريه المال غيباً وظاهره (٤) .

فلم توفي العقل الا أقله (٥) وجارت به نفس عن الخير جائره .

تذكر أني يجعل الله جنة ، فيصبح ذامال ويقتل واثره (٦) .

(١) التي اسهرها العشق ؟ » (٢) الحية (٣) العقل : الدية . بادرة : اعتداء (٤) الظاهرة : نصف النهار . الغيب : يوماً بعد يوم - كانت تؤدي اليه كل يومين ديناراً (٥) اخذ اكثر الدية . جارت : حادث ، مالت ، ضلت (٦) الجنة : الستر - كيف يمكن للحية ان تنجو منه .

فلما رأى ان ثَمَرَ الله ماله ،
 أَكَبَّ عَلَى فَأْسٍ يُجِدُّ غُرَابَهَا
 فقام لها من فوق جُحْرٍ مَشِيدٍ
 فلما وقاها الله ضربة فَأَسَهُ .
 فقال : « تعالي نجعلُ الله بيننا
 فقالت : « يمين الله افعلْ ، انني
 أبى لي قبر لا يزال مقابلي ،
 واثل موجوداً ، وسد مفقره (١) .
 مذكرة من المعاول بآثره (٢) .
 ليقتلها او يخطئ الكف بادره (٣) .
 وللبر عين لا تغدض ناظره (٤) !
 على مالنا ، او تُنجزي لي آخره » .
 رأيتك غداً رأياً يمينك فاجره (٥) .
 وضربة فأس فوق رأسي فاقره (٦) !

(١) ثمر : أكثر «المال» . أثل : ادام «للبنيان» . سد مفقره : سد وجوه فقره ، اغناه (٢) غراب
 الفأس : حدها . يجدها : يشجدها ، يسنها . مذكرة : وضعت الذكرة «بضم فسكون» وهي قطعة
 من الفولاذ ، في راسها . بآثره : قاطعة - الفأس المذكرة : الشديدة الصابة والتي عولجت حتى اصبح
 طرفها القاطع كالفولاذ . (٣) الجحر : المأوى المحفور في الارض . يخطئ : الكف بادره : اي لا
 يضرب في الوقت المناسب . (٤) وقاها : حفظها . البر : «هنا» الله . (٥) لا افعل ، فان لا النافية
 تحذف بعد القسم عادة (٦) الفاقرة : التي تكسر فقار الظهر «عظام السلسلة الفقرية» .

معلقة النابغة

نظم النابغة معلقته هذه بعد ان فارق النعمان بن المنذر ابا قابوس الى بلاط
الغساسنة عام ٣٢ ق. هـ (٥٩٠ م) فهو يمدح فيها النعمان ويعتذر اليه عما سبق للواشين
ان رموه به . ولا ريب في ان المعلقة امتن شعر النابغة واكثره نضجاً واجمعه
لاغراض الشعر في ديوانه ، ففيها وصف للاطلال مفصل ووصف للناقة دقيق ،
وفيهما وصف للصيد الحضري وفيها مديح واعتذار وقصص ، وفيها وصف لنهر
الفرات . — ومع شهرة هذه القصيدة بانها المعلقة فان ابا زيد القرشي قد ذكر له
« عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار » على انها المعلقة . اما الزوزني فلم يذكر النابغة
قط في « شرح المعلقات السبع » . ولكن هذه القصيدة اول شعر النابغة على خصائصه
وفنونه وشاعريته :

يا دار ميةً بالعليا ، فالسندِ ، اقوت وطال عليها سالفُ الابدِ (١) .
وقفتُ فيها أصيلاً (٢) كي أسألها ، عيت جواباً . وما بالربع من أحد
الْأَوارِي ، لأيا ما أبيتها . والنوي كالخوض بالمظلومة الجلد (٣) .
رُدَّتْ عليه اقصيه ، ولبدّه ، ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد (٤) .
خَلَّتْ سبيلَ أتيّ كان يجِدسه ، ورفعته الى السجّنين والنّضد (٥) .
أضحت خلاءً ، وأضحى أهلها احتملوا ، أخنى عليها الذي أخنى على لبّد (٦) .

(١) خلت من أهلها . (٢) العصر : منتصف الوقت بين الظهر والمغرب . (٣) الأواري :
معالف الخيل والاماكن التي تربط الخيل فيها . المظلومة : الارض . الجلد : الارض الغليظة لا
حجارة فيها ؛ الوليدة : الجارية . المسحاة : المجرفة . الثأد : التراب الندي . (٥) الاتي : السيل .
السجف : الستر . النضد : متاع البيت . رفعته « هنا » قدمته ، قربته (٦) لقد محا آثار هذه الدار
الدهر الطويل الذي اهلك لبّد « وهو نسر للقيمان ابن عاد عاش مائتي عام فيما قيل » .

- فعدّ عما ترى اذ لا ارتجاع له ، وأنم القنود على ديرانة أجد (١) .
 مقذوفة بدخيس النحض ، بازؤها له صريف صريف القعوب بالمسد (٢) .
 كأن رحلي ، وقد زال النهار بنا يوم الجليل ، على مستأنس وحده (٣) .
 من وحش وجرة ، موشي اكارعه ،
 طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد (٤) .
 سرت عليه من الجوزاء سارية تُرجي الشمال عليه جامد البرد (٥) .
 فارتاع من صوت كلاب فبات له
 طوع الشوامت من خوف ومن صرد (٦) .
 فبهن عليه ، واستمر به صنع الكعوب بريئات من الحرّ (٧) .

(١) اترك هذا « وصف الاطلاع » اذ لا فائدة منه ، وارفع رحلك على ناقة قوية شديدة « يعني سافر »
 (٢) مقذوفة بدخيس النحض : ذات لحم مكتنز . البازل : سن يطلع للناقة اذا كملت قوتها . لهذا
 السن صوت كهوت جبل من ليف يجري على بكرة من خشب « دلالة على شدة الصوت الذي تحدته
 هذه الناقة » . (٣) زال النهار : اصبحت الوقت بعد الظهر . الوحيد : الحيوان المتوحش العائش في البرية .
 المستأنس : المقرب من مكان الانس ، من الحضر « ويكون عادة كثير النفور مضطرباً » . الجليل :
 اسم موضع . (٤) موشي اكارعه : قوائمه مخططة خطوطاً سوداً وبيضاً . طاوي المصير « المصير » : ضامر
 البطن . الصيقل : صانع السيوف . الفرد : الوحيد - اذا كان للصيقل سيف وحيد فهو يشحذه دائماً فيصبح
 رقيقاً جداً . (٥) اطرت عليه سارية « سحابة » ترجى : ترسل ، تسقط . الشمال : ربح الشمال . جامد
 البرد : قطرات الماء المتجمدة « البرد » . (٦) ارتاع : خاف . الكلاب : الذي يصطاد بالكلاب .
 طوع الشوامت : ابي يطيع قوائمه ، يقف عليها ولا يستطيع ان يتحرك او يهرب لما يشعر به من
 الخوف والبرد . (٧) فبهن عليه : ارسل الكلاب عليه . استمر به صنع الكعوب : استمرت قوائمه
 ثابتة في مكانه « لم يهرب » . الصمع جمع اصمع : ضامر . الكعوب جمع كعب : مفصل العظام . بريئات
 من الحرّ : لا اعوجاج فيها .

وكان ضمران منه حيث يوزعه طعن المَعَارِكْ، عند المَحْجَرِ، النَجْدِ (١).
 شكَّ الفريضة بالمدرى فانفذها شكَّ المبيطراذيشفني من العضد (٢).
 كأنه خارجاً من جنب صَنْجَحْتِه سَنُودَ شَرْبِ نُسُوهِ عند مُفْتَأَد (٣).
 فظلاً يعجمُ اعلَى الرُّوقِ مُنْتَبِضاً.

في حالِك اللون صدقٌ غيرَ ذي أود (٤).
 لما رأى واشقُ اقعاص صاحبه ، ولا سبيلَ الى عَقْلٍ ولا قَوَد (٥)،
 قالت له النفس: «إني لا ارى طمعاً . وإن مولاك لم يسلم ولم يصِد» (٦).
 فتلك تُبلغني النُعمانَ . إن له

فضلاً على الناس في الادنى وفي البُعد (٧).
 ولا أرى فاعلاً في الناس يُشبهه ، ولا أحاشي (٨) من الاقوام من أحد،
 إلاَّ سليمانَ ، إذ قال الآله له قُم في البرية فأحددها عن الفند (٩).

(١) ضمران : اسم علم على كلب . يوزعه : يدفعه عنه . الحجر : المأزق ، المكان الضيق «في الحرب» .
 النجد : الشجاع ، وهي نعت للمعارك - حينها ادرك ضمران الثور في مكان ضيق لا يستطيع ان ينجو
 منه ، اخذ الثور يطعن الكلب بقرنيه ليبيده عنه (٢) الفريضة : العضلة التي بين الكتف والخاصرة .
 المدرى : القرن . انفذه : جعل القرن يدخل من جانب فيخرج من الجانب الاخر . المبيطر :
 طبيب الدواب . العضد : مرض يصيب الدواب فيداوى بانفاذ ميل من جانب الى جانب في صدر
 الدابة ثم بادخال مصران في ذلك المكان فيخرج من طرفيه صديد لمدة معينة (٣) الشرب : الذين
 يشربون الخمر معاً . مفتأد : مكان شي اللحم - يشبه الكلب المشكوك بقرن الثور كقطعة اللحم
 الكبيرة المشكوكه بسيف حديد (٤) يعجم : بعض . الروق : القرن . منتبضاً : ملتوياً . حالك ،
 اسود . صدق : صلب . اود : اعوجاج - لعلها ، في حالك اللون صدقاً غير ذي اود ، ومعناها ،
 اسود لون الكلب من سيلان دمه ومع ذلك فقد ظل مجتهداً في عض قرن الثور ولم يتعب (٥) واشق :
 اسم علم على كلب . اقعاص : موت . العقل : الدية . القود : قتل القاتل بالمقتول (٦) طمعاً : طمعاً
 بصيد هذا الثور . مولاك : سيدك وصاحبك ٧ تلك ، اي الناقة التي لها هذه الصفات . الادنى
 والبعد : الاقربين والابعدين (٨) استني (٩) احدها : امنعها . الفند : الخطأ والخطل .

وخيَّسَ الجنَّ ، إني قد اذِنْتُ لهم
فمن أطاعك فأنفعه بطاعته
ومن عصاك فعاقبه معاقبة
الا لملك ، او من انت سابقه

سبق الجواد إذا استولى على الامد (٣) .
اعطى لفارهة حلو توابعها
الواهب المائة الابكار زينها
والساحبات ذبول الریط فنقها
والخيل تمزغ ، قبا ، في اعتتها

كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد (٧) ،
والأدم قد خيَّست ، فتلا مرافقها ،
واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت
الى حمام سراع وارد الشمد (٩) .

(١) خيس : ذلل ، استخدم . الصفاح : الحجارة العريضة . العمدة : الاعمدة . ٢) تقعد على
خمد : تصبر على الضيم او الحقد . ٣) الامد : الغاية - الا لمن كان في درجتك من الفضل ، او لمن
كنت اعلى منه بقليل . ٤) الفارهة : المطية الحسنة الكريمة او الفتية . حلو توابعها : كل ما يتبعها
جيد . فكد : كره ، وضعف . ٥) الابكار جمع : بكر « بفتح الباء » الجمل الصغير . وفي رواية
المعك : الغلاظ الشداد . السمدان ثوب ذو شوك . توضح اسم مكان . البلد : الكثرة الكثيفة . ٦)
الساحبات ذبول الریط : الجوارى اللابسات الحرير . فنقها : طيب عيشها وجعلها منعمة . برد الهواجر :
البحر في وقت الظهر الى مكان بارد . كالغزلان بالجرد : يبدوون جميلات كالغزلان التي لا يستر
حسنها شيء . ٨) تمزغ : تسرع . قبا جمع اقب : حصان ضامر البطن . في اعتتها :
بارسانها . الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر . ٨) الادم جمع ادماء : النافة البيضاء . فتلا مرافقها
قوامها بعيدة عن صدرها . مشدودة الخ : عليها سروج جديدة من صنع الحيرة . ٩) فتاة الحي : هي
زرقاء اليمامة وكانت حديدة البصر . الشمد : الماء . احكم : كن حكما .

يَحْفَهُ جَانِبَا نَيْقٍ ، وَتَتَّبِعُهُ . مِثْلَ الزَّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ (١) .
 قَالَتْ : « أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا . إِلَى حَامَتِنَا وَنُصْنِفُهُ فَقَدْ (٢) .
 فَحَسَبُوهُ فَأَلْفَوْهُ (٣) كَمَا حَسَبَتْ : تَسْعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَرُدْ .
 فَكَمَلْتَ مِائَةً فِيهَا حَامَتُهَا . وَأَسْرَعْتَ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ .
 فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ ، وَمَا هَرِيقٌ عَلَى الْإِنْصَابِ مِنْ جَسَدِ (٤) ،
 وَالْمَوْ مِنْ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسِّنْدِ (٥) .
 مَا قَلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أُتَيْتَ بِهِ ، إِذَا فَلَا رَفَاتٍ سَوَاطِي إِلَى يَدَيَّ (٦) .
 إِذَا قَلْتُ بِهَا عَيْنٌ مِنْ يَأْتِيكَ بِالْقَنْدِ (٧) .
 أَذًا فَعَاقِبْنِي رَبِّي مَعَاقِبَةً طَارَتْ نَوَافِذُهُ حَرًّا عَلَى كَيْدِي (٨) .
 هَذَا لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلٍ قُذِفَتْ بِهِ وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ (٩) .
 أَنْبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي . وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ .
 لَا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كُفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفَدِ (١٠) .

(١) يحفه جانبا نيق : يحده جانبا جبلين مرتفعين . مثل الزجاجه : كناية عن العين الصحيحة الصافية . لم تكحل من الرمد : لم تصب بالرمد فحتاج الى الكحل . (٢) فقد : حسب « فقط » .
 ألفوه : وجدوه . (٣) كما حسبت : اقسم بالذي مسحت كعبته «بيدي تبركا» اي بالله . هريق : فعل ماض مبني للمجهول من هراق . الجسد : الدم . (٤) ما هريق على الانصباب : اي بالله . العائذات : الحمام « اللاجئات . يمسحها : يمسها » (٥) ما اتيت به : ما نقله الواشون اليك . فلا رفات سوطي : الي يدي : دعوة على يده بالشلل . (٦) الكذب . (٧) القذف : التهمة . طارت نوافذه الخ : نفذت افواله القاسية في كيدي . (٨) اوعد : توعد ، تهدد . - ولا اطمئنان مع سماع صوت الاسد .
 (٩) لا تقذفني بركن لا كفاه له : لا تجل خصمي مقتدرا لا طاقة لاحد به (لا تكن انت خصمي) .
 كفاه : كفاه ، نظير . تأتفك : احاط بك . الاعداء : اعدائي . الرفد : المظاهرة ومساعدة بعضهم بعضا للوشاية بي عندك .

فما الفرات، وان جاشت غواربه
يَمُدُّه كل وادٍ مُتَرَعٍ لِحِبِ
يُغْلُّ من خوفه الملاحُ مُعْتَصِماً
يُوماً بأجود منه سيبَ نافلة .
هذا الثناء، فان تسمع لقائله
ها ان ذي عذرة إلا تكن نفعت
ترمي أواذيه العبرين بالزبد^(١)،
فيه حطام من الينبوت والخضد^(٢)،
بالخيزرانة بعد الاين والنجد^(٣) .
ولا يحول عطاء اليوم دون غد^(٤) .
فلم أعرض، أبيت اللعن، بالصفد^(٥) .
فان صاحبها مُشارك النكد^(٦) .

(١) جاشت : اضطربت . غواربه : اعالي الموج . الاواذي : الامواج . العبرين : الشطين .
(٢) يمدّه : يصب فيه . واد : «هنا» السيل الجاري في الوادي . خطام : قطع « جرفها السيل » .
الينبوت : نوع من الشجر . الخضد : النبات والاغصان المتكسرة . (٣) الملاح : البحري . الخيزرانة :
حفة المركب . الاين : التعب . النجد : العرق المنصب من اجهاد الجسد ومن التعب . (٤) سيب نافلة :
المطاء الزائد ، وهو اذا اعطى اليوم لا يمنع عطاءه غداً . (٥) الصفد : العطاء . - يقول : انا انني
عليك ولا اطلب (الآن) على ذلك عطاء . (٦) العذرة : الاعتذار . - واذا لم ترض عني فني اظل
حنكك الميش .

٤ - زهير بن ابي سلمى

توفي نحو عام ١٤ ق هـ (٦٠٩ م)

اليس بعجيب ان ينادي رجل بالسلم في زمن كان
الناس يعتقدون فيه ان الحرب هي السبيل الوحيد
لاحقاق الحق ؟

١ - موجز ترجمته

يعرف زهير بن ابي سلمى بانه مُزَنِي ، نسبة في الاغلب الى جدة له كان اسمها
مزينة ، ومرجع نسبه الى غطفان من عرب الشمال وكانوا من ساكني نجد . وغطفان
هو الجذم الذي ينتمي اليه بنو عبس وبنو ذبيان . وليس لنا من سبيل الى ان
نعرف عن الرجل في مطلع حياته اكثر من ذلك .

ولكننا اذا راجعنا شعره - ومعلقاته خاصة - نعلم ان اسماء الاماكن التي
يذكرها معروفة في ارض غطفان في شمال الحجاز : فالمشلم تلة هناك او واد -
والدرّاج حرّة - ارض بركانية - في الاغلب في ذلك الجوار . واما الرقمتان
فواحتان على مقربة من يثرب . ومن هذا كله نعلم ان زهيراً عاش في شمالي الحجاز
على اطراف نجد . ونلاحظ من المعلقة ايضاً انه كان لزهير زوج اسمها ليلى وكنيتها
« ام اوفى » ولدت له اولاداً عدة ، ماتوا كلهم صغاراً . ثم تزوج بعد ذلك امرأة
اخرى هي ام ولديه كعب وُجَيْر ، فغارت من ذلك ام اوفى وآذته فطلقها . فلما
انكشف عنه الغضب احب مراجعتها فأبّت فقال :

لقد باليت مظنّ أمّ اوفى ولكن أمّ اوفى لا تبالي .
وعُمّر زهير حتى بلغ تسعين عاماً او تزيد .

٢ - حرب داحس والغبراء

اما اهم حادث اثر في نفس زهير ، ثم ترك آثاراً في ديوانه كله فهو حرب داحس

والغبواء ، وهي مناوشات ملأت اربعين عاما (٥٤ - ١٤ قبل الهجرة اي من ٥٦٨ - ٦٠٨ للميلاد) ولكنها جعلت من زهير صاحب معلقة ومن هرم بن سنان والحارث بن عوف علمين في عالم السلام وفي تاريخ الادب . اما سبب هذه الحرب فموجز فيما يلي :

كان داحس فرساً كريماً سريعاً ولكنه غير فارِه (لا يدل منظره على كرم اصله) فجرى ذكره ذات يوم في حلقة من القوم ، فاشاد به نفر وحقره آخرون وانتهى بهم الامر الا ان عقدوا رهاناً (لم يعلم به صاحب داحس) على الصورة الآتية : يُنزل قيس بن زهير العبسي داحساً والغبواء (فرسين له مذكراً ومؤنثاً) ويُجري رجل من غطفان فرسين ايضاً ، ويكون المدى مائة غلوة (٣٠٠٠٠ - ٥٠٠٠٠) ذراع ، والهدف ذات الاِصاد . اما الحكمُ فيجعلوه رجلاً من ثعلبة . وجعلوا علامة السبق ان يصل الجواد السابق الى بركة معينة ويكرع فيها .

وكن قوم من بني فزارة من (غطفان) عند ثنية بين المبتدأ والهدف . فلما بدا داحس - وكان السابق - عرفوه فامسكوه . ثم اتت الغبواء وراءه مصالحةً (ثانية) فلم يعرفوها فيمسكوها . وظل الفزاريون ممسكين داحساً حتى مضت الخيل واستهلت من الثنية فاطلقوه فراح يركض ويتخطى الخيل واحداً واحداً الا الغبواء « وداحس والغبواء لرجل واحد » ، ولو طال المدى لسبقها ايضاً . ومع هذا كله فقد وصلت الغبواء سابقة وداحس مُصلياً او ثانياً . الا ان الفزاريين اعترضوهما مرة ثانية قبيل الهدف وردوهما عن البركة .

وطلب العبسيون « حزب داحس والغبواء » حقهم من الرهان وقدره عشرون من الابل فلم يعطهم الفزاريون شيئاً . ولم يستطيع العبسيون القتال ساعتئذ وليس معهم غير ابيات قليلة « اي لم يكن معهم من انصارهم الا عدد قليل) . غير ان الحرب نشبت فيما بعد بين فزارة وعبس ، ثم جرت اليها قبائل اخرى من غطفان . ولقد دامت العداوة والمناوشات بين القوم اربعين عاماً فيما يزعمون . ولكن يجب الا نعتقد ان القتال ظل ملتجماً اربعين سنة ، بل ان العداوة فقط دامت تلك السنين .

اما القتال فكان بين الفينة والفينة فقط . ولم يكن عدد القتلى عظيماً جداً كما نتخيل نتيجة لحرب تدوم هذا العدد الكثير من الاعوام .

٣ - الصلح سبب المعلقة

قيل ان الحارث بن عوف المري خطب بيهسة بنت اوسى بن الحارث العبسي في حديث طويل جداً . وكان الحارث سيداً في قومه ، واوس بن الحارث معروفاً بالعزة . ولقد كان من امر بيهسة انها ابت ان يبني بها الحارث قبل ان يمشي بالصلح بين القوم . وهكذا مشى الحارث بالصلح وساعده في غايته رجل آخر من قبيلة بني مرة وهو هرم بن سنان . فاحتسبت عندئذ عبس وذبيان قتلها الا ما زاد ، فاحتمل هرم والحارث الديات الزائدة فكانت ثلاثة آلاف من الابل وقوّها في ثلاثة اعوام . وهكذا وضعت حرب داحس والغبراء اوزارها ، وعلا اسم هرم والحارث في تاريخ الحرب والسلم ، وعلا معها اسم زهير بن ابي سلمى .

٤ - زهير في رأي الرواة والنقاد

- أ - زهير احد الثلاثة « امرؤ القيس ، زهير ، النابغة » المقدمين على سائر الشعراء .
- ب - قال جرير : شاعر اهل الجاهلية زهير .
- ج - قال عمر بن الخطاب (رضه) : زهير شاعر الشعراء . . . كان لا يعاظم في الكلام « يداخل بعضه في بعض » ، وكان يتجنب وحشي الكلام ، ولم يمدح احداً الا بما فيه . . . ولا يقول الا ما يعرف .
- د - قال محمد بن سلام الجُمَحي : ان من قدّم زهيراً احتج بانه كان احسنهم شعراً ، وابعدهم من سُخف ، واجمعهم لكثير من المعاني في قليل من اللفاظ ، واشدهم مبالغة في المدح مع الاحتياط حتى لا يخرج بمعانيه الى الغلو ، كقوله :
لو كان يقعُ فوق الشمس من احد قومٌ باحسابهم او مجدهم قعدوا .
فتفطن الى قوله « لو » .
- وكان زهير اكثر الشعراء « الجاهليين » امثالا في شعره ، على ما ترى في ختام معلقته .

هـ - قال ابن الاعرابي : كان زهير ما لم يكن لغيره : كان ابوه شاعراً ،
وخاله « بشامة » شاعراً ، واختاه سلمى والخنساء شاعرتين ، وابناه كعب وبجير
شاعرين .

و - كان زهير من عبيد الشعراء لانه من الذين ينقحون ما ينظمون ولا
يذهبون به مذهب المطبوعين الذين يرسلونه على السجية والقطرة .

هـ - ميزات زهير

اذا قبلنا احوال الرواة في زهير وجدناها تقرب من الحقيقة كثيراً . ولقد امتاز
شعره بما يلي :

أ - فصاحة الالفاظ - كان زهير من ارغب الشعراء عن الكلمات الغريبة
البعيدة عن المألوف . فقد كان يتجنب حوشي الكلام او وحشي الكلام ، وكلاهما
بمعنى . على ان الفاظه كانت جزلة ، نقصد بذلك انها تقع في مواقعها الصحيحة المخصوصة .

ب - سهولة التركيب - وكذلك كان زهير سهل التركيب « لا يعاقل
في الكلام » لا يداخل بعضه في بعض عند التركيب ، فلا تبعد ابياته عن الفهم .
على ان تراكيبه كانت بليغة تجري على اساليب العرب ، وكانت متينة لا ضعف في
بنائها ولا غمز في صحتها ، فلقد كان ينقح ما ينظم . زعموا ان قصائده تسمى
الحوليات ، يقصدون انه ينظم القصيدة في اربعة اشهر ، وينقحها في اربعة اشهر ،
ثم يعرضها على اصحابه في اربعة اشهر . ومع ان في هذه الرواية مبالغة لا يقبلها
التحقيق في جميع قصائد زهير ولا في بعض قصائده ، فانها تدل بلا شك على شدة
عنايته بتنقيح ما ينظم .

ج - بساطة الاسلوب - وسبيل زهير في ايراد افكاره وعرض آرائه
بسيط للغاية ليس فيه تنميق ولا بعد متخيل - كما ترى عند امرئ القيس مثلاً - .

د - صدق القول - تظهر روعة شعر زهير في صدقه اذا نظم . ومع ان
الصدق في التعبير عما يجول في النفس ميزة من ميزات الشعر الجاهلي عامة فانه ميزة
من ميزات زهير خاصة ، تعلم ذلك من مدحه لهرم بن سنان والحارث بن عوف ،

فانه لم يزد في مدحهما على ذكر فضلها على وقف الحرب . وهذا ما حدا بالنقاد الى القول بانه لا يقول الا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل الا بما هو فيه . ولذلك قال النقاد ان زهيراً اشعر الناس اذا رغب .

ه - النضج - ومع ان زهيراً عمر طويلاً ، فانه لم يترك ديواناً كبيراً . الا ان ما تركه من الشعر موسوم بالنضج وبالحكمة التي يخلقها التقدم في السن ، ولذلك قال النقاد انه اكثر الشعراء امثالا في شعرة . فلا عجب اذن اذا رأينا زهيراً يقف في قومه واعظاً ونصيحاً يحضهم على السلم وينفرهم من الحرب .

فنونه واغراضه

ليس لزهير فنون مستقلة يعالجها في قصائد او مقطعات خاصة ، ولكن له اغراض يجمع عدداً منها في كل قصيدة . واغراضه هذه تدور على ما يلي :

أ - المديح - واكثر مديحه في هرم بن سنان بن ابي حارثة احد صاحبي الصلح في حرب داحس والغبراء . وكان يمدحه اعجاباً به وبشهامته في تحمل ديات القتلى (مع الحارث بن عوف) . وأعجب هرم بزهير فحلف الا يمدحه زهير الا اعطاه ولا يسأله الا اعطاه ، ولا يسلم عليه الا اعطاه عبداً او وليدة او فرساً . فكان زهير اذا رأى هرم ما في ملاء (جمع من الناس) قال : « عموا صباحاً غير هرم » ، وخيركم استثنيت ! » وكذلك كان زهير متصلاً بالهرم من قبل فقد مدح والد هرم ورثاه . وواجه المديح عند زهير القوة والشجاعة في الحرب ، ثم المجد والعز وكرم الاصل ، ثم الكرم وفعل الخير وحمل المغارم وتفريج الكربات ، ثم التقوى والخلق الجميل .

ب - العتاب والوعيد والهجاء - ولزهير عتاب قليل في امراته ام كعب مثلاً ، او في اقوام ظلموا غيرهم ، وقلماً كان يعاتب زهير احداً لامر شخصي . وكذلك لم يكن وعيده ولا هجاؤه شخصيين ولكن في سبيل القبيلة . وليس له في ذلك ميزة بارزة تميزه من غيره من الشعراء .

ج - الوصف - والوصف من اغراض زهير البارزة فهو يتم كثيراً بوصف

الاطلال ووصف الراحلة (الناقة) ، وهو يصف الصيد ، ويحسن وصف الخيل في الحرب ووصف الحرب عامة . وله وصف في الخمر .

د - النسيب والغزل - وهو يجري فيهما على سنة الجاهليين في مطالع القصائد او في ثناياها ، على انها عفيفان بخلاف ما عرفنا عند امرئ القيس وطرفة .

هـ - الادب والحكمة - اشتهر زهير بانه يقول في الادب والحكمة على قلة ذلك في ديوانه حتى بالاضافة الى طرفة . ولكن النضج الذي وصل اليه زهير ممكنه من ان يبدي آراء له متزنة صائبة ، الا ان هذه الآراء مبنية على اختبار طويل وعبرة مستمدة مما كان يرى الشاعر حوله ، ولذلك كانت من باب النصيح والمواعظ وضرب الامثال .

هذه الحكم منشورة في قصائده . اما اكبر مجموع منها فموجود في ختام معلقته على اختلاف في عدد الابيات (حسب الروايات المختلفة) وعلى اختلاف في الترتيب ايضاً . وبينما كنت ترى ان حكم طرفة كانت حكماً شخصية ذات طابع خاص لانها تمثل آلامه في الحياة وتعبر عن رأيه هو فيها بصرف النظر عما يقبله المجتمع او لا يقبله ، كنت ترى حكم زهير عامة لا اثر للطابع الشخصي فيها (اللهم الا فضل التعبير عنها) ، وذلك لانها مستوحاة من الحياة الاجتماعية ومن اختبار البشر في حياتهم المتطاولة .

على ان حكم زهير كان آراء شيخ حكيم خبر الحياة وفرق بين مظاهرها وبين حقيقتها . انه لم ينخدع بالناس ولا بريائهم ، بل ادرك ان « السلطة » هي اساس النزاع بين البشر ، وان القوي مرهوب والضعيف مظلوم ابداً . ويعطف زهير على الحياة والموت فيبدي فيهما آراء تقرب من آراء طرفة في أن الموت يأتي على الجميع ولا يفرق بين احد . ولكن يبدو ان زهيراً كان يؤمن بشيء من الخلود - اذا صحت نسبة البيت الذي يذكر ذلك له . على ان زهيراً لا يزال يعتقد بان الذي يفعل الخير لا يندم ، الا اذا كان قد فعله مع غير اهله ، اي مع من لا يستحق .

معلة زهير بن ابي سلمى

كان ورد بن حابس العبسي قد قتل هرم بن ضمضم المري ، من بني ذبيان ؛ فتشاجرت عبس وذبيان قبل الصلح « الذي ختمت به حرب داحس والغبراء » . فحلف الحصين بن ضمضم ، اخو هرم هذا ، الا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس او رجلا آخر من عبس ... ولم يُطلع على ذلك احداً . ثم اتفق ان نزل رجل من بني عبس على الحصين بن ضمضم « ضيفاً » ، فقتله الحصين .

اراد بنو عبس ان يقتلوا الحارث بن عوف المري ، احد الرجلين اللذين احتملا جميع الديات في قتلى حرب داحس والغبراء . فلما علم الحارث بذلك ارسل مائة من الابل مع ابنه الى بني عبس وحثيهم بين ان يأخذوا الابل دية قتيْلهم وبين ان يقتلوا ابنه ... فقالوا : « بل نأخذ الابل ونصالح قومنا ونتم الصلح » . فقال زهير معلقته عِدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان ويذكر صلح داحس والغبراء وامر الحصين ابن ضمضم .

تبلغ ابيات معلة زهير حسب رواية ابي زيد القرشي في كتابه « جمهرة اشعار العرب » ٦٤ بيتاً مفصلة كما يلي :

١ - مقدمة المعلة « ١-١٦ » يقف زهير على طلل امرأته ام أوفى في جوار يثرب بعد انقضاء عشرين سنة على انتقال ام أوفى عنه ، وقد أخذت الظباء وبقر الوحش تورح وتغدو عليه لطول ما هجر . وليس من الغريب اذن ان نراه يقول « فلأياً عرفت الدار بعد توهم » . غير انه يستطيع - بعد انقضاء تلك السنين العشرين - ان يتبين حجارة المواقد ، والحاجز الذي كان يرد الماء عن الحيمة . ثم يقف زهير الآن ويتخيل سير الظعائن - التي غادرت المكان قبل عشرين عاماً - من فوق جُرثم ، وهو ماء لمزينة . ثم يصف الهودج ويصف المسير ، ويمزج ذلك بشيء من النسيب « ١ » .

(١) راجع ايضاً المعلة كما وردت في شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعة الامام ابي العباس احمد ابن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ، « مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م » .

- أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةٍ ، لَمْ تَكَلِّمْ ،
 ديارٌ لها بِالرَّقَمَتَيْنِ ، كأنها
 بها العَيْنِ وَالْأَرَامِ يَمْشِينَ خَلْفَةً ،
 وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً
 اثْنَانِ سَفْعًا فِي مُعَرِّسٍ مِرْجَلٍ ،
 فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قَلْتُ لِرَبْعِهَا :
 تَبَصَّرْ خَلِيلِي ، هَلْ تَرَى مِنْ ظُعَانٍ
 عَلَوْنَ بَانَمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةً
 جَعَلْنَ التَّنَانِ عَنْ يَمِينٍ وَجُزْنَهُ ،
 ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ
 وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلَوْنَ مَتْنَهُ
- بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَلَمْتَشَلِّمْ (١) .
 مَرَّاجِيعٍ وَشَمٍّ فِي نَوَاشِرٍ مَغْمَمٍ (٢) .
 وَاطْلَاوُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْمَمٍ (٣) .
 فَلَأَيًّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمٍ (٤) :
 وَنَوَّيًّا كَجِذَمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَشَلِّمْ (٥) .
 « أَلَا أَنْعَمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسِلُهُ » (٦) .
 تَحْمَلْنَ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمٍ (٧) .
 وَرَادِ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهِ الدَّمِ (٨) .
 وَكَمْ بِالْقَنَّانِ مِنْ مُجِلٍّ وَحُرْمٍ (٩) .
 عَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشِيبٌ وَمُفَامٌ (١٠) .
 عَلَيْهِنَ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ (١١) .

(١) دمنة : آثار الدار ، طلل . تكلم : تتكلم . ٢) بالرقمتين : بين الرقمتين ، كأنها بقبا وشم على يدٍ تجعدت بالسنين « الوشم يكون ابين على اليد البيضاء النساء منه على اليد المجددة » ٢) خلفه : فوجاً بعد فوج . اطلأ : جمع طلي : ابن الظبية . مجثم : مكان الجنوم : قعود الحيوان . ٤) حجة : سنة . لأياً : مشقة وبطء . توهم : ظن « ما عرفت مكان الدار بالنأكيد » ٥) الاثني « جمع اثنية » : الحجارة التي توضع عليها القدر « حجارة الموقد » . سفعا : سوداً . معرس : مكان . مرجل : القدر العظيمة . نوًي : خندق يحفر حول الخيمة . تثل : تشقق . ٦) الربع : المكان الذي ينزل فيه البدو في ايام الربع . ٧) ظعائن جمع ظعينة : المرأة المسافرة على الجمال . تحملن : ارتحلتن ، سافرن . ٨) علون : ارتفعن على « هودج » فيه انماط « ثياب » عتاق « جيدة ، ثينة » . الكلة : ستارة « ناموسية » . ورا د : وردية اللون . الحواشي : الاطراف . مشاكهة : مشابهة . ٩) القنان اسم جبل . جزنه : قطعنه « وفي جميع الروايات : جزنه - يعني سهله - ولكنه بعيد عن المعقول » . المحل : الساكن دائماً . المحرم : الساكن مؤقتاً . وقيل المحل : الذي ليست له حرمة ، عدو . والمحرم الذي له حرمة ، صديق . ١٠) السوبان اسم وادٍ . جزعته : قطعنه . قيني قشيب ومفام : « رحل ، سرج : هودج » جديد واسع من صنع احد بني القين ، يعني جيد الصنع . ١١) ورك : مال . متنه : ظهره . دل : دلال ، غنج . الناعم المتنعّم : العائش في النعيم .

- كأن فُتات العِهن في كل منزل نزلن به حبّ الفنا لم يُحطم (١) .
 بكرن بُكوراً واستحزن بسُحرة فهن ووادي الرّس كاليد في الفم (٢) .
 فلما وردن الماء زُرْقاً جِماهه وضعن عصيّ الحاضر المتخيم (٣) .
 وفيهن مَلهى لِلطيف وَمَنْظَرُ أُنِيقُ لَمِينِ الناظر المتوسّم (٤) .
 تذكري الاحلام ليلي، ومن تَطْف عليه خيالاتُ الأحبة يحُم (٥) .

٢ مدح هرم والحارث « ١٧ - ٢٦ » . وهنا يقفز زهير الى مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان فيرينا اياهما يشفقان على ما اصاب القبيلة من جرّاء الحرب ويسعيان الى السلام بعد ان كادت قبيلتا عبس وذبيان ان تتفانيا . ثم يبسط فلسفتها في استخدام الاقناع والمال في سبيل وقف الحرب :

- سعى ساعيا غَيِظَ بنُ مُرةً بعدما تبزّل ما بين العشيرة بالدم (٦) .
 فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال، بنوّه، من قریش وجُرْهم (٧) .
 يميناً : لِنَعْمَ السَّيِّدانِ وَجَدْتما على كل حال من سَحِيلِ ومُبرم (٨) .
 تداركتما عَبْساً وذُبْيَانِ بعد ما تفانوا ودُقوا بينَهم عَطَرُ مَنْشَم (٩) .

(١) العهن : الصوف المصبوغ . الفنا : شجر له حب صغير احمر . يحطم : يكسر . يعني زين هؤلاء النسوة هودجهن بصوف احمر ، فكان كلما نزلن في مكان بقي فيه شيء من آثار هذا الصوف .
 (٢) استحزن : مشى في السحرة « آخر الليل » . كاليد في الفم : مستقيم السير لا يمكن ان يميل عن طريقه كما ان اليد لا تميل في طريقها الى الفم . (٣) جام : اطراف . الحاضرة : النازل في الحاضرة « المدينة » . (٤) انيق : جميل . المتوسم : المتطلع ، المتفرس . (٥) يحلم : يرى طيف حبيته في منامه . (٦) الساعيان : المصاحان « الحارث بن عوف وهرم بن سنان » . تبزّل : تشقق « يعني بعد ان فرق القتال بين القبيلة الواحدة : غطفان ، ابي عبس وذبيان » . (٧) البيت : الكعبة . (٨) السحيل ضد المبرم : الحبل المفتول جداً « يعني في الرخاء وفي الشدة » . (٩) تفانوا : افنى بعضهم بعضاً . دقوا بينهم عطر منشم : اشتدوا في قتل بعضهم بعضاً « اما تخربج هذا المثل فله روايات مختلفة » .

وقد قلتما : « ان نذرك السِّلَ واسعاً
فاصبحتما منها على خير موطن
عظيمين في عليا معد هديتما .
فاصبح يجري فيهم من تلادكم
تُعفى الكلوم بالمئين فاصبحت
ينجمها قوم لقوم غرامة
بمال ومعروف من الأمر نسلم !
بعيدتين فيها من عُقوق ومأثم ،
ومن يسأبح كنزاً من المجد يعظم !
مغانم شتى من إفال مُزئم (١) .
ينجمها من ليس فيها مجرم (٢) .
ولم يهر يقوايـنهم ملء محجم (٣) .

٣ - نصح المتقاتلين ووصف احوال الحرب « ٢٧-٣٨ » . ويتخلص زهير الى
نصيحة المتحاربين فيأمرهم بالاخلاص ونفض الصدور من الحقد والضغائن ، لان الله
يعلم كل شيء ، وان اخفيتموه .
ثم يمضي في وصف احوال الحرب ونتائجها حتي يصورها اقبح صورة واصدقها .

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة
فلا تكتمن الله ما في صدوركم
يؤخر فيوضع في كتاب قيد آخر
وما الحرب الا ما علمتم وذوقتم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وذبيان : هل أقسمتم كل قسم (٤)
ليخفى . ومهما يكتن الله يعلم :
ليوم الحساب ، او يعجل فينتقم .
وما هو عنها بالحديث المرجم (٥) .
وتضر إذا ضرر يئموها فتضرم (٦) .

(١) التلاد : الاموال الموروثة . الافال : اولاد الابل . مزئم ، جملت له علامة في اذنه دلالة
على اصله . (٢) تعفى : تمسح ، تمحي . الكلوم : الجروح . المئون : جمع مائة (اي جماعة جل لكل
قتيل) . ينجم : يدفع في وقت معين . مجرم : مذنب . (٣) .. ولم يسفكوا من الدم مقدار محجم
« اناه صغير يستخرج به الدم من الجسم بعد تشطيه بالموسى » . (٤) الاحلاف : المتحالفون وهم هنا
بنو اسد وخطفان . (٥) المرجم : المظنون ، المأخوذ بالظن . (٦) تضرى : تهيج . ضرى النار :
لأججها ، وضع فيها وقوداً . تضرم : تشتمل بشدة .

- فتمررُكم عرك الرحا برفالها
فتنتج لكم غلمان أشام كلهم
فتغلل لكم ما لا تغل لاهلها
رعوا ما رعوا من ظمهم ثم اوردوا
فقتلوا منايا بينهم ثم اصدروا
الى كلاً مستوبل متوخم (٥).

٤ - غدره الحصين بن ضمضم « ٣٩ - ٤٧ » . هنا يعرض زهير لقضية الحصين بن ضمضم ، وهي ان ورد بن حابس العبسي كان قد قتل هرم بن ضمضم . فلما احتل الحارث بن عوف وهرم بن سنان دية القتلى في اثناء حرب داحس والغبراء ظن الجميع ان دية هرم بن ضمضم داخله في ذلك ، واعتبروا القضية كلها منتهية . الا ان الحصين بن ضمضم اخاهرم كان قد استتر وتواري كيلا يكون شهوده الصلح اعترافاً ضمنياً منه بالعفو عن دم اخيه . وفي ذات يوم لقي الحصين رجلاً عبسياً فقتله ثاراً ل اخيه . فغضب بنو عبس وساروا يريدون قتل الحارث بن عوف وكادت الحرب تعود سيرتها الاولى . الا ان الحارث بن عوف تلافي المغبة بمئة جديدة من الابل غرمها من ماله ، حتى ساد السلام تماماً بين عبس وابناء عمهم بني ذبيان .
لعمرى ، انعم الحى ، جر عليهم
بما لا يؤايتهم حصين بن ضمضم (٦).

(١) عرك : طحن . الرحي : حجر الطاحون . النفال : جلد يوضع تحت الطاحون « اي كما ينزل الحب طحيناً على النفال » . تلعج كشافاً : تحمل كل سنة (باستمرار) . تنتج فتائم : تلد توائم (تأتي بمصائب كثيرة) . (٢) تنتج وانتج بالبناء المجهول : استولد « بالبناء المجهول » . اشام : غلمان شوم . احمر عاد فتى من ثود نحر نافه النبي صالح بعد ان نهى النبي قومه عن اذيتها ، فعاقب الله بذلك ثود كلها (٢٠) . . تغل لكم دمأ و قتلا ومصائب اكثر مما تغل بلاد العراق الحصبة من الفلال والمال ، كانت الضرائب تجمع في العراق على كل نخلة مثلاً او على كل مساحة معينة من الارض ففيزاً (كيلاً معيناً) من الثمر ودرهماً نقداً . (٤) الظم : العطش (مدة ما بين الشربتين للابل ، يقصد الهدنة) غمار : مارك . تفرى : تنفجر اي تنفجر . (٥) كلاً : عشب . مستوبل : فيه وبال اي هلاك . متوخم : وخيم العاقية (بعد المارك كان المتحاربون يتألمون من نتائج الحرب) .
(٦) جر عليهم : جنى عليهم . يؤايتهم : يوافقهم ، يفيدهم .

وكان طوى كشحاً على مُسْتَكِنَةٍ
 وقال: « سأقضي حاجتي ثم أتقي
 فشدّ، ولم يُفزع بيوتاً كثيرة،
 لدى أسدٍ شاكي السلاح مُقَدِّفٍ
 جريءٍ متى يُظلم يُعاقب بظلمه
 لعمرُك ما جرّت عليهم رماحهم
 ولا شاركت في الحرب في دمِ نوفلٍ
 فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونهم
 تُساقُ إلى قومٍ اقوم غرامةً

فلا هو أبداها ولم يتقدّم (١).
 عدوي بألف من وراني ملجم (٢).
 لدى حيث ألقّت رحلها أم قشعم: (٣)
 له لبدٌ أظفاره لم تُقلّم (٤)،
 سريعاً، وإلا يُبدّ بالظلم يظلم (٥).
 دم ابن نهيكٍ اوقتيل المُسلم (٦)،
 ولا وهب منها ولا ابن المحزم (٧).
 علالة ألف بعد ألف مصم (٨):
 صحیحات مال طالعات بمخرم (٩)،

(١) الكشف: الجانب، الخاصرة - طوى كشحاً: كتم. مستكنة: ضغينة «مكتومة». ثم
 لم يتقدم الى حضور الاجتماع ليطلب دية اخيه او ليأخذها. (٢) سأقضي حاجتي: سأخذ بئاري.
 (٣) شد: هجم «وقتل العبسي»، وقال وطره. لم يفزع بيوتاً كثيرة: لم يشعر كثيرون بما صنع،
 لم يافت اليه الانظار. (٤) شاكي السلاح: مسلح تسليحاً تاماً. مقذف: يقذف به كثيراً الى الممارك
 «ذو اختبار في الحرب». اللبدة: شعر ينبت حول رقبة الاسد. له لبد: لبسته تامة، كناية عن
 تمام بلوغه وقوته. اظفاره لم تقلم: لم تضعف قوته بعد، لا يزال قتيلاً. (٥) اذا اعتدى عليه احد
 رد اعتدائه وانتقم منه، واذا لم يبدأ بالاعتداء اعتدى هو عليه لعزة نفسه وقوته، وذلك كان من
 المثل العليا عند الجاهليين. - وفي هذين البيتين والتي تليهما وصف للحارث بن عوف وهرم بن سنان.
 (٦) ان رماح الحارث بن عوف وهرم بن سنان «الذين يدفعان ديات جميع القتلى من مالهما الخاص»
 لم تقتل ابن نهيك ولا الذي قتل في المكان المعروف باسم المثلث (٧) ورماحها لم تقتل نوفلاً ولا
 وهباً العبسي ولا ابن المحزم «بفتح الزاي المشددة او بكسرها - ويروى الخزم بالخاء المعجمة والزاي معاً».
 (٨) ومع ذلك فقد دفعوا ديات جميع هؤلاء القتلى اقساطاً من ابل صحیحة الخلقة. يعقلونه: يدفعون
 ديته. علالة: شيئاً فشيئاً. ألف بعد ألف: في كل عام ألف جمل «لمدة ثلاث سنوات». مصم: تلم
 الخلقة. (٩) النخرم: الطريق في الجبل. كان الحارث بن عوف وهرم بن سنان يرسلان اقساط الديات في كل
 عام مالا صحیحا «ابلا صحیحة الاجسام» بلا تأخير، مع ان مستحقها كانوا يسكنون بعيداً عنهما (وراء جبال).

لِحَيِّ حِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ ، إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بُمُغْظِمِ (١) ،
 كِرَامٍ . فَلَاذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ وَلَا الْجَارِمُ الْجَانِي عَلَيْهِمْ بُمُسْلَمِ (٢) .
 ٥ - حكم زهير « ٤٨ - ٦٤ » . تختلف الحكم في آخر معلقة زهير في ترتيبها
 وعدد أبياتها بين رواية ورواية . ولكنها على كل حال تنكشف عن « أصابة رأي »
 اكتسبها الشاعر من السنين الطوال التي عاشها ، فهي وليدة الزمن ونتيجة التقدم
 في السن ، ثم هي ترد في آخر المعالقة على غير نسق ولا نظام . غير أنك تعجب ببعض هذه
 الأبيات إذا تأملت مفردة . ويجدر بنا أن نقول في هذا المقام أن هذه الحكم لا تحمل
 طابعاً شخصياً وإنما هي من حكم الشعوب ودروس الزمان . ويجوز أن يكون
 بعضها منحولاً :

سَمِيتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ ، وَمَنْ يَعِشْ
 رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ ، مَنْ تُصِبْ
 وَاعْلَمْ مَا فِي الْيَوْمِ ، وَالْأَمْسَ قَبْلَهُ ،
 وَمَنْ لَا يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
 وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلْ بِفَضْلِهِ
 وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
 ثَمَانِينَ حَوْلًا ، لَا أَبَا لَكَ ، يَسَامُ !
 ثَمَّتُهُ ، وَمَنْ تُخْطِئْ ، يُعَمَّرْ فِيهِ رَمَ (٣) .
 وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِ (٤) .
 يُضَرِّسُ بَأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمُسِمِ (٥) .
 عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَى عَنْهُ وَيُذَمُّ .
 يَفِرُّهُ ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ (٦) .

(١) حلال : كثير العدد ، يعصم الناس أمرهم : لهم جاء يحمون به الناس . طرقت : أتت فجأة .
 المغمظم : الخطب ، المصيبة - ترسل الغرامات إلى قوم حتى يسلموها إلى أصحابها - الظاهر أن هذا البيت
 والذي يليه من صفة الذين ترسل الغرامات إليهم الغرامات . ولكن الأصوب أن تكون من صفة الذين
 يدفعان الديات « الحارث وهرم » وصفة قومه (٢) كرام : عظماء متزهون ، لا يصل إليهم أحد ،
 لا ذو الضغن يدرك تبله عليهم : إذا اعتدوا على أحد لم يستطع أن يدرك ثأره منهم . ولا الجارم
 الجاني عليهم بمسلم : إذا جنى أحد جناية ثم استجار بهم حموه ودافعوا عنه ولم يسلموه لغرمائه .
 (٣) رأيت الموت يتناول الناس من غير تمييز بينهم كما تمشي الناقة العشواء « الضعيفة البصر » . فمن
 اتفق له حادث موت مات صغيراً أو شاباً ، ومن لم يتفق له ذلك عاش حتى يهرم . (٤) عم : أعمى .
 (٥) يصانع : يداري . يضرس : يمزق . يوطأ بمسم : يداس بأرجل الأبل .
 (٦) - من يبذل ماله ليصون عرضه يبق عرضه موفوراً « كريماً مصوناً » . يتقي : يتجنب .

وَمَنْ لَا يَذُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسَلاَحِهِ
وَمَنْ هَابَ اسْبَابَ الْمَنَآيَا يَنْكَنَهُ
وَمَنْ يَنْصُ اطْرَافَ الزَّجَاجِ فَانَهُ
وَمَنْ يُوْفٍ لَا يُذَمُّهُ، وَمَنْ يُهْدِ قَلْبُهُ
وَمَنْ يَغْتَرِبُ بِحَسَبِ عَدُوٍّ صَدِيقِهِ .
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ،
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
وَكَاثِنٌ تَرَى مِنْ صَامِتِكَ مُعْجَبٌ،
اللسان الفتى نصفٌ، ونصفٌ فؤاده؛
يُهْدَمُ، وَمَنْ لَا يُظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ (١).
وَأِنْ يَرْقِ اسْبَابُ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ (٢).
يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْذَمٍ (٣).
إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبَرِّ لَا يَتَجَمَّعُ (٤).
وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ .
وَأِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ، تُعَلِّمُ (٥).
يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ .
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكْلَمِ (٦).
فَلَمْ يَبْقِ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

وهكذا يبدو لنا زهير في معلقته خاصة رجلاً انسانياً جريئاً يحرص على ارواح
قومه وآمالهم، مستعداً لأن يتناسى شخصيته إذا استطاع ان يضعها في سبيل رفع
مثل اعلى امام الامم والاقوام . وهو لا يحرص على خير الافراد فقط بل يفضل
خير القبيلة على ذلك بل هو اوسع في نظره الى البشر، يحب ان يشمل بخيره القبائل اجمع .
ولا شك في ان شخصية الحارث بن عوف وهرم بن سنان قد ساعدته على ان يقف
هذا الموقف . ويكفيه فخراً انه كان يجاهر بميله الى السلام وباعتقاده انه السبيل
الصحيحة الى الحق في زمن كان كل فرد آخر يوقن ان الحرب وحدها هي التي تَرُدُّ
الحق الى نصابه .

(١) - من لم يدافع عن حوض الماء « كناية عن المال والعرض ، لان الماء اثن شيء في الصحراء
بالسلاح ، يهدم حوضه » لكثرة من يجي اليه للاستقاء منه . ومن لا يعتد على الناس « يجار بهم » يعتد
الناس عليه . (٢) - ومن حاول ان يتجنب الحوادث التي تؤدي عادة الى الموت « كالحرب والسفر
والمرض » تناله تلك الحوادث او غيرها ولو صعد الى السماء . (٣) - الزج : حديدية في كعب الرمح يشير
بها الرجل اذا كان مسالماً . العوالي : الرماح . لهزم : سنان الرمح ، اي الحديدية التي في اعلى الرمح
ويشير بها الرجل اذا كان ينوي القتال - من لا يقبل السلم اذا عرض عليه يضطر الى خوض الحرب .
(٤) - اوفى : وفى بالمهد . البر : التقوى وطاعة الاقربين . يتجمم : يتردد . (٥) - خالها : ظنها . (٦) - ربما
لبصرت رجلاً صامتاً فاعجبك ، فلذا تكلم زاد مقامه في عينك او نقصت قيمته عندك .

٥ - عنترة بن عمرو بن شداد
توفي نحو عام ٨ قبل الهجرة - ٦١٤ م

قومه واسرته

عنترة عربي من جهة الاب ، فهو من بني عبس ، ابناء عم بني ذبيان وخصومهم .
اما امه فبجارية حبشية في الاغلب اسمها زبيبة ، فهو من اجل ذلك هجين (مختلط
النسب) اسود ، ولذلك لم يلحقه ابوه بنسبه ، فظل عبداً على عادة العرب في ابنائهم
من اولاد الاماء .

ونشأ عنترة في نجد عبداً يرعى الابل محتقراً في عين والده واعمامه وعين اخوته
الذين ليسوا من امه ، ولكنه نشأ شديداً بطاشاً ، شجاعاً ، كريم النفس ، كثير
الوفاء . وكان في صغره قد عرف « عبلة » ابنة عمه مالك ، فاحبها حباً جما وطمع
بان يبني بها يوماً ما . ولكن عمه مالكا كان كثير التعتت فلم يرض ان يزوج
ابنته بعبد اسود .

الا ان آله ادر كوا بأسه وشجاعته فأحبوا ان يستغلوها في حرب اعدائهم
وخصومهم فكانوا يجرّضونه دائماً على خوض المعارك ويمنّونه مقابل ذلك ان يزوجه
بعبلة . فاذا انجلت المعركة وادرك العبسيون ثأرهم او نالوا مآربهم حرّموا عنترة
من الغنيمة ونكثوا عهدهم اليه يزواج عبلة .

واخيراً اغار حي من العرب على بني عبس غارة حملوا فيها كل شيء ، وسبّوا
عبلة ايضاً . فلما جاءه ابوه يستشيرهُ لحوض الحرب ، أبى وقال له : « العبد لا يحسن
الكر ، بل يحسن الحلاب والصر (١) » . فقال له ابوه : « كر يا عنترة وانت حر » .
فحق عنترة بالمغيّرين واسترد منهم كل ما سلبوه . ويظهر ان أباه استلحقه بعد
بعد هذه الحادثة بنسبه ، ولكن عمه مالكا لم يرض ان يزوجه عبلة .

وعُمرَ عنترة طويلاً ، وكانت له ايام مشهورات في حرب داحس والغبراء .

(١) الكر : الهجوم على الاعداء . الحلاب : حاب النياق . الصر : ربط ضرع الناقة حتى لا يرضعها
الفصيل « ولدها » .

وحارب ايضاً الفرس في يوم ذي قار (عام البعثة ، ٦١٠ م) . فلما وصل خبر تلك المعركة الى الرسول قال : « هذا اول يوم اخذت فيه العرب من العجم بحق ! » وبعد بضع سنوات خاض العباسيون معركة مع بني طي ، فيما يقال ، سقط فيها غنوة قتيلاً عام ٨ ق . هـ (٦١٤ م) . ولعله مات عزباً ، اذ هو بلا شك لم يتزوج عبلة ، فعبلة تزوجها رجل غيره ، كما يظهر من شعره هو .

عناصر شخصيته :

لا نستطيع اليوم ان نميز بين العناصر الحقيقية في شخصية غنوة التاريخية وبين العناصر التي أضافتها الخرافة الى حياة هذا البطل الشاعر . ولكن بما لا ريب فيه ان غنوة كان بطلاً شجاعاً قوي الجسم ثبت الجنان . وكان فوق ذلك كريم النفس عفيفاً عن النساء ، عفيفاً عن مكاسب الدنيا المادية حتى عن غنائم الحرب التي كانت هو يهبها لبني عباس بسيفه . وكان كريماً بما ملكت يده ، يقري الضيف ويسقي الخمر . وكان ذا نجدة ينصر المظلوم والمستنجد به ، الا انه كان في كل ذلك يأبى ان يظلمه احد ، وكل ذلك ظاهر في معلقته . وله في غير معلقته الشواهد المشهورة منها :

* ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكـل .
* وأغض طرفي ان بدت لي جارتـي حتى يوارى جارتـي مأواها .
اني امرؤ سمح الخليفة ماجد لا أتبع النفس اللجوج هواها .
* ولكن تبعد الفحشاء عني كبعد الارض عن جو السماء .
ويجدر بنا الا نهمّل تحليلاً نفسياً لغنوة ذكره غنوة عن نفسه ، وقد تعجب بعضهم من شجاعته ، فقال : « كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عزماً واحجم اذا رأيت الاحجام حزماً ، ولا ادخل موضعاً الا اري لي منه مخرجاً . وكنت اعتمد الضعيف الجبان فاضربه بالضربة الهائلة ، يطير لها قلب الشجاع ، فأثني عليه (على الشجاع) فاقتله » .

خصائصه وفنونه :

غنوة شاعر مقل اذا اعتبرنا الشعر الثابت له ، ولعل الناس لم ينحكوا شاعر من

الشعر ما نخلوا عنثرة ، اعجاباً بفروسيته ، وإشفاقاً عليه في حبه لعبلة وما لقي فيه من العذاب . وشعر عنثرة اسهل من شعر طرفه وامرئ القيس والنابعة ، حتى ان في بعضه ركافة كقوله :

سكتُ فغرتُ اعدائي السكوتُ وظنوني لأهلي قد نسيتُ
وكيف أنام عن سادات قوم أنا في فضل نعمتهم ربيتُ
وان دارت بهم خيل الاعادي ونادوني أجبت متى دُعيتُ
على ان فيه رقة وسلاسة لانجدها أحياناً في سائر الشعر الجاهلي وخصوصاً في المعلقة ، تأمل قوله فيها يخاطب عبلة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهلُ مني ، وبيض الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم .

طرق عنثرة فنين من فنون الشعر : الغزل والحماسة . أما سائر الاغراض التي وردت في قصائده كالغفر والوصف وما الى ذلك فهي اما منطوية في باب الغزل والنسيب عنده او لاحقة بباب الحماسة .

١ - الغزل

غزل عنثرة عفيف ، حلو في بعض الاحيان ، خشن في بعضها . وعنثرة لا يجيد تحديث المحبوبة كامرؤ القيس مثلاً ، او كعمر ابن ابي ربيعة ، لانه يحاول ان يجتذبها بذكر وقائعه امامها وبتخويفها من عاقبة ضربه وطعنه على ما في المعلقة ، او كقوله في مكان آخر :

يا عبل كم من غمرة باشرتُها بالنفس ما كادت ، لعمرُك ، تنجلي
فارب أبلج مثل بعلك يادن ضخم على ظهر الجواد مهيلُ (١) .

(١) ضخم الوجه ، مورم الوجه .

غادرته متعفراً أوصاله . والقوم بين مجرّح ومجدل (١) .

هذا من الناحية الادبية، اما من الناحية النفسية فيبدو ان المرأة عادة تُعجّب بالرجل القوي . ولقد عرف عنترة ذلك بسليقته ، ولكن ذكر اعماله والاكثر من الكلام عن البطش والدماء كان منفراً ، وكان بلا ريب من خصائص البداوة بخلاف حديث امرئ القيس لعنيزة فانه كان من احاديث الحضارة .

والغزل الخالص في شعر عنترة نادر ، تجد منه ابياتاً في المعلقة (دار لآنسة .. اذ تستبيك ... وكأنا نظرت بعيني ... الخ) او في قصيدته المعروفة بالعقيقة :

رفعوا القباب على وجوه أشرفت فيها فغيبّت السهى في الفرقد (٢) .

واستوكفوا ماء العيون بأعينٍ مكحولةٍ بالسحر لا بالاثمد (٣) .

يطلعن بين سواف ومعاطف وقلائد من لؤلؤ وزبرجد .
واما النسب فكثير يدور كله حول التشوق الى عبلة والى ثمنى العيش معها وحول تذكيرها العهود وعتابها .

٢ - الحماسة

اشتهر عنترة بالحماسة (وصف المعارك ووصف اعماله فيها) خاصة . ومرجع اوصافه في ذلك امران : اولهما وصف حوادثه هو ، وهي حوادث مفردة قتل فيها فلاناً او فلاناً . وثانيهما وصف هجومه في قومه بني عبس على الاعداء . وتجد على هذين كليهما نماذج في المعلقة . ويبدو من مراجعة قصائد عنترة في الحماسة انه يتناول فيها جميع ابواب الشجاعة والقتل وصور القوة والبطش ، ولا شك في ان الرواة اضافوا الى عنترة اقوالاً كثيرة . واشهر اقوال عنترة وادلها على «العقيلة العنترية» قوله :

أقمنا بالذوايل سوق حرب وصيرنا النفوس لها متاعا (٤) .

حصاني كان دلال المنايا فحاض غمارها وشرى وباعا .

(١) مقتول وملقى ارضا . (٢) السهى : نجم صغير قليل الضوء (لعمدته هنا) . الفرقد : نجم مضى . يهتدى به - يقصد : جميع الوجوه كانت جميلة ، ولكن جمال عبلة كسف جمال اللواتي معها . (٣) جعلن الرجال يكون من اثر عيونهم المكحولة بالسحر لا بالكحل . (٤) الذوايل : الرماح . المتاع : المروض التي تقع عليها التجارة .

وسيفي كان في الهيجا طبيباً
 انا العبد الذي خُبرت عنه
 ملأت الارض خوفاً من حُسامي
 إذا الابطال فرّت خوف بأسي
 * لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسب
 يداوي رأس من يشكو الصداعا
 وقد عاينتني فدع السماعا
 وخصمي لم يجد فيها اتساعا
 ترى الاقطار باعاً او ذراعاً
 يوم النزال إذا ما فاتني النسب

ولا يغفل عنثرة في اثناء حماسه عن ان يحاول محو آثار رقه وسواد لونه
 بالافتخار باعماله واخلاقه وبنسبه من جهة ابيه الى بني عبس :

ولقد أبيتُ على الطوى وأظله
 حتى أثال به كريم المأكَل
 إني امرؤ من خير عبسٍ منصّباً
 شطري، وأحمي سائري بالمَنْصُلِ (١)
 وإذا الكتيبة اجمت وتلاحظت (٢) ألفت خيراً من مُعمِ خُول
 وإذا حملت على الكريهة لم أقل
 بعد الكريهة ليتني لم أفعل
 ومن افتخارة بقومه ونفسه واخلاقه وفي الدفاع عن لونه قصيدته التي يتوعد بها
 النُعمان . وفي هذه القصيدة ايضاً شيء من الحكم ، على سهولة في التركيب
 وجمال في التصوير :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرُتبُ
 ولا ينال العلى من طبعه الغضب
 لله درُّ بني عبسٍ لقد ولدوا
 من الاكارم ما قد تنسل العرب (٢)
 قد كنت فيما مضى أدعى جماهمُ
 واليوم أحمي حماهم كلما نكبوا

(١) المنصل : السيف . (٢) لحظ بعد افرادها بعضاً ، خوفاً من الهجوم .
 (٢) ولدوني كريماً شجاعاً « مع ان امي جارية سوداء » كاحسن ما يلد العرب مع صفاء انسابهم .

لئن يعيبوا سوادى فهو لي نسبٌ
 إن كنت تعلم، يا نعمان، أن يدي
 إن الأفاعي وإن لانت ملامسها
 والخيل تشهد لي أني أكفكفها
 إذا التقيت الأعادي يوم معركة
 لي النفوس، وللطير اللحوم، وللوح
 يوم النزال إذا ما فاتني النسب (١).
 قصيرة عنه فلا يام تنقلب .
 عند التقلب في أنيابها العطب .
 والطعن مثل شرار النار يلهب .
 تركت جمعهم المغرور ينتهب :
 ش العظام ، وللخيالة السلب .

ملاحم عنتره

قصائد عنتره في الحماسة ملاحمٌ قصار لا تباغ من اتصال الابيات وتوالي الحوادث
 دروعة القصة ومتانة التركيب ما وصلت اليه معلقة عمرو بن كلثوم او معلقة الحارث
 ابن حازة ، ولكنها لا تقل عن تينك المعلقين حماسة واتقاد عاطفة ، فمن ذلك قوله :

انا في الحرب العوان (٢) غير مجهول المكان .
 ابن ما نادى المنادي في دجى النقع (٣) يراني .
 وحسامي مع قناتي (٤) لعمالي شاهدان .
 انني اطعن خصمي وهو يقظان الجنان .
 انني لث عبوس ليس لي في الخلق ثان .
 خلق الرمح لكفي والحسام الهندواني .

(١) اذا فاتني النسب العربي الخالص . (٣) العوان : الحرب التي قوتل فيها مرة واحدة . والمكان
 الذي يقاتل فيه للمرة الاولى يكون المحاربون فيه قلوبا الاختبار ، ومع ذلك فعنتره معروف بمقدرته
 حتى في المعارك التي يخوضها للمرة الاولى . (٤) النقع : غبار الحرب . دجى النقع : اذا كثف
 الغبار صار اسود « دلالة على شدة المعركة . (٥) رعي .

- | | |
|---------------------------|--------------------|
| • وردهً مثلَ الدهان (١) . | فاذا ما الارض صارت |
| • لونهُ أحمرُ قان (٢) . | ورأيتَ الدم يجري |
| • نعمةً كي تُطرباني | فالسقياني واسمعاني |
| • رنةُ السيف اليماني | أطربُ الاصوات عندي |
| • في الوغى يوم الطعان . | وصليلُ الرمح جهراً |

قصة عنتره

سيرة عنتره العبسي او قصة عنتره قديمة الرواية تتناول حياة عنتره من مولده الى وفاته . وهي تقوم على عنصرين اساسيين : حب عنتره لعبله ، وحروب عنتره في سبيل رضى مالك والد عبلة أملا بان يسمح مالك بزواج عنتره من عبلة . ولد عنتره عبداً ورعى الغنم مع ابنة عمه عبلة فاحبها ونظم فيها الشعر . وهكذا يكون قد حال بين عنتره وعبلة حائلان : كان عنتره عبداً والعرب لم تكن تزوج بناتها الحرائر للعبيد . ثم ان عنتره قد شبب بعبلة ، وكان العرب لا يزوجون الرجل بامرأة قد شبب بها .

وقصة عنتره طويلة فيها ترديد كثير : معارك متشابهة الحوادث متباينة في التعبير عنها . وفي قصة عنتره مغامرات تخرج عن طوق البشر كما يُنتظر في امثال هذه القصص : عنتره يحمل ربحاً طوله سبعون ذراعاً او يهجم على جيش فيهزمه او يضع يديه في فم الاسد ويشقه .

ولا ريب في ان شخصية عنتره في القصة غير شخصية عنتره في شعره الثابت . فالقصة تجمع حوادث لا تنطبق على التاريخ . ومن ابرز الفروق ان عنتره يتزوج عبلة في القصة ، بينما هو يبقى عزباً في شعره ويتزوج عبلة رجلاً آخر .

(١) صارت ورده : صارت حمراء اللون . الدهان : الجلد الاحمر . « صارت الارض كلها كأنها غطيت بجلد احمر » (٢٠) قنا : اشتدت حرته . قاله : شديد الحرارة .

فقصة عنتره اذن ملهمة من الملاحم القديمة يمتزج فيها التاريخ بالخرافة وتتحد فيها الحقائق بالخيال وتكثر فيها افعال البطولة ومظاهر الشهامة ومواقف الحب، ثم يبرز فيها عنصر المبالغته، اذ بينما يكون بنو عبس في اشد المعارك هولاً والعدو محبط بهم وهم على شفا الهلاك تبدو على الافق البعيد بقعة سوداء تعظم شيئاً فشيئاً حتى تنكشف عن جيش جرار يقوده عنتره لانقاذ قومه بني عبس .
اما القصة فليست وحدة تأليفية . ان فكرتها قديمة جداً ولكنها تعرضت لزيادات كثيرة في اثناء الاعصر المتعاقبة ، ولا ريب في انها قد نمت في بغداد وفي مصر ، والعنصر المصري فيها ابرز .

نموذج من قصة عنتره

عَنْتَرَةُ وَالْأَسَدُ

قال الراوي : وفي يوم من الايام توغل عنتر في البر بالجمال ، والغنم (١) ، وقصدها الروايي والاكم (٢) الى ان حمت عليه الشمس وبعد عن حي عبس . فقصد شجرة من الاشجار يستظل بها من حر النهار . وسرحت الاغنام ترعى ، في ذلك المرعى . واذا هو باسد كبير من بطن الوادي ظهر يمشي ويتبختر ، أفتطس المنخر ، يطير من عينيه الشرر ، يقلب الوادي اذا همر (٣) . بانياب أحد من النوايب ، ومخالب امرّ من المصائب . شذوق شذقم (٤) عبوس ادغم (٥) . تسمع الرعد اذا همهم ودمدم (٦) ، ويلمع البوق من عينيه اذا اظلم الليل واعتم ، شديد المراس ، عريض الكتف كبير الراس .

فلما ظهر من بطن الوادي وشمّت الحيل رائحته فرّت من هيبتة . وكذلك النوق والجمال ، شردت في البين والشمال . فلما نظر عنتر ، الى ذلك الامر المنكر

(١) نلاحظ ان الجمل طويلة والفصل بينها قليل . (٢) الاكمة : التلة . (٣) ضرب الارض برجله . (٤) الشذوق ، كذا في الاصل ، والمراد : الكبير الفم . الشدقم الواسع الشدين . (٥) الادغم : الاسود المنخر ، والذي اذا تكلم ظهر كلامه كأنه خارج من انفه . (٦) همهم : تكلم بصوت خافت . دمدم : تكلم بصوت مرتفع وهو غضبان .

نزل الى الوادي حتى يبصر (١) والسيف في يده مُشَهَّر (٢) . واذا هو بالاسد راى
 باسط يديه ، وهو يلعب بذنبه ويضرب به جنبه ، والشرر يطير من عينه . فعندئذ
 زعق عليه عنتر زعقة دوت بها الجبال ، وقال : مرحباً بك يا ابا الاشبال ، يا كلب
 الفلا ، يا نحس وحوش البيدا ، فلقد ابديت بأسك وصولتك ، وافتحرت بهمتك
 وهممتك . ولا شك في انك ملك السباع ، وسلطانهم المطاع ، ولكن عد بالحيلة
 والاذلال ، فما انا كمن لاقيه من الرجال . انا مهلك الابطال ، وميتم الاطفال .
 فانا لا ارضى ان اقتلك بسنان ولا بوحسام (٣) ، ولا بد ان أسقيك كأس الحمام . ثم
 انه ألقى السيف من يده وحمل على السبع وهو يُنشد :

يا ايها السبع الهجوم على الردى ها قد بقيت معقراً مهوباً (٤) .
 أتريد أموالي تكون مباحة ؟ ها قد تركت بالدا مخضوباً !
 شردت أغنامي ، ولم نك عالماً أني هزبر لا أزال مهوباً (٥) .
 هذي فعالي فيك يا كلب الفلا هلاً شهدت مواقعاً وحروباً ؟
 لو كنت تعلم ان هذا تلتقي منى وتصبح للحمام شروباً (٦) .
 لم تأت نحوي تبتغي صيداً فقد وافاك حتفك عاجلاً مصوباً .
 ثم هجم على الاسد ، ووقع عليه كوقوع البرد ، ونفخ عليه مثل الثعبان
 الاسود . ووثب عليه حتى ساواه في وثبته ، وصرخ عليه صرخة اعظم من صرخته ،
 وقبض عليه بكفيه ، واتكأ عليه فشق حنكيه الى حد كتفيه ، وصاح صيحة ازعج
 بها الوادي وجانيه ، وصبر على الاسد حتى قضى عليه !

(١) بصر مضارعها يبصر بضم الصاد وفتحها . (٢) مشهر بفتح الهاء فقط او بتشديدها مع الفتح :
 رفع السيف على الاعداء . (٣) السنان : النصل في اعلى الرمح . الحسام : السيف القاطع . (٤) معفر :
 ملوث بالتراب . (٥) الهزبر : الاسد . مهوب ومهيب وهيوب : الذي يخافه الناس . (٦) الحمام شروب :
 تشرب الحمام « الموت » ، تموت .

معلقة عنتره

نظم عنتره معلقته في اثناء حرب داحس والغبراء بعد ان قتل ضمضاً المري ،
ولكن قبل ان يقتل ورد بن حابس هرم بن ضمض على ما علمنا في الكلام على
معلقة زهير . وبما ان زهيراً يذكر مقتل هرم بن ضمض فمعلقة زهير متأخرة عن
معلقة عنتره ، وليكن زهيراً نفسه توفي قبل عنتره .
وفي معلقة عنتره بيت يدل على بدء نفور العرب من العجم . يقول عنتره عن ناقته :

شربت بماء الدحر ضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم .
ولكنه لا يذكر معركة ذي قار فيها . من اجل ذلك كله نستطيع ان نقول ان
عنتره نظم معلقته قبل ان ينتهي القرن السادس للميلاد او بعده بقليل (٥٩٥-٦٠٥ م) .
اما الرواية التي تزعم ان المعلقة هي اول شيء قاله عنتره من الشعر فلا يمكن
ان نشق بها ، ذلك لان لعنتره شعراً يجب ان يكون قد قاله في شبابه يتعلق بحبه
لعبله وبطولته في الحروب . فاذا قبلنا انه لم يقل شعراً قبل ٥٩٥ م ، وجب ان
ننكر كل شعر لعنتره سوى المعلقة .

ويقول عنتره معلقته ليعتاب عبله ويفتخر امامها بشجاعته وكرمه ، وليعاتب
اباه وعمه اللذين ضنا عليه بعبلة زوجاً له ، قال :

هَلْ غَادَرَ الشَّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ ؟ اَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَّهِمِ (١) ؟
يَا دَارَ عِبْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي . وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عِبْلَةٍ ، وَاسْلَمِي .

(١) متردم : المكان الذي تهرأ في الثوب ثم اصلح برقعة - . يقولون قصد عنتره ان الاقدمين
اتوا على جميع معاني الشعر فقالوها قبله . - وعندي ان متردم « بكسر الدال » . انتهى - والمعنى :
هل ترك الشعراء طملاً لم يقفوا بعد عليه ، والدليل على ذلك قوله : اَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَّهِمِ ، فهو
لم يعرف طملاً عبله بالتاكيد بل توهمه توهماً . واما قوله فيما بعد : ما راعني .. الخ فليست اكثر من
ذكرى قديمة خطرت للشاعر .

فوقفت فيها ناقتي ، وكأنها
وتجل عبلةً بالجواء . واهلنا
حييت من طلل تقادم عهده
حلت بارض الزاثرين ، فأصبحت
علقتها عرساً ، واقتل قومها
ولقد نزلت ، فلا تظني غيره ،
كيف المزار وقد ترّبع أهلها
ان كنت أزمعت الفراق فانما
ما راعني إلا حمولة أهلها
فيها اثنتان واربعون حلوبةً
اذ تستبيك بذئ غروب واضح
وكانما نظرت بعيني شادن

فدن ، لأقضي حاجة المتلوم (١) .
بالحزن فالصمان فالمتلوم .
أقوى وأقفر بعدام الهيثم (٢) .
عسر أعلّ طلابك ، ابنة مخرم (٣) .
زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم (٤) .
مني بمنزلة المحب المكرم
بعنيزتين ، واهلنا بالغيلم ؟ (٥) .
زمت ركابكم بليل مظلم (٦) .
وسط الديار تسفح الجحيم (٧) .
سوداً كخافية الغراب الاسحم (٨) .
عذب مقبله لذيد المطعم (٩) .
رشاً من الغزلان ليس بتوأم (١٠)

(١) فدن : القصر . المتلوم : الذي يمكث في المكان قليلا . - ربطت ناقتي هنالك لأمر احب
ان اقضيه . (٢) اقوى واقفر : خلا من السكان . ام الهيثم : عبلة « ؟ » . (٣) الزاثر : الذي يزأر
وهو هنا الاسد او العدو « حلت بارض الاعداء » . ابنة مخرم . قالوا ينادي فتاة هي ابنة رجل
اسمه مخرمة . - وعندي ان المخرم الطريق في الجبل ، وابنة مخرم ، اي تسكن ارض يقضي الوصول
اليها قطع طرق في الجبال ، وفي ذلك صعوبة كبيرة . (٤) في تفسير هذا البيت اقوال ، لعل اصوبها ،
يقولون انني احببت عبلة اتفاقاً ، فحبها من اجل ذلك ليس قويا ولهذا انا اقتل اهلها وقومها . وليس
ذلك صواباً . (٥) ترّبع : نزل في الربيع - والمقصود ان سكنانا بعيد من سكنائهم . (٦) ازمع :
قصده . زمت ركابكم : اسرّجتهم جمالك وحمّلت عليها متاعكم . بليل مظلم : سراً . (٧) الحمولة : الجمال .
الجحيم : ثور اسود - ما عرفت الا واهلها يستعدون الرحيل . (٨) الحلوبة : الناقة التي تمطي حلياً .
الخافية : الريشة الصغيرة في باطن جناح الطير . الاسحم : الشديد السواد . (٩) استبي وسسا : اسر
بجماله . ذو غروب : ذو خطوط في الاسنان « الفم » . واضح : ابيض . (١٠) الشادن والرشأ : الصغير
من الغزلان . ليس بتوأم : ليس له منيل (في جماله) .

- وكانَّ فارةً تاجرٍ بقسيمة
او روضةً أنفأً تضمَّنَ نبتها
جادت عليها كلَّ بكرٍ حرة
سحاً وتسكاباً ، فكل عشيّة
وخلا الذباب بها فليس ببارح
هزجاً يحكُّ ذراعه بذراعه
ثمَّسي وتصبح فوق ظهر حشيّة ،
وحشيّتي سرج على عبل الشوى
هل تُبلغني دارها شذنيّة ،
خطّارة غبّ السرى زيافة ،
- سبقت عوارضها اليك من الفم (١) .
غيثٌ قليلُ الدمن ليس بمعالم (٢) .
فتركن كلَّ قرارةٍ كالدرهم (٣) .
يجري عليها الماء لم يتصرّم (٤) .
غرداً كفعل الشارب المترنّم (٥) .
قدح المكيّب على الزناد الا جذم (٦) .
وأبيت فوق سراة ادهم ملجهم (٧) .
نهد مراكله نبيل المحزم (٨) .
لغنت بمحروم الشراب مصرّم (٩) ؟
تطس الاكام بذات خفّ ميثم (١٠) .

(١) فارة المسك : وعاءه . القسيمة : المكان الذي تفتح فيه اوعية المسك . العوارض : صفحات العنق . - تشم الرائحة الطيبة من فمها « اي رائحتها الطبيعية » قبل ان تشم الرائحة التي تضعها في عنقها « تنطليب بها » . (٢) الانف : التي لم يرعها احد بعد . الدمن : البقاء . ليس بمعلم : ليس بمكان معروف « يذهب اليها الناس دائماً » . (٣) البكر : السحابة في اول الربيع . حرة : الخالصة للبياض . - تجمع الماء في قرارات الارض فاصح يرى « عن بعد » كأنه الدراهم . (٤) السح والتسكاب : المطر المستمر . يتصرّم : ينقطع . (٥) الذباب : هنا النحل . (٦) هزجاً : طروباً او سريعاً في حركته . يحك ذراعه بذراعه : يصفق الهواء بجناحيه فيحدث صوتاً - كما يفعل الرجل اذا انحنى على زناد (عود) تقدح به النار) قصير فهو يبالغ في حركه حتى تخرج منه نار كافية . (٧) حشية : فراش . سراة : ظهر . ادهم : حصان اسود . (٨) عبل الشوى : غليظ القوائم « اي حصان .. » . نهد مراكله : عالية جوانبه ، والمركل هو المكان الذي يضربه الفارس بالمهاز من بطن الحصان . نبيل : ضخم . المحزم : حيث يشد الحزام . (٩) شذنية : ناقة .. لغنت بمحروم الشراب : انقطع لبنها فكانت اقوى على السير . مصرم : مقطوع ابضاً . (١٠) خطّارة : تضرب جانبيها بذنبيها « دلالة على نشاطها » . غب السرى : بعد سير الليل . زيافة : سريعة . وطس : ضرب . الاكام : الاكم ، التلال . الخفّ : قدم البعير . الميثم : الشديد الوطء والمشي . (اي بقوائم قوية) .

- وكأنا أقص الاكام عشيةً
تأوي له قُصُ النعام كما أوت
يتبعن قُلة رأسه ، وكأنه
صعل يعود بذى العشيرة بيضه
شربت بماء الدحرضين فأصبحت
وكأنا تنأى بجانب دفها ال
هرّ جنب كالم عطف له
أبقى لها طول السفر مقررماً
بركت على ماء الرِداع كأنا
وكان رباً او كحلاً معقداً
- بقريب بين المنسمين مُصَلِّم (١).
حزقُ يمانيةً لأعجم طمطم (٢).
حرج على نعش لهن نخيم (٣).
كالعبد ذى الفرو الطويل الاصلم (٤).
زوراء تنفر عن حياض الديام (٥).
وحشي من هزج العشي مؤدم (٦).
غضبي اتقاها باليدين وبالقم (٧).
سنداً ومثل دعائم المتخيم (٨).
بركت على قصب أجش مُهَضَّم (٩).
حش الوقود به جوانب قمقم (١٠).

(١) اقص : (اقيس) . بقريب بين المنسمين : الظليم « ذكر النعام » لان ظفريه قريب احدهما من الآخر . مصم : ليست له اذنان ظاهرتان وذلك من صفات الطيور . (٢) تأوي له : تجتمع اليه . قاص النعام : اولادها . حزق : جماعات (من الابل) . الاعجم الطمطم : الذي لا يفهم العرب كلامه . يقول : ينفق هذا الظليم فتجتمع اليه فراخ النعام ، كما تجتمع الابل حول راعيها حين يدعو بصوت غير مفهوم ، ولكن ابله قد الفت ذاك منه . (٣) يتبعن قلة رأسه : تسير مهتدية باعلى رأسه . كأنه : كأن الظليم نفسه . الحرج : مركب النساء كالهودج ونحوه . نخيم : محمول خيمة . (٤) الصعل : الصغير الراس الدقيق العنق . ذى العشيرة : موضع . يعود بيضه : يأتي ليتفقد بيضه مرة بعد مرة . الاصام مقطوع الاذن (صفة للعبد ؟) - يشبه الظليم بعبد يلبس فرواً سابقاً ، دلالة على ان النعام التي يصفها سود لا بيض . (٥) تعودت هذه الناقة ان تشرب من ينابيع بلاد العرب . « الدحرضين : موضعان في بلاد العرب » فاصبحت تنفر من العجم . (٦) الدف الوحشي : الجانب الايمن من البهائم . من هزج العشي : خوفاً من الذي يحدث صوتاً في الليل ، قيل الهر . مؤدم : عظيم الراس - هذه الناقة تنفر في سيرها الى يمنها كما هنالك هر يهاجمها عن يسارها . (٧) جنب : جنوب : مربوط الى جانبها . (٨) السفر : السفر . مقررماً : سناماً متيناً كالقرميد ، وعاليه كالاعمدة التي ترفع عليها الخيمة . (٩) لما بركت « اناخت » . . . احدثت صوتاً كأنها كانت تبرك على قصب يابس . (١٠) وكان الصوت الذي احدثه في بروكها يشبه صوت القطران (الكحيل والرب) ؟ اذ اوقد به بكثرة تحت القمم (القدر الصغيرة) .

ان تُعْذِفِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي
أَتْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي
فَإِذَا ظَلَمْتُ فَإِنْ ظَلَمِي بِاسِلٌ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَمَا
يَزْجَاغِي صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ
فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى
وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجْدَلًا
سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ
إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى رِحَالَةٍ سَابِجٍ
طَوْرًا يُجَرِّدُ لِلطَّعْمَانِ وَتَارَةً

طَبَّ بَأْ خَذَ الْفَارِسَ الْمُسْتَلْتِمَ (١)
سَهْلٌ مَخَالِقَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمَ (٢)
مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ (٣)
رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ (٤)
قُرْنَتْ بَازَهْرٍ فِي الشِّمَالِ مُقَدَّمِ (٥)
مَالِي وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ (٦)
وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي (٧)
تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ (٨)
وَرَشَاشٍ نَافِذَةٍ كَلَوْنِ الْعَنْدَمِ (٩)
إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي ؟
نَهْدٍ تَعَاوَرَهُ الْكِمَاءُ مُكَلِّمِ (١٠)
يَأْوِي إِلَى حَصِيدِ الْقَيْيِ عَرْمَرَمِ (١١)

(١) اغدِف القناع : اسدله على الوجه . طب : حاذق ، خبير . المستلم : اللابس الأئمة « الذرع - انا اتغلب على البطل الذي يلبس درعاً ، أفلا اتغلب على امرأة تسدل على وجهها قناعاً ؟ (٢) سهل - مخالقتي : معاشرتي سهلة . (٣) باسل : كريبه . العلقم : نبات مر . (٤) المدامة : الخمر . ركـد : الهواجر : سكن الحر . المشوف المعلم : « الدينار » المجلو الذي فيه كتابة ونقش . (٥) أسـرة : خطوط . ازهر : « ابريق » من فضة ابيض براق . مقدم : عليه القدم « المصفاة » . (٦) وافر : موفور ، كامل . يكلم : يجرح . (٧) الندي : الكرم . الشمائل : الاخلاق الجميلة . (٨) حليل : زوج . الغانية : المرأة الجميلة المستغنية بجمالها عن الحلي . مجدلا : ملقى على الارض . تمكو فريصته : ترجف عضلته التي بين كفه وخصره . الشدق : الفم . الاعلم : المشقوق الشفة العليا . (٩) نافذة : طعنة تحرق الجسم . الرشاش : ما تطاير من الدم . العندم : صباغ احمر . (١٠) رحالة : سرج . سابج : حصان سريع . نهـد : عال . تعاوده : تحيط به وتطمعنه مرة بعد مرة . الكماء : الابطال المدججين بالسلاح . مكلم : مجروح . (١١) يجرد : يهبأ . الحصد والعمرم : الكثير - مرة اهجم به على الاعداء ومرة ارجع به الى صفوف قومي المسلحين بالقوس والسهام وهم يرمون بها العدو .

يُنْجِزُكَ مِنْ شَهِيدِ الْوَقِيعَةِ أَنِّي
وَمَدَجَجَ كَرِهَ الْكُفَاةُ نِزَالَهُ
جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
بِرَحِيبةِ الْفَرْعَيْنِ ، يَهْدِي جَرُسُهَا
فَشَكَّكَتْ بِالرَّمْحِ الْأَصَمَّ ثِيَابَهُ .
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ
وَمِشَكَّ سَابِغَةٍ هَتَكَتْ فُرُوجَهَا
رَبَذَ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا
لَمَّا رَأَى قَدْ نَزَلَتْ أُرِيدَهُ
فَطَعْنَتْهُ بِالرَّمْحِ ثَمَّ عَلَوْتُهُ

أَغَشَى الْوَغَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ (١).
لَا مُمَعْنٍ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمَ (٢) ،
بِمَثَقَفِ صَدَقِ الْكُعُوبِ مُقَوِّمَ (٣) ،
بِالْإِيلِ مُعْتَسِّ الذِّئَابِ الضَّرْمَ (٤) .
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْرَمَ (٥) .
يَقْضُمُنْ حُسْنَ بِنَانِهِ وَالْمِعْصَمَ (٦) .
بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعْلَمَ (٧) ،
هَتَّاكَ غَايَاتِ التِّجَارِ مُلَوِّمَ (٨) .
أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لَغَيْرِ تَبَسِّمِ (٩) ،
بُمَهْنَدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مَخْذَمَ (١٠) .

(١) الوقعة المعركة . - اشترك في القتال من غير ان آخذ شيئاً من الغنائم . (٢) المدجج « بفتح الجيم الاولى وكسر ها » الكثير السلاح - لا يهرب من المعركة ولا يستسلم لخصمه . (٣) المثقف : لرمح المقوم . صدق الكعوب : صلب ، قوي العقد « لان الرمح قد يكون من قصب فارسي » .
(٤) رحبية : واسعة . الفرغ : جانب الدلو ، حيث يصب الماء . الجرس : الصوت . المعتس : الذي يطلب شيئاً في الليل . الضرم جمع ضارم : جائع - ان صوت خروج الدم من هذا الجرح الواسع تسمعه الذئاب في الليل فتسرع الى صاحبه . (٥) الاصم ، الصلب ، غير الاجوف . ثيابه : كناية عن جسمه كله . القنا : الرماح . (٦) جزر السباع : مذبح لتأكله الوحوش . فاشه : تناوله من اطرافه .
قضم : قطع باسنانه . البنان : رؤوس الاصابع . (٧) مشك سابغة : لابس درعاً ضافية واسعة . هتكت فروجها : شقت فيها شقوقاً واسعة . حامي الحقيقة : الذي يحمي عرضه وقومه واموالهم . معلّم : كاشف عن وجهه . كان الابطال الشجعان لا يتقنمون في الحرب حتى يعرفهم خصومهم . (٨) ربذ يدها بالقداح : بارع في لعب القمار . اذا شتى : في الشتاء « فذاك ادل على غنى صاحبه ، لان الشتاء في البادية فصل قحط » . هتاك غازيات التجار : ممزق رابات تجار الخمر (كان تجار الخمر يرفون راية ما دام عندهم خمر ، وقد يتفق ان يأتي رجل غني كريم فيأمر بانزال الراية واسقاء الناس على حسابه حتى تنفذ تلك الخمر) . ملوم ، يلام على انفاقه ماله في مثل هذا السبيل . (٩) ابدي نواجذه « اضراسه » ، ضحك . (١٠) مهند ، سيف . مخذم ، قاطع .

- عهدي به مدّ النهار كأنما
بطل كأن ثيابه في سرحة
ولقد ذكرك والرماح نواهل
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها
ياشاة ما قنص لمن حلت له ،
فبعثت جاريتي وقلت لها: «أذهبي
قالت: « رأيت من الاعادي غرة»
وكأنما التفتت بحيد جداية
نسبتُ عمراً غير شاكر نعمتي .
ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى
في حومة الموت التي لا يشتكي
- خُصِبَ البنانُ ورأسه بالعِظْم (١).
يُجْذَى نَعَالُ السَّبْتِ ، ليس بتوأم (٢).
مني ، وبيضُ الهند تقطر من دمي (٣).
لمت كبارق ثغرك المتبسم .
حرمت علي وليتها لم تحرم (٤).
فتجسسي اخبارها لي واعلمي .
والشاةُ ممكنة لمن هو مُرْتَم (٥).
رشاً من الغزالان حرّ ارثم (٦).
والكفر مخبئة لنفس المنعم (٧).
إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم (٨).
غمراتها الابطالُ غير تنغمم (٩).

(١) مد النهار : طول النهار . العظم : شجر احمر . - لا ازال اذكر انه بقي طول النهار ملقى على الارض مضرجاً بدمه . (٢) كأن ثيابه في سرحة « شجرة طويلة » : كناية عن طول قامته هذا البطل . يجذى نعال السبت : يابس حذاء من جلد رقيق مدبوغ « كناية عن غناه » . ليس بتوأم : لا مثيل له « في شجاعته » . (٣) نواهل : شاربات « من دمي » . بيض الهند : السيوف . (٤) ما زائدة . شاة قنص : طريدة « صيد » . - يخاطب عبلة فيقول : انت نصيب لكل رجل يدفع مهرک، ولكنك حرمت علي انا وحدي . (٥) الاعادي : اهل عبلة « هنا » . غرة : غفلة . الشاة : المرأة ، ايضاً « عبلة » . ممكنة لمن هو مرتم : اي ان الذي يهجم عليها يستطيع خطفها . (٦) جيد : عنق . الجداية : الرشاء « الغزال الصغير » . الحر : الصافي البياض . ارثم : له سواد في شفته العليا . (٧) اخبرت ان عمراً « اباه » ؟ لا يعترف بافعالي في الحرب . والكفر مخبئة لنفس المنعم : ان الجحود يمنع الحسن من معاودة احسانه . (٨) الوصاة : الوصية . عمي : « لعله مالك ابو عبلة » . الضحى : الصباح . تقلص الشفتان عن وضح الفم : تنقلص الشفتان لشدة البرد فتبدو الاسنان . (٩) حومة الموت : المعركة . غمراتها : شدائدھا . تنغمم : صوت غير مفهوم . - عملت بوصية عمي في خوض هذه المعركة الشديدة في هذا البرد الشديد « لانفوز بعبلة » .

اذ يتقون بي الاسنة ، لم اخم
 لما سمعت نداء مرة قد علا ،
 ومحلهم يسعون تحت لوائهم ،
 ايقنت ان سيكون عند لقائهم
 لما رايت القوم اقبل جمعهم
 يدعون : عنتر ا والرياح كائنا
 ما زلت ارميهم بشجرة نخره
 فازور من وقع القنا بلبانه
 لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ،
 والخيول تقتحم الخبار عوابسا
 ولقد شفى نفسي وأبرا سقمها
 ذلك ركا بي حيث شئت ، مشايعي

عنها ، ولكنني تضايقت مقدمي (١) .
 وابني ربيعة في القبار الاقتم (٢) ،
 والموت تحت لواء آل محلم (٣) .
 ضرب يطير عن الفراخ الجثم (٤) .
 يتذاكرون ، كررت غير مذمم (٥) .
 أشطان بشر في لبان الادهم (٦) .
 ولبانه ، حتى تسربل بالدم (٧) .
 وشكا إلي بعبرة وتحمحم (٨) .
 ولكن لو علم الكلام مكلمي .
 ما بين شنيطة وأجرد شيطم (٩) .
 قيل الفوارس : «ويك عنتر ، أقدم» (١٠) .
 قلبي ، وأخفزه بأمر مبرم (١١) .

(١) يتقون بي الاسنة : يقفون خلفي حتى لا تصيبهم الرياح . خام ، نجيم : جبن ، تراجع .
 تضايقت مقدمي : ان كثرة الفرسان امامي منعت حصاني من ان يتقدم . (٢) الاقتم : الاسود .
 (٣) مرة وربيعة ومحل : قبائل . (٤) اللقاء : الحرب . ضرب يطير «لشدته» امات الطير عن فراخها
 التي تجثم عليها وتحضنها . (٥) يتذاكرون : يحض بعضهم بعض . كررت : هجمت . غير مذمم : غير
 مذموم . (٦) ينادون يا عنتر ! بينما كانت الرياح تتوالى على صدر حصاني الاسود كما تتوالى
 الاشطان «الجال» نازلة وصاعدة في البئر «لاستقاء الماء» (٧) ثغرة نخره : مقدمة صدر الحصان .
 تسربل : اكنسى . (٨) ازور : مال . عبرة : دمعة ، بكاء . تحمحم : صوت منقطع . (٩) الخبار :
 الارض اللينة ذات الحفر . الشيطم : الحصان الطويل . الاجرد : القصير الشعر .
 (١٠) قيل : قول . وبك : انتبه (١١) «طايبي طيعني الذهاب وقلبي شجاع يصحبنى في كل رحلة او
 حرب ، وكذلك ادعم شجاعة قلبي بأمر مبرم » «بجزم ولا اتردد» .

ولقد خَشِيتُ بَأْنَ اموتَ ولم تَدُرْ للحرب دائرةٌ على أبنِي ضَمَضَمِ (١) .
 الشاتِي عِرْضِي ولم اشْتُمَها والناذِرِينَ إذا لم أَلْقَهما دَمِي (٢) .
 إِنْ يَفْعَلا فَلَقد تَرَكْتُ أباهُما جَزَرَ السَّبَاعِ وَكُلَّ نَسْرِ قَشْعَمِ (٣) .

(١) خفت ان اموت قبل ان اقتل هرماً والحسين ابني ضمضم . ٢) اللذين ... يتوعداني بالقتل ما داموا بميدني عني ، فاذا رأيتني خافا مني . ويروى : والناذرين اذا لقيتها دمي - يقصد انها يقولان اذا رأيتاه فسنقتله . ٣) ولو قتلتني لما اهتممت لانني قتلت اباهما من قبل .
 • وقد قتل احد بني عيسى هرماً في حرب داحس والغبراء كما علمت عند الكلام على معاملة زهير بن ابي سلمى (راجع ص ١٢٨) .

الفهرست

٣	الكلمة الثانية : نطاق هذه الدراسة
٥	الكلمة الاولى : صحة الشعر الجاهلي
٧	الجاهلية والشعر الجاهلي : خصائصه واغراضه
١٦	فنون الجاهلية :
١٧	١ - باب الادب والحكم والامثال
٢٤	٢ - المديح والاعتذار
٢٥	٣ - الفخر والحماسة (والملاحم)
٤٠	٤ - الرثاء
٥٢	٥ - الهجاء
٥٤	٦ - الغزل والنسيب
٥٩	٧ - الحمرة
٦٣	٨ - الوصف
٦٤	شكل القصيدة الجاهلية

الشعراء الخمسة

٦٥	امرؤ القيس
٧٩	طرفة
٩٥	الناطقة
١٢٨	زهير بن ابي سامي
١٣٢	عنوة

نخبة من دراسات وكتب

عمر فروخ

دكتور في الفلسفة

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الشنن بالقرش اللبناني

دراسات قصيرة

- | | |
|-----|---|
| ٤٠ | ١ - الحجاج بن يوسف (الطبعة الثانية) |
| ٧٥ | ٢ - عمر ابن ابي ربيعة (الطبعة الثانية) |
| ٤٠ | ٣ - عبد الله بن المقفع (الطبعة الثانية) |
| ١٠٠ | ٤ - الرسائل والمقامات (الطبعة الثانية) |
| ٥٠ | ٥ - ابن الرومي (الطبعة الثانية) |
| ٦٠ | ٦ - احمد شوقي (الطبعة الثانية) |
| ٥٠ | ٧ - ابن خلدون (الطبعة الثانية) |
| | ٨ - اثر الفلسفة الاسلامية |
| | في الفلسفة الاوروبية (الطبعة الثانية) |
| ١٢٥ | ٩ - شعراء البلاط الاموي (الطبعة الثانية) |
| ١٠٠ | ١٠ - الفارابي : الفارابي وابن سينا (الطبعة الثانية) |
| | ١١ - اربعة ادباء معاصرين (الطبعة الثانية) |
| ١٥٠ | ١٢ - خمسة شعراء جاهليون (الطبعة الثانية) |
| ١٢٥ | ١٣ - بشار بن برد (الطبعة الثانية) |
| ٥٠ | ١٤ - نهج البلاغة |
| ٢٥٠ | ١٥ - اخوان الصفا |
| ١٠٠ | ١٦ - ابن باجه |

- ١٢٥ - ١٧ - ابن طفيل
 ٢٠٠ - ٨١ - التصوف في الاسلام
 ١٥٠ - ١٩ - الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب
 ١٠٠ - ٢٠ - موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية

دراسات آخر

- ١٥٠ ابو نواس : دراسة ونقد (الطبعة الثالثة)
 ٥٠ ابو نواس : مختارات
 ١٢٠ ابو تمام
 ٢٠٠ حكيم المعرة (الطبعة الثانية)
 ٣٠٠ عبقرية العرب في العلم والفلسفة
 الاسلام على مفترق الطرق (الطبعة الثالثة)
 ١٠٠ نحو التعاون العربي
 (نقد) دفاعاً عن العلم
 ٥٠ دفاعاً عن الوطن
 ٤٠٠ الاسرة في الشرع الاسلامي
 600 — Das Bild des Frühislam in
 der arabischen Dichtung
 von der Hira bis zum Tode
 Umars, I -23 d. H. (622 - 644 n. Ch.
 Leipzig 1937.
 ٢٥ الاسئلة الثلاثة (مشهد شعري تمثيلي للمدارس الابتدائية)

يمكن الحصول على هذه الدراسات من :

السيد محمد الخوجة

١٥ نهج باب المنارة - تونس

892.7109;
F24FA

J. Lib.

~~1 MAY 1967~~

~~4 NOV 68~~



~~10 Jun 68~~

~~17 Dec 68~~

~~1 Oct 68~~

~~10 JUN 1973~~

~~10 SEP 1974~~

~~30 DEC 1968~~

~~9 JUL 1970~~

~~20 Jun 69~~

JAFET LIB.

~~1 OCT 1977~~

~~101 DEC 1970~~

~~1 Feb 71~~

~~28 DEC 1975~~



فروخ، عمر
خمسة شعراء جاهليون مع تمهيد مفصل

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01036435

892.7109

F246KA